اللغة العربية والتفاهم العالمي

المبادئ والآليات

الأستاذ الدكتور
رشدي أحمد طعيمة

الأستاذ الدكتور
محمود كامل الناقة



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾

الأعراف: ٨٩

اللغة العربية والتفاهم العالمي

المبادئ والآليات

رقـــم التصنيـــف : 302.2
المؤلف ومن هو في حكمه: رشدي أحمد طعيمة ، محمود كامل الناقة
عنـــوان الكتـــاب: اللغة العربية والتفاهم العالمي المبادئ والآليات
رقـــم الايـــداع : 2008/4/1187
الـــواصفـــــات:/الاتصال//الثقافة الجماهيرية//الثقافة//اللغة العربية
بيـــانـــات النـــشر : عمان - دار المسيرة للنشر والتوزيع
* - تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

2009 م - 1430 هـ

دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة

عمان-العبدلي-مقابل البنك العربي
هاتف:5627049 فاكس:5627059
عمان-ساحة الجامع الحسيني-سوق البتراء
هاتف:4640950 فاكس:4617640
ص.ب 7218 - عمان 11118 الأردن
www.massira.jo

اللغة العربية والتفاهم العالمي

المبادئ والآليات

الأستاذ الدكتور
رشدي أحمد طعيمة

الأستاذ الدكتور
محمود كامل الناقة

الفهرس

الباب الثالث :البرامج والآليات

المقدمة

مأثورات

قــــال تعـــــالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾

اللّهم أنت السلام ومنك السلام، فحيّنا ربنا بالسلام، وأدخلنا الجنة دار السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام

وقال صلى الله عليه وسلم: **مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فجملّه وزينه، إلا موضع لبنة في البناء. فجعل الناس يطوفون حوله ويعجبون ويقولون: لو وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء.**

اثر عن أبي حنيفة قوله:

أ- اللهم من ضاق بنا صدره فإن قلوبنا قد اتسعت له.

ب- قولنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه. فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا.

ج- كل من قال في شيئاً من أهل الجهل فهو في حل/ وكل من قال فيَّ شيئاً من أهل العلم فهو في حرج فإن غيبة العلماء تبقى.

د- قيل له مرة: هذا الذي تفتي به هو الحق الذي لا شك فيه، فقال. لا أدري لعله الباطل الذي لا شك فيه.

الله يعرف كل اللغات

كان أحد المبشرين الأسبان في زيارة لإحدى الجزر حيث قابل ثلاثة رهبان من الأزتيك فسألهم:

ما هي صيغة صلاتكم.

رد أحدهم: لدينا صيغة واحدة للصلاة، أن نقول: يا الله أرحمنا.

رد المبشر: صلاة رائعة. لكنها ليست على وجه الدقة ما ينتظر الله أن يسمعه منا. دعوني أعلمكم صلاة أفضل بكثير.

وعلمهم المبشر صلاة كاثوليكية ومضى في طريقه لينشر رسالة المسيح.

بعدها بسنوات في طريق عودته لأسبانيا توقفت السفينة التي كان يستقلها على شاطئ الجزيرة، ورأى من بعيد الرهان الثلاثة فلوَّح لهم من بعيد محيياً، وعندما رآه أحدهم هرول إليه ماشياً على سطح الماء وهو ينادي: يا أبانا علمنا صلاتك مرة أخرى فقد نسيناها.

أمام هذه المعجزة رد المبشر قائلاً: لا يهم ... وأستغفر ربه لأنه لم يدرك أن الله يستمع لكل الصلوات ... بكل اللغات.

لطالما أعجبتني هذه القصة، وأحببت أن أقرا عن صلوات البشر لله من أديان شتى وبلغات مختلفة، وإليكم بعض تلك الصلوات:

صلاة الدامابادا (المنسوبة لبوذا):

أفضل من ألف كلمة

كلمة واحدة تكفي

تلك التي تحمل السلام بدلاً من الف آية

تكفي أية واحدة

تدل على الجمال

وبدلاً من ألف أغنية

تكفي أغنية واحدة

تنشر السعادة

ومن دعاء الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم):

اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك، فأنت تعلم ولا أعلم وتقدر ولا اقدر وأنت علام الغيوب.

اللهم إن كان في هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله، فأقدره لي ويسِّره لي ثم بارك لي فيه، وإن كان فيه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله، فأصرفه عني واصرفني عنه، ثم ادقر لي الخي حيثما كان ورضِّني به.

وقال المسيح:

اطلب يستجاب لك...

ابحث .. تجد

اطرق يفتح لك الباب

فكل من يسأل يجاب

ومن يبحث سيجد

من يطرق تفتح له الأبواب

من دعاء بني إسرائيل من أجل السلام:

سوف نذهب لجبل الله ونسير في ظله وسنحول سيوفنا لمحاريث وحرابنا لسلال لنحصد الفاكهة.

لا ترفعن أمة سلاحها على أمة أخرى ودعونا لا نتعلم فنون الحرب.

فما من أحد ينبغي له أن يخاف من جاره .. هكذا قال الرب.

وقال مولانا جلال الدين الرومي:

هناك، فيما وراء الحلال والحرام مساحة واسعة...

فيها سنلتقي

ومن دعاء لاوتسو في الحكمة الصينية:

كي يكون هناك سلام في العالم يجب أن تعيش الأمم في سلام.

وكي تعيش الأمم في سلام يجب أن تعيش المدن في سلام.
وكي تعيش المدن في سلام يجب أن يعيش الجيران في سلام.
وكي تعيش الجيران في سلام يجب أن يسود البيوت في سلام.
ولكي يسود البيوت السلام يجب أن نجد السلام داخل أنفسنا وفي داخل قلوبنا.
باولو كويليو

لكم لغتكم ولي لغتي

* لكم لغتكم ولي لغتي
* لكم من اللغة العربية ما شئتم. ولي ما يوافق أفكاري وعواطفي
* لكم منها الألفاظ ترتيبها... ولي منها ما تومئ إليه الألفاظ ولا تلمسه، ويصبوا إليه الترتيب ولا يبلغه.
* لكم منها جثث محنطة باردة جامدة. تحسبونها الكل بالكل، ولي منها أجساد لا قيمة لها بذاتها بل كل قيمتها بالروح التي تحل فيها.
* لكم منها محجة مقررة مقصودة. ولي منها واسطة متقبلة لا استكفي بها إلا إذا أوصلت ما يختبئ في قلبي إلى القلوب. وما يجول بضميري إلى الضمائر.
* لكم منها قواعدها الحاتمة، قوانينها اليابسة المحدودة. ولي منها نغمة أحول رناتها ونبراتها وقراراتها إلى ما تثبته رنة في الفكر، ونبرة في الميل، وقرار في الحاسة.
* لكم منها القواميس والمعجمات والمطولات، ولي منها ما غربلته الأذن، وحفظته الذاكرة، من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم وأحزانهم..
* لكم منها العروض، والتفاعيل، والقوافي، وما يحشر فيها من جائز، وغير جائز، ولي منها جدول يتسارع مترنماً نحو الشاطئ، فلا يدري ما إذا كان الوزن في الصخور التي تقف في سبيله، أم القافية في أوراق الخريف التي تسير معه.
* لكم منها الشعراء الفحول الفطاحل الخناذيذ، ومن صدرهم، وشطرهم، وخمسهم، وذيلهم، وشرحهم، ولي منها ما يتمشى مهيباً خجلاً في قلوب الشعراء الذي لم ينظموا بيتاً، ولم ينثروا سطراً.

* لكم منها ما قاله سيبويه وأبو الأسود وأبن عقيل وما جاء قبلهم وبعدهم من المضجرين المملين. ولي منها ما تقوله الأم لطفلها، والمحب لرفيقته، والمتعبد لسكينة ليلة.

* لكم منها (الفصيح) دون (الركيك) دون (المبتذل)، ولي منها ما يتمتمه المستوحش وكله فصيح، وما بعض به المتوجع وكله بليغ، وما يلثغ به المأخوذ وكله فصيح وبليغ..

* لكم منها (الترصيع) و (التنزيل) و (التنميق) وكل ما وراء هذه البهلوانيات من التلفيق. ولي منها كلام إذا قيل رفع السامع إلى ما وراء الكلام، وإذا كتب بسط أمام القارئ فسحات في الأثير لا يحدها البيان.

* لكم أن تلتقطوا ما يتناثر خرقاً من أثواب لغتكم. ولي أن أمزق بيدي كل عتيق بال، وأطرح على جانبي الطريق كل ما يعيق مسيري نحو قمة الجبل.

* لكم أن تحفظوا ما يبتر من أعضائها المعتلة، وأن تحتفظوا به في متاحف عقولكم. ولي أن أحرق بالنار كل عضو ميت وكل مفصل مشلول.

* لكم لغتكم عجوزاً مقعدة. ولي لغتي صبية غارقة في بحر من أحلام شبابها.

وماذا عسى أن تصير إليه لغتكم وما أودعتموه لغتكم عندما يرفع الستار عن عجوزكم وصبيتي؟

* أقول إن لغتكم ستصير إلى اللاشيء.

* أقول أن السراج الذي جف زيته لن يضيء طويلاً.

* أقول أن الحياة لا تتراجع إلى الوراء.

* أقول إن خشب النعوش لا يزهر ولا يثمر.

* أقول لكم أن ما تحسبونه بياناً ليس بأكثر من عقم مزركش وسخافة مكلسة.

* أقول لكم إن النظم والنثر عاطفة وفكر. وما زاد على ذلك فخيوط واهية وأسلاك متقطعة.

"جبران خليل جبران"

حول اللغة العربية

العربية جديرة بأن تعلَّم

These many roots plus the innumerable that can be made withing them make Arabic one of the great languages of the world, and for this alone, it is worth learning. Learning . It is one of the great classical languages and ranks along with Greek and Sanskrit. **(T.B.Irving)**

"إن هذه الجذور الشتى، وما يمكن أن يطرأ عليها من تغييرات تعز على الحصر تجعل من العربية إحدى اللغات العظمى في العالم أجمع، ومن أجل هذا فهي جديرة بأن تعلم أنها بحق إحدى اللغات الكلاسيكية العظمى وتقف بجدارة وعلى نفس مستوى كل من اليونانية والسنسكريتيه". **(أرفنج Irving)**

العربية أهم اللغات السامية

»The Arabic language, in terms of the number of speakers and extent of its influence, is by far the most important Semitic language today and must be regarded as one of the important world languages"**(C . A. Fergeson)**

"إن اللغة العربية اليوم، سواء بالنسبة إلى عدد متحدثيها، أو إلى مدى تأثيرها تعتبر إلى حد بعيد أهم اللغات السامية جمعاء. كما ينبغي أن ينظر إليها كإحدى اللغات العظمى في عالم اليوم" **(فرجسون Fergeson)**

العربية في العصور الوسطى

"منذ العصور الوسطى، واللغة العربية تتمتع بعالمية جعلت منها إحدى لغات العالم العظمى على نفس المستوى الذي حظيت به كل من اليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية والاسبانية والروسية. ولا يعزى هذا إلى عدد متكلميها فحسب، بل أيضاً إلى المكانة التي تشغلها في التاريخ والدور لعبته فيه".(أنور شحنة A. Chejne).

بسم الله الرحمن الرحيم

- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف، 2)
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ (الرعد ، 37)
- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم ، 4)
- ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴾ (النحل، 103)
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴾ (طه، 113).
- ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء، 195)
- ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ (الزمر، 28)
-﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾ (فصلت، 3)
- ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ (فصلت، 44)
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الشورى، 7)
- ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (الزخرف، 3)
- ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (الأحقاف، 12)

الباب الأول

مشكلة الدراسة ومنطلقاتها

الفصل الأول

مشكلة الدراسة

مقدمة

يعاني المجتمع العالمي المعاصر من تصاعد حدة عدم التسامح وكثرة الصراعات والنزاعات وسيادة ثقافة الإرهاب. ومن أشكالها التحيز والتعصب دون مبرر علمي أو منطق واضح، وتكفير الآراء والأفكار، والإتهام غير المسوغ للآخرين، وسرعة وصمهم بصفات تبرز مهاجمتهم، وأحياناً التخلص منهم، ولهذه الظاهرة أسباب كثيرة ليس هذا مجال الإفاضة فيها...

القسم الأول: أزمة المجتمع المعاصر

إلا أن الأمر لا يضيق عن أن نشير لأهم هذه الاسباب.

1- فهناك اغتصاب لحقوق الإنسان في كثير من بلدان العالم سواء أكان صريحاً أو ضمنياً.. وما أيسر على الحكام تبرير ذلك.

2- وهناك اغتصاب أرض لشعب برئ لم تكن جريمته إلا أنه وجد في هذا المكان..

3- وهناك استعمار صريح لشعب عربي يجثم على صدر أبنائه دون أمل قريب في رحيله.

4- وهناك مستعمرات مغلقة لا يمكن لإنسان اختراقها. وتشهد أقصى درجات التعذيب لبشر قد لا يكون لأحد منهم دخل في شيء!

5- وهناك سيادة لمفاهيم الاقتصاد الحر الذي يعتمد على التنافس الصراعي والفردية المطلقة. وتحقيق الأرباح على حساب غير ذلك من جوانب.

6- وهناك قهر لأقليات متناثرة تختلف أنماط التعامل معها باختلاف النظم التي يعيشون في كنفها، وهي في غالبها ظالمة لهم مجافية لحقوقهم.

7- وهناك تربية تقليدية عاجزة عن تنمية مفاهيم التسامح بين الشعوب وتنمية الاستعداد النفسي لقبول الآخر.

8- وهناك تقنيات اتصال تنقل في سرعة البرق ما يحدث في المجتمعات من تجاوزات أو خروق لحقوق الإنسان، أو غيرها، مما ييسِّر على الآخرين الاقتداء بها ومحاكاتها أياً كانت آثار ذلك..

9- وهناك سرعة متزايدة في الحركة والتنقل. وانتقال السكان والتوسع الحضري مما أحدث تغيراً في الأنماط الاجتماعية وتحللاً في القيم، وابتعاداً عن قيم الريف الأصيلة التي تمجِّد العطاء على الأخذ ... والإيثار على الأثرة..

10- وأخيراً هناك العولمة وما يصبحها من شر محقق لثقافات الشعوب ومن محاولات حثيثة لسيادة ثقافة واحدة مهيمنة تستتبع تهميش غيرها والانتقاص منها...

قصور العمل:

ورغم ذلك كله فالصيحات تتعالى منادية بالتسامح ... منادية بنبذ الإرهاب وشجب كل أشكال الاغتصاب وسحق الإنسان .. والمؤتمرات تعقد، والمواثيق توضع. وقبل ذلك وبعده.. تأتي تعاليم السماء لتؤكد على مفاهيم التسامح وفضيلة الإيثار، وتجاوز مرحلة الغضب وتأكيد قيمة العفو عند المقدرة... وغير ذلك من بوارق أمل وشمعات مضيئة في ظلام الجهل والعنف ... ولكن السؤال الذي يلح علينا الآن هو:

لماذا لم نستطع أن نحوِّل قيم الفضيلة والمحبة والتسامح إلى آليات عملية سهلة التطبيق في مجتمعاتنا؟ صحيح أن الكتب والصحف التي نتناولها منذ قرون وبكل لغات العالم تزخر بالحديث عن هذه القيم. ونحن نتناولها ببغاوياً ونطرزها بأحلى الكلمات وأجملها، لكنها مع الأسف ظلت حبيسة هذه الأوراق دون أن تتحول إلى برامج تدريبية ومناهج للعمل الدءوب على تطبيقها عملياً على مستوى السلوك.

وصحيح أن المؤتمرات التي تعقد في هذا الخصوص سواء أكانت سياسية أم تربوية أو ثقافية عامة أم اجتماعية.. تنتهي بتوصيات عميقة الفكر، دقيقة الصياغة، واضحة اللغة. ولكنها في أغلبها لم تضع آلية تجد هذه التوصيات من خلالها طريقها

للتنفيذ.. ومن ثم ظلت حبيسة عقول أصحابها. وانعقد المؤتمر وفض الاجتماع وذهب كل منهم في طريق..

والحديث عن التسامح والدعوة إلى إقرار مبادئه وإشاعة قيمه وأخلاقياته ليس حديثاً عن قيمة واحدة مجرَّدة نبحث في تحقيقها بذاتها ولذاتها قدر ما هو حديث عن ثقافة متكاملة تنطوي على العديد من الأبعاد التي تستهدف التغيير في القناعات، وإزالة بعض الأفكار المستمدة من موروثات معرفية قيمة، وإحلال الجديد مكانها، والمبنية على أساس التسامح والعفو والتصالح من أجل السلام...

إنها أبعاد نفسية تبدأ من داخل الفرد نفسه، وأبعاد تربوية تتطلب تصميم استراتيجية جديدة في مجال التعلم والتعليم. أبعاد سياسية تنطلق من تصور العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبين المحكومين بعضهم وبعض. وأبعاد ثقافية تستند إلى رؤية خاصة لمواصفات إنسان جديد يتحلى بقيم واتجاهات معينة... وأبعاد دينية تسترشد بما اقرته شرائع السماء من أنماط العلاقة بين الفرد وربه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين بني جلدته، وبينه وبين الآخر.. ثم هناك أبعاد اقتصادية تستحث الفرد على العطاء وتجعل الفرد حين تصفو سريرته وتسمو نفسه لا يستلذ النعمة التي يُرحم منها جاره (ليس منا من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم).

القسم الثاني: موقع اللغة العربية

ولكن أليس للغة موقع في هذه الأبعاد؟ هي بلا شك العمود الفقري في هذا كله.. هي خيط المسبحة الذي يجمع حباتها فإذا قطع انفرط العقد.. ذلك أن التسامح يعني في الأساس قبول الآخر... والاستعداد للتواصل معه وإجراء حوار متبادل يزيل ما في العقول من أوهام عن الآخر. وتصورات مشوَّهة عنه، وأحكام مسبقة تسبق كل أشكال التفاوض معه..

ولغتنا العربية، بفضل الله، قادرة على التعبير عن أخص حاجات الإنسان وعلى تحقيق بينه وبين نفسه وبينه وبين الآخرين.. ولعل في كلمة رافائيل باتاي ما يعتبر عنه ذلك إذ يقول:

إنني أشهد في ضوء خبرتي الشخصية أنه لا توجد لغة تكاد تقرب من اللغة العربية في طاقاتها البيانية والبلاغية وقدرتها على أن تتجاوز مستويات الفهم العقلي مباشرة إلى المشاعر الإنسانية تاركة أثرها عليها... وفي هذا السياق ليس للعربية أن تقارَن إلا بالموسيقى."(1)

لغتنا العربية بشهادة الآخرين قادرة على التعبير عن مفاهيم التسامح، قادرة على إيصال رسالة واضحة.. لا ... بل دقيقة وجميلة تتعامل مع مختلف مستويات الإدراك الإنساني العقلي والوجداني..

واللغة العربية لغة القرآن الكريم تنبه إلى خصوصياتها فصحاء القوم، منذ شغلهم بيانها وسحرها، ثم شغل بها البلاغيون، فاستوقفتهم أسرار بلاغتها وتميُّزها. ثم كانت لغة الحديث النبوي الشريف. وقد أوتي الرسول الكريم البليغ جوامع الكلم، وسحر البيان، وكانت لغة الأمثال والحكم والوصايا، التي أوجز فيها العرب خلاصة تجاربهم. وسجَّلوا بواسطتها خلاصة معارفهم وتاريخهم، ثم كانت لغة الشعر، الذي رآها العرب ديواناً لهم، بل كان علماً لقوم لم يصح لهم أفضل منه، كما كانت لغة التباري بين فصحاء القوم عبر أسواقهم الأدبية العريقة، وفي ذلك يقول فيليب حتى: وهي لغة علوم الأوائل تفسيراً وحديثاً وتاريخاً ونقداً وبلاغة وفكراً وعلماً منذ فتح الرشيد دار الحكماء، فكانت نافذة حضارية عريقة وعميقة، زادت من حيوية اللغة وعطائها في سياق علاقاتها المتداخلة مع لغات الدنيا، التي أطلَّ منها العرب على كل حضارات الأمم المجاورة لهم والمتعايشة معهم، في ظلال التغريب الفكري والانصهار الثقافي.

---

(1) I can attest from my own personal experience that no language I know (he masters 9 languages) comes ever near to Arabic in its power of rehetoricism, in its ability to penetrate beneath and beyond intellectual comprehension directly As the emotions and make its impact upon them, In this respect, Arabic can be compared only to music. (Patai, R, 4, 101, p:48).

هكذا بدأت العربية لغة عالمية رحبة، منذ ارتهنت بحضارة صاعدة واعية، تجاهلت فواصل الأجناس والأديان، فغلبت عليها سماحة الأخذ وبراعة العطاء ودقة التفاعل وعمق الجدل، فحاورت وتداخلت، فازدادت ثراء وعمقاً ورحابة وإنسانية، ثم كانت لغة الترجمة، التي لم تعجز عن استيعاب الدخيل والمعرب من فارسي ويوناني وسيراني وهندي وغيره، فاتسعت مساحة التلاقح الثقافي من خلالها، فكانت لغة المؤلفين والمصنِّفين والمبدعين من جبال البرانس غرباً إلى الصين شرقاً، وظلت لغة الضاد المتميزة، التي تمكن من أصعب حروفها فسحاء القوم ونوابغهم، كما تبدت لغة جليلة وعظيمة في ثوب الحقائق العلمية فاستوعبت النظريات التي تمكن منه أعلام الفكر العربي.

البعد الدولي للغة وثقافتها:

أما من حيث البعد الدولي للغة العربية ودورها في تحقيق التواصل مع العالم الخارجي فيوضحها عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية في كلمته التي ألقاها في المؤتمر السنوي التاسع جمعية لسان العرب (القاهرة 29/ 10/ 2002) وكان عنوان المؤتمر: "اللغة العربية في التعاون الدولي".. يقول عمرو موسى:

"نحن جزء من العالم ولا يجب أن ننفصل عنه، ولقد أصبح العالم اليوم كوني الطابع متعولم الآلية. إننا نشهد وقائع العالم ساعة بساعة وننفعل بأحداثه. بل ونشارك فيه إن سلباً أو إيجاباً، ومسئوليتنا هي أن تكون مشاركتنا إيجابية، ودورنا فاعلاً خلاقاً نشطاً ومتجدداً، ومن هنا فلا يكفي أن يكون تعاملنا مع اللغة والنصوص والتراث، والرد فقط من منطلق الفخر أو التمتع بالماضي، بل علينا أن نطلق بها على نحو يمنحنا المزيد من المعرفة والقدرة، وأن نعي أن عملية الترجمة من العربية وإليها عملية ضعيفة غير مؤثرة لا تنقل إلينا من العمل ما يكفي، ولا تنقل عنا من الإسهام الحضاري ما يدفع عنا غائلة الاتهام العشوائي بالتخلف بل بالإجرام، وما يؤمِّن مشاركتنا في هذا العالم بحضور فعَّال مؤثر ولائق. إن على مجتمعنا المثقف أن يبني الطريق أمام الناس حتى يتم ترتيب العلاقة فيما بيننا وبين الغير في إطار من العصرنة والتطور والنظرة المستقبلية لا السفلية.

إن اللغة العربية التي استطاعت خلال امتدادها التاريخي بمرونتها وقدرتها على التفاعل أن تستوعب الثروة الهائلة من الكلمات الأجنبية الموروثة من لغات الشعوب أثناء الفتوحات الإسلامية قادرة على أن تطوّع نفسها لتستجيب لمطالب الحياة الجديدة في مجتمع متحضر على درجة عالية من الرقي. ويدل ذلك على قدرة اللغة العربية على استيعاب الثقافات (عمرو موسى، 56).

القسم الثالث:منهجية الدراسة

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الحديث عن دور اللغة العربية في إشاعة ثقافة التسامح ودعم قيم التفاهم العالمي وتأكيد مفاهيم التواصل الحضاري؟

وعلى وجه التحديد تحاول أن تجيب عن سؤالين رئيسيين هما:

أ- ما المبادئ والقيم التي ينبغي أن تحكمنا عند الحديث عن دور اللغة في إشاعة ثقافة السلام؟

ب- وما الآليات التي من خلالها تستطيع اللغة العربية تحقيق هذه المبادئ وترجمة تلك القيم إلى واقع يحيل ثقافة السلام من مفاهيم مجردة إلى أداءات عملية يلمسها الجميع؟

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على الحديث عن المبادئ العامة لثقافة السلام وآليات التنفيذ دون التطرق إلى الجوانب الخاصة بموقف الأديان من هذه المبادئ. إذ استفاض فيها الكثيرون وتعددت الرؤى، وإن استلزم الأمر الإشارة الموجزة لبعض هذه المبادئ كلما اقتضى الأمر ذلك.

أهمية الدارسة:

يتوقع لهذه الدراسة أن تسهم في تحقيق ما يلي:

1- عرض وجهات النظر المختلفة لمفهوم التسامح ومناقشة ما يشتمل عليه من تضمينات وتطبيقات تسهم في خلق أرضية مشتركة بين المفكرين في هذا المجال على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم.

2- مناقشة الدواعي التي تستلزم إشاعة قيم التسامح في مجتمعنا المعاصر مما يؤكد أهميتها والحاجة إلى تقدير الجهود المبذولة في ذلك.

3- إلقاء الضوء على موقف الثقافة الإسلامية من الآخر وبيان مظاهر احترام الإنسان العربي المسلم لثقافة الآخر وإن لم يقبلها.

4- مناقشة الآليات الثقافية والتربوية التي يمكن بواسطتها تنمية ودعم قيم التسامح والتفاهم العالمي سواء بين الأفراد أو الحكومات أو الشعوب، مع التركيز على دور المعلم في ذلك..

5- دحض الافتراءات التي تتوجه للثقافة العربية الإسلامية وعلى رأسها تهمة الإرهاب وخلق النزاعات بين الشعوب.

6- نشر ثقافة السلام.. ذلك أن كل ثقافة تمثل رسالة يجب السعي لإيضاحها ونشرها.. إن الحديث عن ثقافة السلام بمثابة الدعوة إلى يتحمل أعباءها داعية يناضل في سبيها ويتحدى الصعاب في سبيل نشر ما يؤمن به.. وليس مجرد باحث ينتهي أمره عند تفسير النتائج أو إقرار الحقائق. من هنا تأتي أهمية تفعيل الأدوار السياسية والمسؤوليات الفردية والاجتماعية المعنية بثقافة السلام.

أقسام الدراسة:

تنقسم هذه الدراسة إلى أربعة أبواب رئيسية يندرج تحت كل منها عدد من الفصول بيناها كالتالي:

- **الباب الأول: مشكلة الدراسة ومنطلقاتها:** وتحت هذا الباب يندرج ثلاثة فصول. الأول نعرض فيه مشكلة الدراسة والثاني نقدم فيه تعريفاً لأهم المفاهيم والمصطلحات شائعة الاستخدام في مجال هذه الدراسة، أما الفصل الثالث فنتعرض

فيه لعدد من الأسس والمنطلقات التي تستند إليها الدراسة الحالية ... والتي يعد التسليم بها شرطاً لمواصلة القراءة.

- **الباب الثاني: القيم والمبادئ:** وتحت هذا الباب يندرج فصلان نناقش فيهما أهم القيم الثقافية والسياسية والاجتماعية واللغوية التي ترد في سياق الحديث عن التعارف والتسامح والتفاهم العالمي. وكذلك المبادئ التي ينبغ أن تحكمنا عند معالجة القضايا الشائعة في هذا المجال. فهناك حديث في الفصل الرابع حول اللغة والسياسة، فاللغة ليست مجرد إدارة لمسرح الأحداث السياسية بل تعد جزءاً من الأحداث السياسية نفسها، فهي تشكل معنى الأحداث وتساعد على تشكيل الأدوار السياسية والسلوك العام للشعب، ولقد كان للغة دائماً دور كبير سواء في توحيد الشعوب أو تجزئتها. أما الفصل الخامس فيعالج قضية اللغة والهوية ... إن اللغة تمثل ذاكرة الأمة .. تختزن تراثها وقيمها ومفاهيمها ... وهي عماد الثقافة وحجر الأساس في تطور بنية الشخصية القومية للأمة.
- **الباب الثالث: البرامج والآليات:** وتحت هذا البد تندرج أربعة فصول تدور حول آليات تطبيق مفاهيم التعارف وتعزيز قيم السلام وبث ثقافة التسامح بين مختلف الأطراف .. ونجمل هذه الآليات في أربع رئيسية هي: الآليات اللغوية والثقافية والاتصالية والإعلامية والتربوية، وفيما يلي حديث عن كل منها:
- **الفصل السادس: الآليات اللغوية:** اللغة هي محور الحديث في هذه الدراسة ولا شك أن اللغة تلعب هذا الدور المحوري من خلال عدة أبعاد، منها التعريب والترجمة ونشر اللغة في الخارج ودعم اللغة في بيئتها فضلاً عن إبراز ما تميز به هذه اللغة من خصائص.

الفصل السابع: الآليات الثقافية: في ضوء مفهومها الواسع تشكل منظومة يمكن من خلالها تحقيق التعارف بين الشعوب .. إن منشأ الصراع بين الشعوب يكمن إلى حد كبير في تفاوت المفاهيم الثقافية من شعب لآخر.

- **الفصل الثامن: الآليات الاتصالية ... اللغة،** أي لغة لها عدة وظائف من أهمها تحقيق التواصل بين الناطقين بها وبينهم وبين غير الناطقين بها ... والاتصال ليس

عملية عشوائية تجري كيفما اتفق .. بل هي منظومة متكاملة ذات أركان يلعب كل منها دوراً في تحقيق الاتصال.

- **الفصل التاسع: الآليات الإعلامية:** يطلق على عصرنا هذا أسماء ومصطلحات كثيرة لعل من أكثرها شيوعاً أنه عصر الإعلام والفضائيات .. ولا شك أن للإعلام دوراً كبيراً في تحقيق التعارف بين الشعوب وإشاعة ثقافة السلام بينها.
- **الفصل العاشر: الآليات التربوية** ... إن قيم التعارف والتسامح والتفاهم العالمي والسلام لا تجد طريقها للتنفيذ ما لم تجد طريقها أولاً للتربية .. إن القضية في المقام الأول هي الإنسان وتهيئته لقبول الآخر ... وذلك لن يتحقق إلا من خلال التعلم أولاً ..

مما يستلزم، ونحن نتحدث عن الآليات أن نقف على أهم الاتجاهات العالمية في التربية على السلام وكذلك أن ترسم صورة الإنسان المستهدف الذي ننتمي على التربية إعداده وكذلك منظومة القيم التي يجب أن نركز عليها. والمناهج التي ينبغي أن نعيد بناءها أو نبنيها من جديد. وأخيراً المعلم الذي يجب أن نعهده له بهذه المهام ... ولقد أجِّل الحديث عنها لأهميتها البالغة.

وبعد:

فإن الخيط الذي يربط بين كل أفكار هذا الكتاب هو ثقافة السلام ... ولعل الكلمة المفتاحية في إشاعة ثقافة السلام هي الحوار مع الآخر .. فهو السبيل للتوصل إلى التفاهم .. والشرح دون الهجوم وبغير خصوم، فمن خالفك في الرأي لا تتخذه عدواً لك .. فإنني قد أخالفك في الرأي ولكني مستعد، كما يقال في المثل، لأن أبذل حياتي لكي تعبر بحرية عن رأيك .. وفي المثل القديم ما يعبر عن ذلك أيضاً إذ يقول: من لم توافقك صداقته لا تتخذه لك عدوا ً .. والحوار الحقيقي يبدأ ف الساحة المشتركة حتى يكون له عمق الإيمان العملي. وتنفتح به القلوب والعقول .. وتتحقق له الحرية ويأمن الفكر ..ز إنه الطريق الأمثل للإقناع الذي ينبع من أعماق صاحبه .. والإقناع أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفر وإنما يبدأ من داخل الإنسان.

وفي ضوء ذلك يتأكد الهدف الرئيسي لهذه الدراسة فيما يلي:

بيان دور اللغة في خلق حوار مثمر بين الأفكار والمواقف المتباينة وبين الثقافات والأديان واقتراح السبل الكفيلة بتطوير العلاقات والاتصالات بين طرفي العالم وتحفيز تفاهم أفضل واتصالات أوثق بين الحضارتين .. مما يخلق جواً من الثقة والأمن ..ز ويبعد مختلف الأطراف عن التفسير الأحادي للحقائق حتى لا تتسع الهوة بين العالمين.

اللغة إذن مفتاح التواصل (وليس الاتصال) .. ومن خلالها تتقارب الأفكار .. وتزال ما يعترض السلام من عقبات أيديولوجية.. وما يشهده المجتمع الإنساني من تباين في أنظمة القيم.. وقديماً استلهمت الأمم المتحدة ديباجة وثيقة اليونسكو بعبارتها الشهيرة: "إن الحرب تبدأ في عقول الأفراد" .. وحسب مفهوم المخالفة فإن السلام منها يبدأ ..

نسأل الله الذي جعل من أسمائه الحسنى السلام .. وتحية الإسلام السلام .. ومن أبواب الجنة السلام ... وختام الصلاة السلام.. أن تعم شعوبَ الأرضِ ثقافة السلام .. وأن تتأكد بين الناس قيمها، وتتحول في حياتهم من مفهومات مجردة إلى سلوكيات ينعم الجميع بآثارها .. وأن ينصر كل داعية إليها.

إنه نعم المولى ونعم النصير

المؤلفان

رشدي احمد طعيمة

محمود كامل الناقة

القاهرة

رمضان 1427/ أكتوبر 2006

الفصل الثاني

مفاهيم ومصطلحات

مقدمة:

تتردد في مجال هذه الدارسة مفاهيم ومصطلحات كثيرة تختلط عند البعض عن تفاوت في وجهات النظر أحياناً، وتختلط عند آخرين عن سوء فهم، وتختلط عن البعض الثالث عن سوء قصد وتعمد أحياناً لإساءة الفهم.. ومن بين الميادين التي يساء عرض المفاهيم فيها عن قصد؛ إما هرباً من المساءلة أو تشويغاً لأمر غير شرعي ميادين الحديث عن التسامح والتفاهم العالمي والسلام وحقوق الإنسان.

وفيما يلي عرض لبعض المفاهيم والمصطلحات التي نرى لها أهمية خاصة، مع حرص على أن تكون مرجعيتنا ما ورد في المواثيق أو نصت عليه القوانين، أو أقرته هيئات دولية ذات شأن في هذا المجال.

1- **التربية:** نصت توصية المؤتمر العام لليونسكو المنعقد في باريس من 12/ 10/ 1974 إلى 23/ 11/ 1974 في دورته الثامنة عشرة بشأن التربية من أجل التفاهم والتعاون والسلام على الصعيد الدولي، والتربية في مجال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، على أن التربية تعني مجموع عملية الحياة الاجتماعية التي عن طريقها يتعلم الأفراد والجماعات، داخل مجتمعاتهم الوطنية والدولية ولصالحها، أن ينمُّوا بوعي منهم كافة قدراتهم الشخصية واتجاهاتهم واستعداداتهم ومعارفهم، وهذه العملية لا تقتصر على أي أنشطة بعينها.

2- **مفهوم الثقافة:** في الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي (الأيسيسكو) يتم تعريف الثقافة كالتالي:

"التعبير عن مدى التقدم والرقي في مختلف جوانب الحياة البشرية ومجالاتها، وإبراز ما يبدعه الإنسان من خلال تفاعلاته مع الوجود المحيط والذي سخره الله له

ولترشيد عقيدته وقيمه الإنسانية، وإبراز الخصائص الكامنة فيه من فكر وسلوك يتواكب مع الواقع الذي يعيشه الفرد والمجتمع وفق معايير ومضامين إسلامية تنبع من العقيدة الإسلامية الخاصة".

ويحدد ميثاق الأيسيسكو نوع الثقافة المنشودة بأنها:

أ- الثقافة البانية للإنسان والحضارة.

ب- الثقافة الموحِّدة للكيان وللأمة.

ج- الثقافة الحضارية للبناء والعمران.

د- الثقافة القوية للحفاظ على الذات والهوية".

وهذا المفهوم العلمي للثقافة هو من العمق والشمول بحيث يستوعب كل المعاني والمضامين والقيم والمثل والمبادئ الرفيعة التي جعل من الارتقاء بالحياة هدفاً رئيسياً لها. فهي بذلك ثقافة هادفة إلى كل ما فيه إسعاد للإنسان وإعمار للأرض وعلاء لصروح الحضارة ورفع المنارات المدنية.

والثقافة كما يرى بعض المفكريين تتكون من عنصرين: عنصر معرفي خالص وعنصر قيمي سلوكي. والثقافة بهذا المعنى ينبغي أن تفهم بأوسع معانيها. فهي تشمل كل فعالية للإنسان تميزه عن أفعال الطبيعة. وكل نشاط ذهني أو مادي يقوم به لرفض التقبل السلبي للطبيعة اعتباراً من أبسط السلوك للإنسان البدائي حتى إنسان العصر الإلكتروني.

وتمايز الثقافات لا يرجع إلى اختلافها في أنواع المعارف التي تتكون منها، إذ ليس للمعارف خصوصيات تربطها بأمة دون أمة. وإنما يرجع التمايز إلى اختلاف القيم الأساسية الحاكمة للسلوك والمستخدمة لتحديد الموقف منه والمحددة للنظرة السائدة في جماعة من الجماعات تجاه الطبيعة وتجاه الآخرين.

3- **التفاهم والتعاون والسلام**: كما نصت التوصية السابقة في المؤتمر السابق لليونسكو في دورته (الثامنة عشرة على أن عبارات التفاهم والتعاون والسلام على الصعيد الدولي: يقصد بها أن تعتبر كلا لا يتجزأ قوامه مبدأ العلاقات الودية بين الشعوب

والدول ذات الأنظمة الاجتماعية والسياسية المتباينة، ومبدأ احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وفي نص هذه التوصية تجمع مختلف المفاهيم التي تتضمنها هـذه العبارات في عبارة موجزة هي التربية الدولية.

4- التسامح: لمفهوم التسامح قدمت تعريفات كثيرة وتناوله المفكـرون مـن زوايـا مختلفـة، فمنهم من أسهب في شرحه وبيان جذوره، ومنهم من اجمل في ذلك .. بـل منـهم مـن عارضه ورفضه رفضاً مطلقاً .. وله بعد ذلك تضمينات نعرضها فيما يلي:

(أ) المفهوم

تعرض هويدا علي لجذور المفهوم كما يلي:

إن لفظ التسامح مشتق مـن الكلمـة اللاتينيـة Tolere أي يعـاني أو يقاسـي، وفي اللغة الإنجليزية هناك مقابلان لكلمة تسامح: الأول Tolerance والثاني Toleration ممـا أدى لتعدد الاجتهادات في تفسير الفروق بينهما. فوفقاً لمعجـم وبسـتر في طبعتـه الثانيـة تعني كلمـة Toleration سياسـة التسـامح بوجـود كـل الآراء الدينيـة وأشـكال العبـادة المناقضة أو المختلفة مع المعتقد السائد. بينما لفظ Tolerance يعني استعداد المرء لتحمـل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عما يعتقد به (هويدا علي، 95، ص 13).

وفيما يلي تعريفات أخرى له:

أ- التسامح السياسي: يقصد به الاسـتعداد لتقبـل جماعـات أو أفكـار يعرضـها المـرء والإقرار لها ولأصحابها بحقهم في ممارسة كافة حقوقهم السياسية والمدنيـة (هويـدا علي، 95، ص 13).

ب- يتساءل الفيلسوف الفرنسي فولتير: ما هو التسامح؟ إنه نتيجة ملازمـة لكينونتنـا البشرية. إننا جميعاً من نتاج الضعف. كلنـا هاشـون وميـالون للخطـأ ولـذا دعونـا نسامح بعضنا ونتسامح مع جنون بعضنا البعض بشكل متبادل.

ج- وفي المؤتمر العام لليونسكو في 16/ 11/ 1995 نصت المـادة الأولى في إعلانـه علـى أن التسامح يعني الاحترام والقبول والتقديـر الشـرعي لثقافـات عالمنـا ولأشـكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا. وهو موقف إيجابي فيه إقـرار بحـق الآخريـن في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالمياً.

د- ويقصد به قابلية الفرد للتطبيق العملي لمعنى الالتزام واحترام معتقدات الآخرين وعاداتهم ومشاعرهم بغض النظر عن ألوانهم وانتماءاتهم الدينية أو العرقية أو المذهبية أو خلفياتهم الاجتماعية.

هـ- يعرفه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية بأنه موقف يتجلى فيه الاستعداد لتقبل وجهات النظر المختلفة بما يتعلق باختلافات السلوك والرأي دون الموافقة عليها. ويرتبط التسامح بسياسات الحرية في ميدان الرقابة الاجتماعية حيث يسمح بالتنوع الفكري والعقائدي على أنه يختلف عن التشجيع الفعّال للتباين والتنوع (أحمد زكي بدوي، 6، ص 426).

(ب) تضمينات المفهوم:

1- ليس التسامح وحده هو المنشود في العلاقات بين الأفراد والشعوب. وإنما لابد أن يكمله السلام ... فكلاهما، التسامح والسلام يكمل مضمون الآخر .. إن السلام هدف إنساني نبيل وغاية تسعى إليها كل المجتمعات المحبة للسلام والساعية للرخاء والأمان وهو في النهاية مناط الرجاء من وراء أي تسامح ...

2- ليس التسامح فضيلة أو قيمة لابد أن تتوافر فيما بين أعضاء المجتمع فحسب.. بل لابد أن تتوافر أيضاً لدى الدولة. فالدولة التي تقصر تحديد هويتها على جنس أو دين أو لغة واحدة دون اعتبار للأقليات الموجودة فيها تنتهك قيمة التسامح (هويدا علي، 90، ص 38).

3- إن الشأن العام هو مجال التسامح وليس الشأن الخاص للفرد، فالساحة العامة فقط هي مجال الصراع والتنافس وكذلك التسامح بين الأفراد.

4- إن التسامح يعني في المقام الأخير قبول الاختلاف وأن نقيضه هو التعصب. والذي ينفي الاختلاف ويسعى للبحث عن التماثل وإنكار أي شكل من أشكال التنوع والاستقلال.

5- يتطلب إرساء قيم التسامح والعيش بسلام تجاوز التوترات المتمثلة في معظم الأحوال في أشكال الصراع بين التقاليد والحداثة. والتنافس مقابل تكافؤ الفرص، والنزاع بين العالمي والمحلي. وبين تفجر المعرفة وملاحقتها واستيعابها. والفجوة بين العالمين الروحي والمادي.

6- لا يكفي التعبير عن التسامح عند التعامل مع الآخر بل ينبغي التعبير عن الاحترام أيضاً. إن التسامح قيمة قد تبدو بذاتها سلبية. لكن الاحترام يفرض مجموعة من الأداءات التي تعمق الصلة بين الأفراد والشعوب.. إن احترام الآخر المؤسَّس على الموقف العلمي الواقعي هو الأساس في وجود التسامح ..

7- إن المسائل الخاصة بالتسامح لا يمكن أن تحل في نطاق النصوص القانونية. بل هي مسألة تحل أولاً وقبل كل شيء على أرض الواقع ... الواقع هو الذي يحدد مسار النصوص القانونية وتطورها في المستقبل.. إن من الملاحظ وجود فجوة بين التسامح كمبدأ أو التسامح كسلوك.

8- يكمن خطأ المتعصب في عزل نفسه عن الجوانب الإيجابية في المذاهب والآراء الأخرى. واتخاذه لمعتقده ووجهة نظره مقياساً للحكم على معتقدات الآخرين ومذاهبهم وآرائهم ... ومن هنا تأتي أهمية الحوار وضرورة التلاقي والتسامح.

9- ليس تلاقي الأديان والمذاهب غير مظهر واجب من المظاهر المتزايدة لتلاقي الحضارات والشعوب في عصرنا هذا .. ولا يعني هذا مطالبة اتباع أي دين باطراح أية حقيقة جوهرية فيه وإنما يعني: تجاوزنا بالاستماع في صبر والجدال في تأدب إلى:

- التفتح الذي يمكننا من الاستفادة والتعلم من الآخرين.
- تصحيح بعض مفاهيمنا عند الضرورة.
- التفرقة بعناية بين الجوهري وغير الجوهري في معتقداتنا.
- التفرقة أيضاً بين الرمزي وغير الرمزي ثم إعادة تفسير الرمزي.
- الحرص على تعرف مذاهب الآخرين ومعتقداتهم والإيمان بأن إقدام المرء على تعميق فهمه لدين الآخرين يعني تعميق فهمه لدينه هو..
- الثقة بأن المتدين الحق ليس هو من كان بوسعه تفنيد الأديان الأخرى والسخرية من معتقداتها .. وإنما المتدين الحق هو من كان بوسعه أن يميز الحقائق الواردة في الديانات الأخرى ثم ينتقل بعدها إلى ما هو أبعد من ذلك.

10- يختلف مفهوم التسامح عن اللامبالاة Indifference فالتسامح ينطوي على قدر من المعاناة والتحمل من قبل الشخص تجاه من يختلف عنه على عكس اللامبالاة التي لا يترتب عليها أي أعباء.

11- يتشابك مفهوم التسامح مع مفاهيم أخرى عديدة مثل مفهوم التنوع والخصوصية والمواطنة والجماعة السياسية الواحدة، يفترض التسامح أن هناك تنوعاً أو تعدداً في المجتمع أياً كانت طبيعته.

12- يطلق على التسامح "الفضيلة الصعبة" فالتسامح يبدو ضرورياً و مستحيلاً في الوقت نفسه. فهو ضروري عندما توجد جماعات مختلفة ذات معتقدات أخلاقية أو سياسية أو دينية متعارضة أو متناقضة. وأنه لا بديل أمامهم سوى العيش معاً. وذلك لأن البديل الآخر هو الصراع المسلح أو الحرب الأهلية.

13- إن التعصب ليس قاصراً على الأغلبية أو المجموعات الأقوى تجاه الأقليات أو الجماعات الأضعف، فالتعصب هو موقف أي جماعة تجاه من يختلف معها بغض النظر عن وضعيتها.

14- إن الحوار المبني على قاعدة التسامح ينبغي ألا يحّول مفهوم التسامح نفسه إلى القبول أو الموافقة على أمور وقضايا وقيم لا ينبغي قبولها أو الموافقة عليها. أي بقيم وتقاليد وقضايا وتطلعات وتوجهات تعد من قبلنا انتهاكاً لحقوق الإنسان الأساسية والحوار المبني على قاعدة السلام لا يتحقق إلا إذا اكتملت شروطه السياسية والفكرية والاقتصادية التي تسمح لكل جماعة بحيازة شروط بقائها وازدهارها.

15- ويرفض البعض التسامح كلمة ومفهوماً من منطلقات مختلفة. من أكثرها شيوعاً.

- إن الإنسان في بحثه عن الحقيقة لابد له أن يعطي الحق لأخيه .. إنه يبحث عن الحقيقة بطريقته فهذا الاحترام المتبادل من الإنسان لأخيه في البحث عن الحقيقة لا نسميه تسامحاً بل هو حق أصيل..
- إن التسامح يكون على المستوى العاطفي ونحن لا نريد أن نأخذ قراراتنا على المستوى العاطفي. وإذا كنا نتسامح مع الشر ونتسامح في نقيضه أي في الخير فليس هناك تسامح!

- هذه الكلمة إن جاز استخدامها في القرن السابع عشر وقت كتابة جون لوك "لرسالة التسامح" لمقاومة ما ساد في زمنه من اضطهاد ديني فهي لا تعني اليوم غير قلة الاكتراث بالتفرقة بين الحقيقة الروحية والخطأ الروحي ولا سند لها على الإطلاق من حب الآخرين واحترامهم ... هي كلمة توحي في واقع الأمر بنوع من الاحتقار للآخر. فإن قال لي امرؤ أنه "يحتملني" فالمؤكد أنه ليس صديقي. وإن قال أنه يتسامح مع آرائي فالمؤكد لأنه لا يحترم هذه الآراء، وفي اعتقادي أن من الواجب في زماننا هذا أن نتجاوز الاحتمال والتسامح إلى الاعتراف والمعايشة (حسين احمد امين، 19، ص 25).

5- **التعصب**: يورد هاني الجزار تعريفات متعددة للتعصب، من أبرزها أنه اتجاه سالب لا يمكن تبريره إزاء جماعة ما يقوم على حكم مسبق يجعلنا نتحيز ضد أعضائها فقط لأنهم ينتمون لهذه الجماعة، والتعصب كاتجاه هو مزيج من المعتقدات والمشاعر والميل للسلوك، ومن جملة التعريفات الكثيرة التي أوردها للتعصب يحدد هاني الجزار المتضمنات الأساسية لاصطلاح التعصب في عدد من النقاط:

أ- اتجاه قد يكون سالباً أم موجباً.

ب- ينطوي على حكم مسبق لا ينبني على شواهد معرفية ويصعب تغييره.

ج- هذا الحكم تصحبه مشاعر بالتفضيل (حب) أو عدم التفضيل (كراهية) إزاء موضوع التعصب.

د- ويترتب عليه نزوع السلوك بشكل تمييز سواء (ضد) أو (في صالح) موضوع التعصب (هاني الجزار، 29، ص ص 13-25).

6- **العنصرية**: ويرى هاني الجزار أيضاً أن العنصرية مكن أكثر المفاهيم التي تتداخل ومفهوم التعصب إلى حد سيادة الاعتقاد بأن التعصب لا يعني سوى العنصرية.

ويورد من الأدبيات السياسية تعريفاً للعنصرية مؤداه الاعتقاد بأن الإرث الثقافي أو العنصري لجماعة الفرد يتفوق نظرياً على الإرث الثقافي أو العنصري للجماعات الأخرى، يصاحب هذا الاعتقاد اتجاهات التعصب ضد أعضاء الجماعات التي صنفت بوصفها أدنى أو اقل. (هاني الجزار، 87، ص 31).

7- **الأقليات:** لقد راجت هذه الكلمة في عصرنا، نتيجة لكثرة الهجرات وتقارب العالم بعضه مع بعض، ويراد بها: كل مجموعة بشرية في قطر من الأقطار تتميز عن أكثرية أهليه في الدين، أو المذهب أو العِرْق، أو اللغة، أو نحو ذلك، من الأساسيات التي تتمايز بها المجموعات البشرية بعضها عن بعض.

ومثال ذلك: الأقليات المسلمة في المجتمعات المسيحية في الغرب، أو الهندوسية في الهند، أو البوذية في الصين، فهي تخالف الأكثرية في العقيدة والدين، ومثلها الأقليات المسيحية في مصر وسورية والعراق وغيرها. والأقليات اليهودية في المغرب وإيران وتركيا وغيرها. ومثلها الأقليات الكاثوليكية في كثير من بلدان العالم.

وهناك الأقليات العِرقية كالأقليات البربرية في الجزائر والمغرب والأقليات الكردية في العراق وإيران وتركيا وسورية. وهناك الأقليات اللغوية، مثل الأقليات الناطقة بالفرنسية في كندا (مونتريال وما حولها) وأظهر الأقليات في العالم هي الأقلية الدينية، وهي التي تثور حولها المشاكل هنا وهناك.

ومن لوازم الأقلية: أنها تكون عادة ضعيفة أمام الأكثرية فالكثرة تنبع عن القوة والقلة تنبع عن الضعف.

8- **التداخل اللغوي:** يقصد بالتداخل اللغوي Interference استعمال عناصر لغوية عائدة إلى لغة من اللغتين حين نتكلم اللغة الأخرى إذ نكتب بها.

9- **الافتراض اللغوي:** يقصد بالافتراض اللغوي Emprunt اندماج عنصر من عناصر التداخل اللغوي بشكل منظم في تنظيم اللغة الأخرى وفي كلام غالبية الأشخاص الثنائي اللغة ويحصل اقتراض لغوي حين يستعمل الأشخاص الثنائية اللغة العناصر اللغوية العائدة إلى لغة معينة كعناصر لغوية تابعة للغة أخرى.

10- **الآليات:** يقصد بالآليات مجموع الوسائل والأساليب الإجرائية التي يمكن من خلالها توظيف اللغة في تعزيز قيم التعارف والتفاهم والسلام.

الفصل الثالث

الأسس والمنطلقات

مقدمة:

إن حديثنا عن دور اللغة في تحقيق التعارف والتفاهم العالمي وإرساء قيم السلام ودعم مبادئ التسامح بين الشعوب والثقافات يستند إلى مجموعة من المنطلقات؛ منها ما يخص النظرة إلى اللغة ودورها، ومنها ما يخص التعامل مع الثقافات، ومنها ما يخص ثقافتنا وتراثنا، ومنها ما يخص غير ذلك من أمور.

القسم الأول: التواصل اللغوي

1- إن اللغة ليست شفاهاً تتحرك ولا أصواتاً تلقى، وإنما هي روح تصنع الأفكار وتصنع لها كذلك أوعيتها وتلّونها بها. إن الجانب الفكري في اللغة هو جانبها المثمر. فاللغة هي التي تشكل عقولنا. وهي التي تنشئ عندنا مفاهيمنا، وهي التي تصنع بالتالي سلوكنا، ثم هي التي تخلق وحدتنا، وإذا كنا نتجه إلى ذلك أو نريد أن نتجه إليه فكيف نهمل الأداة إليه ونخطئ الطريق نحوه.

2- ليست اللغة معطاً منفصلاً عن المجتمع الذي نتعلم فيه. وإنما هي وثيقة الصلة بالظاهرة الاجتماعية، عنها تنشأ، وإلى حاجات التواصل بين أفرادها تستجيب، وتتوقف طبيعة الاتصال اللغوي في ضوء ذلك على الظروف التي يمر بها كل مجتمع على حدة، ويختلف دوره باختلاف السياق المحيط به. وبمعنى آخر لا توجد وصفة جيدة وحيدة للاتصال اللغوي تناسب أبناء الثقافات الأخرى في جميع البلاد التي يقيمون فيها، فما يناسب هؤلاء في إنجلترا قد لا يناسب زملاءهم في فرنسا، وقد لا يناسب كلاهما زملاءهم في اليابان... وهكذا..

3- يستلزم التحديد الدقيق لمهام الاتصال اللغوي مع الشعوب الأخرى وجود رؤية واضحة وبعيدة المدى لتطوير البنى الأساسية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والثقافية والتربوية. وذلك للمجتمع الذي تخاطبه. على أن تتسم هذه الرؤية بالشمول والتنوع ووضوح المعالم.

4- كلما تقاربت مستويات التعبير في مجتمع من المجتمعات دل ذلك على تجانس المجتمع وحيوية ثقافته. ومن ثم على تكامله وسلامته العقلية. فمن الثابت أن العصور التي يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات اللغوية هي غالباً أزهى العصور وأرقاها. أما إذا كان كل مستوى لغوي بعيداً كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلي في المجتمع. وهذا يؤدي إلى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال.

5- الانفصام اللغوي يترتب عليه غالباً انفصام ثقافي.. من هنا فإن قضية التعليم بلغة أجنبية أو إشاعة استخدامها في محيطنا التربوية لا ينبغي أن ينظر إليها على أنها قضية تربوية تخص المشتغلين بالتعليم فقط .. بل هي قضية قومية تمس الأمن الاجتماعي في المقام الأول.

6- إن انتشار اللغة العربية عالمياً لن يكون على حساب اللغات الأخرى. بل قد يحفظها لشعوبها وقبائلها إيماناً بأن اختلاف الناس في لغاتهم مثل اختلافهم في ألوانهم. وما هذا الاختلاف إلا آية من آيات الله تعالى في هذا الكون.. ولا يمكن لإنسان، مهما ملك من القوة والقدرة على تجاهل هذا الاختلاف، أن يفرض لغته. ولئن حدث فلن يكون ذلك إلا لفترة معينة تعود بعد ذلك فيه كل قبيلة إلى لهجتها وكل شعب إلى لغته.

7- إن احترام الآخر للغة العربية لن يأخذ مكانه إلا إذا بدأ احترامها في نفوس أصحابها. إن قيمة احترام اللغة كالقيم الأخرى تكتسب اكتساباً ولا تفرض قانوناً... مما يستلزم أن نوفر لأبنائنا المناخ العلمي الذي يساعد على غرس قيمة الاعتزاز باللغة العربية فينشأ الطالب العربي وهو يعتز بها عملياً بعد أن أشبع من الاعتزاز بها لفظياً.

8- إن دعم اللغة العربة دعم لهويتنا وتأكيد لذاتيتنا .. بل هو فرض علينا حتى نفي بواجباتنا الإسلامية التي تستلزم استخدام العربية ... وما لا يتم الواجب به فهو واجبه.

القسم الثاني:حوار الثقافات

1- لما كانت الكلمة يجري استعمالها عادة في إطار تبادلي قولي (شفهي أو مكتوب) وأن هذا التبادل محكوم برغبة المشاركين فيه في بذل أقصى ما بوسعهم بذله من مجهود للفهم والإفهام، فإن معنى الكلمة لا يحدده المتلفظ بمفرده وبحسب إرادته (نحن العرب) ولكن بالاشتراك مع المتلقي قارئاً أو مستمعاً (المقصود بالخطاب في الثقافات الأخرى).

2- إن في تراثنا العربي الإسلامي تفاعلاً وتلاقحاً مع ثقافات متعددة مثل الثقافة اليونانية والفارسية والهندية. وقد أفضى هذا التفاعل والتلاقح إلى ازدهار تيارات وممارسات فكرية وسياسية وأدبية ولغوية وعلمية وإدارية وتنظيمية تشكل تراثنا العربي الإسلامي في القرون الأربعة الهجرية الأولى. لقد كانت بنية الواقع العربي الإسلامي آنذاك البنية الأقوى فلم تفرض هذه الثقافات فرضاً. (محمود أمين العالم، 80).

إن هناك بالفعل عناصر مشتركة بين الحضارتين الإسلامية والغربية ترشحانهما للتواصل وتبادل الخبرات، وتحول دون الصدام والمواجهة.

3- إن الانفتاح على العالم الخارجي والدعوة إلى التواصل مع الثقافات الأخرى لا يعني النقل الأعمى عنها. فلابد أن نتفهم ونتخير ما يتفق مع أصول حضارتنا فنأخذه. وما يتعارض معها فنرفضه.

4- إن الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، ونحن نتواصل مع الآخر، لا تعني المساس بأصول ثقافتنا الإسلامية الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة. فهما ليس مجالاً للتجديد.وغن المساس بالنظم الأساسية القطعية تبديد للدين وليس تجديداً له ..

ولقد أوصى مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في دورته الخامسة عشرة بمسقط من 6/ 11 مارس 2004 بما يلي:

لا يجوز أن يؤدي تجديد الخطاب الإسلامي بدعوى مواكبة المتطلبات والمعطيات العصرية إلى تغيير الثوابت أو التخلي عن أي مبدأ من مبادئ الإسلام أو الأحكام الشرعية المقررة.

5- يستلزم تجديد الدعوة مضموناً وتجديدها أسلوباً الأخذ بالتكنولوجيا المعاصرة. وليس من المعقول أن تتقدم تكنولوجيا الاتصال بهذه الطفرة التي لم يشهدها المجتمع من قبل، في الوقت الذي نكف عن توظيفها في الدعوة، أو استثمار إمكاناتها في التواصل الثقافي، ويستلزم هذا أيضاً تصحيح نظرتنا إلى تكنولوجيا الاتصال والوعي بكافة إمكاناتها خاصة في أبعادها الثقافية التي هي مناطق الحديث هنا.

6- إن علاقة الإسلام بالغرب لن تتحسن بمجرد الشرح والبيان. وإنما لابد إلى جانب ذلك أن يبذل المسلمون أنفسهم وفيما بينهم جهوداً متواصلة من أجل أن يكونوا مسلمين حقيقيين، فلا يدعون إلى التسامح وهم متفرقون. ولا يرفعون شعار التآخي وهم متخاصمون .. إن المسلم بسلوكه يعد أكبر دعاية للإسلام .. أو ضد الإسلام.

ومن الواضح أن هذا السلوك لا يعني الانعزال عن حركة الحياة، أو الانفصال عن ركب العالم أو التقوقع في صومعة الزهد .. ولكنه عمل ومعاملة، وضرب في الأرض من أجل البناء والتعمير.

7- إن فتح أبواب الحوار مع الآخر يقتضي أولاً الإيمان بالتعددية ... والتعددية تقتضي التمايز ... إننا إذا دعونا لتعميم حضارة واحدة .. وغلّبنا نسقاً ثقافياً واحداً تحت ظل العولمة فإننا نكون قد قضينا على صدق دعمنا للتعددية لأنه لا تعدد إلا عند الاختلاف .. وهذا الاختلاف هو الذي يصنع الغنى ويصنع الثراء ويضيف تجربة قوم إلى تجربة قوم وخبرة أمة إلى خبرة أمة أخرى ..

8- يستلزم الحوار مع ا لآخر أيضاً الإيمان الشديد باستحالة إزالته وتصفيته .. وفي خصوص الحضارة العربية الإسلامية والحضارة العربية ينبغي أن يدرك المسلم بأنه

لن يستطيع ا لتخلص ممن ليس مسلماً .. وينبغي في المقابل أن يدرك الآخر أن التصفية الثقافية لحضارة سدس البشرية (وهم مسلمون) أمر لا هو ممكن ولا هو مطلوب ولا مجرد مقبول كفكرة أو خاطر.

9- إن مبدأ التعاون في الإسلام من مبادئ التشريع الأساسي للاجتماع البشري، فإرادة التعاون عند المسلمين لم تنشأ من الضرورة التي فرضتها تحولات الحياة وعلاقات البشر .. ولم تنشأ من الشعور بالضعف الذي يدفع للتواصل مع الغير .. بل هي اختيار ناشئ من التشريع الإلهي كما ورد في القرآن الكريم في جملة من الآيات وكما ورد في أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكما طبقها المسلمون في أزهى عهودهم وفي عز قوتهم حين كانوا قادرين على تجاهل الآخرين.

الباب الثاني

القيم والمبادئ

الفصل الرابع: اللغة والسياسة

الفصل الخامس: اللغة والهوية

الفصل الرابع

اللغة والسياسة

مقدمة:

يخطى من يظن أن اللغة مجرد وسيلة اتصال يتبادل الأفراد بواسطتها أفكارهم ويقضون من خلالها شئونهم، وأنها مجرد رموز صوتية يتفق الناس على دلالاتها. إنها بكل تأكيد أكبر من ذلك وأخطر، إنها رابطة تشد أفراد المجتمع بعضهم إلى بعض.. توحِّد بين أفكارهم وتلوِّن أحاسيسهم، وتحدد رؤاهم، وتدعم ما لديهم من إحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة. وتمثل العمود الفقري لما يطلق عليه "ذاتية ثقافية".

القسم الأول:اللغة إرث اجتماعي

توصل علماء اللغة المحدثون حول اللغة بشكل عام إلى ما يلي:-

1- أن اللغة إرث اجتماعي ينهض كل جيل من أجيال الأمة المتكلمة أو الكاتبة بها إلى استكماله بما يتفق مع حاجات العصر.

2- إن اللغة اتفاق لا يمكن الخروج عليه إلا بإجماع الأمة.

3- إن اللغة موروث اجتماعي وأنه ملك للفرد كما هو ملك للجماعة.

4- أن الإنسان حين يتحضر يصبح مزدوج اللغة، فهو حين يصِّرف شئون حياته اليومية بلغة خالية من الإعراب، ثم يعود فيعرب حين يحس بالحاجة إلى التواصل مع جماعة تتجاوزه من حيث الحجم البشري، وتزيد عن الجماعة التي تؤلف معه بيئة لغوية محدودة.

5- إنه ما من لغة من اللغات مكتوبة كانت أم محلية منطوقة تكاد تخلو من تأثر بلغة أو لغات أخرى ومن تأثير في لغة أو لغات أخرى بحكم عوامل منها؛ الغزو والحرب والاحتلال والجوار والعلاقات التجارية والسياحية والثقافية وغيرها ..

اللغة إذن إرث اجتماعي مِلك مشترك بين جميع الأفراد .. وهي كخطي المسبحة الذي يصل بين بعضهم البعض، وبينهم وبين غيرهم، وهي بلا ريب تتأثر بكل ما يطرأ على المجتمع الإنسان من تغيرات، وتنعكس عليها أشكال العلاقات بين الشعوب وأنواع الجوار بينها ... فضلاً عما ينعكس عليها من صراعات اجتماعية داخل المجتمع الواحد أو بينه وبين غيره . وكما قال هملت "إن لسان أمة جزء من عقليتها. وإن لغة شعب ما هي روحه كما أن الشعب لغته، إن التنازل عن لغة الأمة تنازل عن جزء من عقلها.

للغة إذن أبعاد سياسية اجتماعية اقتصادية وثقافية، وليست مجرد رموز صوتية أو حروف تتضافر فيما بينها لتكوّن جملة لتوصيل رسالة.

إن من القضايا التي تتلقى عندها الأدبيات في مجال علم الاجتماع اللغوي (أو علم اللغة الاجتماعي) التحام قضية اللغة بالقضايا السياسية والاجتماعية الإنسانيةمما تكون له مترتبات مباشرة على الإيدلوجية اللغوية.

القسم الثاني:أمثلة وشواهد

ولنقف أمام بعض الأمثلة التي تؤكد ذلك وتبرز أشكال العلاقة بين اللغة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة.

1) قَّدم أحد أعضاء مجلس الشعب الجنوني بجنوب السودان اقتراحاً يدعو إلى اعتماد اللغة الإنجليزية لغة للإقليم وفق اتفاقية أديس أبابا قائلاً: بإدخال الإنجليزية سوف نستعيد النظام التعليمي السابق الذي لا يشك أحد أنه كان اسمى وأفضل. وأنه يجب أن نأخذ أسهل طريق إذا أردنا تنمية سريعة ومستوى تعليمياً جيداً، وذلك بجعل الإنجليزية لغة للتعليم في العام الدراسي 74/ 1975. وكانت الحجج المقدمة في هذه المذكرة التي تشتمل على الاقتراح هي:

أ- أن الإنجليزية أداة للبحث العلمي.

ب- لها دور كبير في تسهيل التواصل بين الجنوب والدول الأفريقية المجاورة (أوغندا وكينيا).

ج- أنها مكتوبة بذات الحرف مثل اللغات المحلية مما يسّهل انتقال الأطفال إليها.

د- أنه توجد مناهج مكتوبة بالإنجليزية تلائم البيئة الإفريقية.

وقد جرى التصويت على الاقتراح في مجلس الشعب الجنوبي لإدخال الإنجليزية لغة للتعليم في المؤسسات التعليمية بالإقليم الجنوبي ابتداءً من العام 1974/ 1975. وصوت بذلك 22 عضواً مقابل 14 ممتنعين عن التصويت ولم يصوت أحد ضد الاقتراح.

وبعد مداولات في المؤسسات التعليمية قضى بإقرار اللغة العربية لغة للتدريس في المدارس الابتدائية والمتوسطة. وباختيار الإنجليزية لغة للتدريس في المرحلة الثانوية العليا، ولقد انطلق هذا القرار من تصور للصلة المفترضة بين الإنجليزية كلغة علم ولغة المستوى التعليمي الرفيع!!

2) ارتبطت كلمة التعريب في جنوب السودان بدلالات سلبية فأصبحت في معجم الخطاب الجنوبي لصيقة بالحقل الدلالي الذي يشتمل على مفاهيم مثل: الهيمنة، الإمبريالية، الاستعباد، الأسلمة بالقوة، الإفقار الثقافي، فبرزت في سيرورة التاريخ السياسي واللساني لجنوب السودان ظاهرة أيدلولوجية خطابية يطلق عليها "تعريب السياسية وتسييس التعريب". (عشاري احمد محمود، 52، ص 323).

3) إن بعض الشراح الاجتماعية التي خضعت لعمليات المثاقفة أو الدمج أو الارتباط بالخارج يمكن أن تفكر في غير لغتها القومية، وأن تعبر عن تطلعاتها بلغة المستعمر السابق، لكن ذلك التعبير باللغة الأجنبية يجعلها في شبه قطيعة مع المجتمع المحلي وفي عزلة أو عدم قدرة على الإبلاغ والتواصل معه، بل كثيراً ما تكون قيمتها وتوجهاتها الثقافية مرتبطة أكثر بالغرب منها بالداخل. (محمد باشوش، 66، ص 360).

4) عندما لا تريد الدولة تعليماً واسع الانتشار تفرض رسوماً مالية مثلاً .. وأحياناً لا تستطيع الدولة ذلك لأسباب سياسية فتلجأ الدول إلى حاجز آخر هو الحاجز اللغوي، أي التعليم النخبوي لمن يتكلم اللغة الفرنسية مثلاً كما حدث في المغرب. إن اللغة هنا عامل تفرقة .. يعني لو كانت الفرنسية هي اللغة الشائعة في المغرب لكانت لغة النخبة هي العربي .. إذن تصبح اللغة بهذا الشكل أداة للدفاع عن النخبة.

هذا يتعلم باللغة الهامشية .. وذلك يتعلم باللغة ذات الامتيار. هذا ينطبق على الوظائف لمن يجيد لغة أجنبية ..(شكري فيصل، 34، ص 67)

الدليل على هذا أن المجلس التأسيسي في بلجيكا كان قد قرر أن تكون اللغة الفلمنكية والفرنسية متساويتين في حق الاستعمال، إلا أن هذا القرار ظل حبراً على ورق لأن الفرنسية ظلت لغة العلم والثقافية في جميع أنحاء البلاد؛في حين أن الفلمنكية اقتصر أمرها على لغة كلام بين أهلها، وبدأت بلجيكا استقلالها وجعلت الفرنسية وحدها اللغة الرسمية للبلاد وأدى هذا إلى حرمان أبناء اللغة الأخرى من تولي الوظائف والمساهمة في الأعمال الحكومية (إبراهيم أنيس، 2، ص 125).

5) الثقافة الفرنسية في المغرب هي ثقافة النخبة، والخطر في النخبة هو أنك إذا تكلمت الفرنسية فذلك دليل على أنك من مستوى اجتماعي معين، وإذا تكلمت اللغة العربية الفصحى أو الدارجة معناه أنك تنتمي لفئة اجتماعية أخرى.. وهذا حاجز وحاجز خطير. (عبد الحق المنطرش، 40، ص 66).

6) يقول عبد العالي الودغيري استاذ الفيزياء بالجامعات المغربية: ما الذي يدفعني لكي أدرُس اللغة الفرنسية واضطر لذلك اضطراراً؟ لأني أجد أنه حين اقتصر على تعلم العربية فإنه مهما يبلغ علمي ومهما حصلت من شهادات سأظل في أدنى سلاليم الشغل.. وبعبارة أخرى فإن الخبز الذي أحصل عليه بواسطة الشهادة الفلرنسية أنظف بكثير من الخبز الذي أحصل عليه بالعربي .. وهذا هو الشيء الذي فرض الفرنسية في المغرب المستقل بشكل تلقائي .. وهذا مادعا أيضاً العديد من الناس إلى تسجيل أبنائهم ليتعلموا في مدارس فرنسية رغم اقتناعهم بضرورة التعريب (عبد العلي الودغيري، 45، ص 90).

7) في لبنان يتبين لنا أن الصراع بين إرادة تأمين التعليم باللغة العربية وبين الرغبة في التوصل إلى مستوى تعليمي تقني وعلمي عال من خلال تعلم لغة ثانية واعتماد نظام تعليمي غربي؛ لا يزال قائماً منذ أيام الانتداب بل قبل ذلك. منذ أن بدأت الإرساليات الأجنبية بالمجيء إلى لبنان. وهذا ما يفسر تأخر، بل توقف، عملية التعريب في المجالات العلمية والتقنية، وتعذر الوصول بالتالي إلى استقلال لغوي تام

بالنسبة للغة الأجنبية، بحيث لا يبقى أمامنا سوى الإبقاء على هذه التسوية المؤقتة التي أدت إلى هذا النوع من الثنائية اللغوية المدرسية حيث يتم استخدام اللغتين الأم والأجنبية لتحقيق أهداف تربوية معينة. فبعض المواضيع يتم تدريسه باللغة الأم والبعض الآخر باللغة الأجنبية، ولما كانت أهمية كل لغة مرتبطة بمجالات استعمالها تبقي للغة الأجنبية أهمية بالغة لأنها تشكل على نحو أساسي أداة التعليم العلمي والتقني (ميشال زكريا، 90، ص 43).

ولأن التخصص الوظيفي للغتين العربية والأجنبية متباين فإن هاتين اللغتين تتواجدان في حالة ثابتة غير تنازعية، إذ أن الخدمات التي تقدمها اللغة العربية هي غير الخدمات التي تقدمها اللغة الأجنبية، إلا أن الصراع المحتمل بينهما ذو طابع أيديولوجي وسيكو-ألسني (علم لغة نفس) وسوسيو- ألسني (علم لغة اجتماعي).

8) يرتبط استعمال اللغة الفرنسية في لبنان ارتباطاً وثيقاً، بتعلمها. فاللغة الفرنسية تستعمل في أغلب الأحيان حين يكون موضوع المحادثة موضوعاً علمياً أو تقنياً. فالمهندس على سبيل المثال أو الطبيب أو أي رجل علم آخر وقد تلقى علومه باللغة الفرنسية يشعر أنه من الصعب لعيه أن يشرح مسألة مهنية بلغته التي يستعملها كل يوم. كما أن الممثل التجاري لصنف معين من البضاعة الأجنبية يطعِّم كلامه بتعابير متعددة باللغة الثانية حتى يروِّج لبضاعته). (ميشال زكريا، 90، ص 44).

9) عمل الاستعمار الأوروبي على إزالة التأثير العبير في اللغة السواحيلية. ومن ذلك أنه استبدل الحرف اللاتيني بالحرف العربي مما باعد بينها وبين جذورها العربية. كما جعل بعض الكتاب الأفارقة يتجاهلون الكلمات ذات الأصول العربية في اللغة والأدب السواحيلي ويستبدلون كلمات من أصل إنجليزي، ويأتي ذلك ضمن محاولتهم الجادة لتقليل الأثر العربي في الثقافة السواحيلية .. ولقد باءت المحاولات السابقة بالفشل لعدة اعتبارات منها:-

أ- كانت اللغة العربية هي لغة الأسرة الحاكمة وطبقة رجال الأعمال ورجال الدين ولغة المثقفين. لهذا فقد أصبحت اللغة الثانية في زنجبار بعد السواحيلية مما حدا بالكثير من أفراد الشعب إلى تعلمها.

ب- يرى البعض أن استخدام الحروف العربية في كتابة اللغة السواحيلية جعلها أكثر استقراراً وذلك لأن الكلمات السواحيلية المشتقة من مفردات اللغة العربية ما زالت باقية. بينما الجزء المتبقي من اللغة البانتوية قد اندثرت في إطار اللغة العربية.

ج- وجود قصور لغوي في استخدام الحروف اللاتينية حيث أن اللغة اللاتينية تفتقد بعض الحروف مثل ح، ط، ع، غ، ض ..بالرغم من وجود تلك الحروف في اللغة السوائحلية وكذلك في اللغة العربية، مما جعل من اليسير والأفضل كتابتها باللغة العربية.

10) إذا اقتصرنا في تدريس المواد الأدبية (أو العلوم الإنسانة بمفهومها الواسع) بالعربية ودَّرسنا المواد العلمية التطبيقية باللغة الأجنبية فهذا يترتب عليه ما يلي:

أ- خلق الإحساس، أو دعمه بغربية العلم.

ب- خلق الإحساس أو دعمه بأن العربية عاجزة عن أن تكون لغة تقنية.

ج- أن الثقافة العلمية ستظل محدودة بين فئة الذين درسوا باللغة الأجنبية.. ومن ثم سوف نخسر الطبقات الشعبية التي تكون أغلبية الأمة ولغتها العربية .. وإذن سوف نمنع هذه الفئات من الثقافة العلمية ..أي سوف نقيم جداراً بين الثقافة العلمية والطبقات الشعبية.

11) كتب محمد لطفي جمعة في مذكراته الشخصية يقول:

لقد كان فرحي عظيماً عندما تمكَّنت من المطالعة باللغة الإنجليزية (وهو تلميذ بالمرحلة الثانوية) وكنت كثير التكلم بهذه اللغة، فأحقه هذا بعض التلاميذ عليَّ وتألبوا عليَّ عندما رأوني أحاول التكلم بالعربي الفصحى أيضاً. فأقاموا عليّ حرباً وأنذروني بالانتقام إذا حاولت إحدى الحسنيين. إتقان لغتي وتعلم لغة أجنبية (محمد لطفي جمعة، 77، ص 84).

12) ينبغي أن ننظر إلى اللغة على أنها مدخل هام ومخرج هام، وعلى أنها أعظم عوامل التوجيه والتكامل قوة. "وفي حالة العالم العربي ليس الأمر صعباً لأن تكون اللغة هكذا .. ولكن في حالة مناطق أخرى كغينينا الجدية على سبيل المثال يعتبر

الموقف بالغ التعقيد. وتمثل وسائل الاتصال الجماهيري عاملاً هاماً في التأثير في اللغة، ورغم أن للغة العربية معاييرها التي تيسر القرارات، إلا أن هناك فجوة ذات أبعاد معينة بين اللغة المنطوقة واللغة المعيارية. كما أن هناك اللهجات المختلفة. وفي هذه الحالة ينبغي أن تتوصل الدول العربية إلى اتفاق فيما يتعلق بالتخطيط اللغوي أو السياسة اللغوي، تلك السياسة التي يجب أن تتبعها في وسائل الاتصال الجماهيري. وفي الأنماط التعليمية المختلفة، وفي الدواوين الحكومية وفي التوثيق والمراسلات، هذه السياسة اللغوية من شأنها أن تيسر التعلم طالما أن اللغة العربية هي وسيط التعليم في كل المستويات أو على الأقل ينبغي أن تكون كذلك. كما أنها أيضاً ينبغي أن تساعد على تعضيد الوحدة الوطنية والوحدة العربية، وكذلك حماية تحصين الهوية الثقافية. لذا تمثل اللغة كوسيط للمعرفة وكجانب من جوانب الثقافة وكأداة ثقافية للثقافة وكعامل ثقافي توحيد للثقافة قضية ذات أهمية بالغة في عالمنا المعاصر. (عبد العزيز القوصي، نقلاً عن طلعت منصور، 38، ص 447).

13) ليست اللغة مجرد أداة لمسرح الأحداث السياسية فقط وإنما تعد جزءاً من الأحداث السياسية نفسها فهي تشكلّ معنى الأحداث وتساعد على تشكيل الأدوار السياسية والسلوك العام للشعب. لذلك تتكامل اللغة مع الأحداث كل منها يكمل الآخر ويحدد كل منها معنى الآخر والقصد منه.

14) يرى بعض الباحثين الغربيين أن أخطر نتائج العولمة الثقافية هي تلك التي تصيب اللغة القومية، فالطرائق المعلومايتة الجديدة وعلى رأسها الإنترنت تيسر انتقال المعلومات ولكنها في الوقت نفسه تيسر انتقال أفكار فاسدة أحياناً ومعلومات خاطئة قد يكون لها مردود سياسي خطير!

15) من العوامل التي تؤثر في اتساع الفجوة الرقمية داخل القطر الواحد عامل اللغة حيث أن معظم المعلومات المتاحة حالياً على الإنترنت باللغة الإنجليزية التي لا تتقنها الأغلبية العظمى من السكان. وكذلك غياب برامج التعليم التصحيحي وإعادة تأهيل الكبار.

16) إن التعريب يراد فيه الهوية الحضارية ويهدف إلى مواكبة المدنية بما تدل عليه من ثورة علمية تقنية دون التخلي عن الهوية الحضارية العربية الإسلامية. فلا ينبغي أن ينظر للتعريب على أنه عمل لغوي صرف يهدف إلى نقل النصوص الأجنبية إلى العربية.

17) ولبيان دور اللغة في تحقيق أهداف الشعوب والتواصل بينها، وكيف أن تعليم لغة ما للناطقين بلغات أخرى سوف يدعم العلاقة بين الشعوب ويحقق لها أهدافها .. نذكر هنا قصة رواها الباحث الجزائري محمد العربي الزبيري، تقول القصة:

"كان مجلس إدارة الغرفة التجارية بمرسيليا يريد السيطرة على أسواق الحرير في بلاد الشام فقرر تخصيص ميزانية، واختار مجموعة من الرهبان أسند إليهم المهمة المذكورة، لكن الرهبان بدلاً من إنجاز ما ذهبوا من أجله، راحوا ينفقون الميزانية في بناء المدارس وتعليم اللغة الفرنسية، ونشر المسيحية في ربوع الشام، ولما علم مجلس إدارة الغرفة التجارية بذلك رفع ضدهم دعوى أمام المحكمة". "لم ينكر الرهبان التهمة الموجهة إليهم، لكنهم نفوا أن يكونوا قد سرقوا الأموال التي سلمت لهم، وأكدوا أنهم قاموا بمهمتهم على أحسن وجه وأفضل مما كلفوا به، لقد قالوا في دفاعهم: "إن مجلس إدارة الغرفة التجارية بمرسيليا طلب منهم البحث عن أسواق آنية، ونحن إذا قمنا بنشر اللغة الفرنسية، وتعليم مبادئ المسيحية في تلك الربوع، فإننا ضمنا له أسواقاً قادرة على جلب الحرير اللازم لتشغيل معامل الجنوب الفرنسي ولاستيراده مواد أولية أخرى، ولترويج مختلف المصنوعات الفرنسية". كانت البراءة هي الحكم النهائي الذي أصدرته المحكمة في هذا الموضوع، "وقد كان القضاة مصيبين في ذلك إلى حد أن الغرفة التجارية اقتنعت ولم تلجأ إلى الاستئناف". (محمد العربي الزبيري، 73، ص 73).

18) ولعل أظهر مثل لذلك في الوقت الحاضر قرار مجلس الأمن رقم 242 الذي يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة، وهل الانسحاب من "ارض محتلة" From occupied territories أو من الأراضي المحتلة From the occupied، إن حرف "ال" أو حرف "the" خلق مشكلات كثيرة لا تزال قائمة .. وجعل السلام أملاً بعيداً حتى الآن.

19) ولبيان دور اللغة في نقل الصور السلبية عن الشعوب وإشاعة قيم التعصب والاتجاهات السلبية نحوها أجرى خالد الجنفاوي، وهو باحث كويتي دراسته للدكتوراه في جامعة الليني حول صورة الآخر المسلم (عرب، أتراك، مغاربة) في مؤلفات البريطانيين في القرن الثامن عشر خاصة الدراسات الأدبية والسياسة الاجتماعية وانتهى من بين ما انتهى إليه إلى ما يلي:

إن الآخر الشرق أوسطي عندما يشير إليه المؤلف البريطاني في القرن الثامن عشر فهو عادة ما يذكر ويستخدم في النص من دون وجود دلائل تاريخية حقيقية تشير إلى صدق التصورات السلبية، والتي عادة "ما تغلف" الآخر الشرق أوسطي في تلك النصوص"، وهذا التناقض التاريخي في تقديم الشرق أوسطي في النص البريطاني الأدبي والسياسي والاجتماعي والشعري.. الخ يقود إلى خلق تناقضات وفجوات نصية ومنطقية وبلاغية متعددة تؤدي آخر الأمر إلى خلق الكثير من التفكك والتناقض والتنافر البلاغي والنصي والمنطقي في تلك النصوص، وهي إشارات تتطلب أساليب قراءة ونقد جديدة يمكن أن يستخدمها الطالب الشرق أوسطي في عصرنا الحالي لإعادة تكفيك وتفنيد أغلب التصورات السلبية حول العرب والمسلمين والمغاربة والأتراك والتي يقرأ عنها ويكتشفها في النصوص البريطانية والسياسية والفلسفية وغيرها في القرن الثامن عشر (آدم يوسف، 1 ص ص 33-34).

القسم الثالث:اللغة العربية في الأمم المتحدة

تقديراً للدور الذي تقوم به اللغة العربية في الثقافة العربية، وتأكيداً لأهميتها، وإدراكاً لقدر الناطقين بها في المجتمع العالمي المعاصر، أدرجت الأمم المتحدة اللغة العربية من بين لغات التعامل في منظماتها، وذلك بموجب القرار.

إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجانها الرئيسية.

إن الجمعية العامة

إذ تدرك ما للغة العربية من دور هام في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته، وإذ تدرك أيضاً أن اللغة العربية هي لغة تسعة شعر عضواً من أعضاء الأمم المتحدة

للتربية والعلوم والثقافة، ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية، وهي كذلك لغة رسمية ولغة عمل في منظمة الوحدة الإفريقية.

وإذ تدرك ضرورة تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقاً وتعزيز الوئام في أعمال الأمم ووفقاً لما ورد في ميثاق الأمم المتحدة.

وإذ تلاحظ مع التقدير ما قدمته الدول العربية الأعضاء من تأكيدات بأنها ستغطي بصورة جماعية، النفقات الناجمة عن تطبيق هذا القرار خلال السنوات الثلاث الأولى.

تقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية، والقيام بناء عليه، بتعديل أحكام النظام الداخلي للجمعية العامة المتصلة بالموضوع.

الجلسة العامة 3206

18 كانون الأول/ ديسمبر 1973م.

الفصل الخامس

اللغة والهوية

مقدمة:

منذ ألفين وخمسمائة سنة تقريباً سئل كونفوشيوس: ماذا تفعل لو وليت الحكم؟ فأجاب لو أتيح لي أن أحكم بدأت بإصلاح اللغة.

وحكيما لصين العظيم لا يتجاوز في مقولته حقائق الأشياء أو يتزايد فيها، وإنما يلمس ببصيرته جوهر الحقيقة، ففي البدء كانت الكلمة .. وعلى امتداد التاريخ تقف اللغة في حياة الإنسان موقفاً خاصاً تتعدى به حدود الاتصال بالآخرين إلى أن تكون مقوماً أساسياً من مقومات وجوده ... "فالإنسان لا يرى الكون إلا بواسطة اللغة، ولا يفهمه إلا بالنظرة التي تحددها لغته .. فيعبر عنه بقوالب لغوية معينة، وتتألف اللغة من بنى تنفرد بها وتميزها عن سواها. وتفرض هذه البنى على المرء هياكل فكرية تتيح له تحليل ما يحيط به وفق الخطوط التي ترسمها له لغته، وهو يحتفظ بظاهرة قد تتغاضى عنها لغة ما، أو يهمل ظاهرة قد توليها لغة أخرى أهمية كبرى.

إن التعرف على البنى اللغوية يؤدي حقاً إلى التعرف على بنى الفكر والتفكير وإن تطابقا وتماثلاتا ما يحدث بين هياكل اللغة وهياكل الذهن". (ريمون طحان، 24).

الإنسان إذن صناع اللغة وفكره صنيعتها... فالتعرف على البنى اللغوية يؤدي إلى التعرف على بنى الفكر .. فهما وجهان لعملة واحدة .. وحسبك أن تعرف لغة مجتمع ما حتى تقف على خصائص ثقافته والعكس في ذلك صحيح..

القسم الأول:اللغة والذاتية الثقافية

والحديث عن الذاتية الثقافية حديث عن حقيقة عقلية يبنيها أفراد مجتمع ما بعقولهم وليست مجرد شكل موضوعي ملموس يتجسد في مجموعة من المحسوسات التي يمكن تحديد هويتها بمجرد النظر إليها .. وهي تعني، كما يقرر تعريف اليونسكو

للذاتية الثقافية، "أولاً وقبل كل شيء تعريفنا التلقائي بأننا أفراد ننتمي إلى جماعة لغوية محلية أو إقليمية أو وطنية بمالها من قيم تميزها" .. ولقد تتعدد علاقات الفرد بالآخرين لكن انتماءه الحقيقي لا يكون إلا لمجتمع واحد وعائلة واحدة ووالدة واحدة كما يقول كمال الحاج.وإذا كان الإنسان قومياً عاجزاً عن أن ينتمي إلى أكثر من مجتمع واحد، وأم واحدة فإنه عاجز عن الانتماء إلى أكثر من لغة قومية واحدة هي لغة المجتمع أو الشعب الذي ينتمي إليه .. ولعل مما يدعم ذلك ما كتبه جاك موفو وهو حامل جائزة نوبل في البيولوجيا في أحد كتبه المسمى (الضرورة والصدفة messite et le hazard) يقول: إن الطبيعة لا تسجل إلا لغة واحدة، يعني أنه في عنصر الوراثة Géne غير اللغة مسجلة بالوراثة، فأنت رغم أنفك ونحن كلنا رغم أنوفنا سجلت في خلايانا الوراثية لغتنا العربية. (محمد البغدادي، 67).

معنى ذلك أن تعلم اللغات الأجنبية لا يكون إلا انطلاقاً من اللغة الام، وليس غريباً أنه في كل العالم عندما نريد أخذ مترجم نتطلب أن تكون لغته الأم هي اللغة التي نود أن تتم الترجمة إليها.

واللغة الأم نعرفها من المنطلق العلمي السابق أي علمياً وبيولوجياً بأنها هي اللغة المسجلة في عنصر الوراثة.

ليست اللغة مجرد أداة للقول "أو كما يصف البعض، كساء للفكرة، أو وسيلة للتعبير .. إنها أداة تلقي المعرفة، وأداة التفكير ورمزه وتجسيده، أنها الفكر نفسه في حالة العمل فليس هناك إذن فكر مجرد بغير رموز لغوية.

وهكذا بقدر ما تكون اللغة دقيقة وحية ومبرأة من الفوضى يكون الفكر دقيقاً وحياً ومبرأ من الفوضى". (حسام الخطيب، 18، ص 65).

إن اللغة تمثل ذاكرة الأمة، تخترق فيها تراثها وقيمها ومفاهيمها. وهي في الوقت نفسه أداة أساسية في حركة المجتمع ونموه، وفي انطلاقه من حاضره نحو آفاقه المستقبلية. فهي الأداة الأولى لقيام المجتمع المتناسق المتماسك، وهي اختزان للفكر، وهي تعبير عنه وأداة تبليغ له (شكري فيصل 34، ص 7). إنها إذن أداة التواصل بين الماضي

والحاضر وهي تمثل الذاكرة الحضارية، فهي مناط الأصالة في الثقافة العربية، وقوام الشخصية العربية.

نؤكد على ذلك لأن اللغة عماد الثقافة، وحجر الأساس في تطوير بنية الشخصية القومية للأمة العربية، وهي الوعاء الذي يختزن تاريخنا وعلومنا وآدابنا وديننا؛ فمن دون إتقانها لا يمكن أن نفقه ما بناه الأجداد لكي تستمر رسالتنا الحضارية في إغناء الحضارة الإنسانية. والعلاقة بين الفكر واللغة علاقة غير منشطرة. فكلما ارتقى الفكر، ارتفعت اللغة وأساليب التعبير، وكلما انحدرت ينحدر الفكر معها. ونعتبر أن سمو المعنى في سمو الذات، لذلك، نرى أن ثالوث التطور والتقدم: الإنسان- الفكر- اللغة، مترابط في نشأته، نام في مساره متطور في تقدمه.

إننا إذ نثير هذه الإشكاليات المتعلقة بالحفاظ على لغتنا التي تحتضن حضارتنا القومية، إنما نتوخى تنمية شخصيتنا الأدبية انسجاماً مع حقوق الإنسان واكتمالاً لهلال ممنوع عليه أن يصير بدراً عربيا. إنها في النهاية قضية وعي قومي وإنساني، وإرادة فعل لتطوير الفكر واللغة والثقافة العربية. وليس أدل على موقع اللغة من هوية الشعوب من الاختراع اللغوي الذي قام به الموريسكيون في إسبانيا.

والموريسكيون جماعة مسلمة عاشت تحت سلطة أجنبية (اسبانيا) وخضعت لهيمنتها مما فرض عليها أن تحتفظ بتقاليدها وقيمها، وأن تخترع ثم الوسائل ما تحفظ به هويتها. ولقد كان على رأس وسائل الدفاع لإنقاذ الذات الثقافية عندهم ابتكار لغة يختصون بها فلا يستطيع الإسبان مشاركتهم فيها ولا مجرد القدرة على فك رموزها.

ويصف على أومليل أبعاد هذه القضية قائلاً: "الواقع أنه على الرغم من بقاء العربية متداولة بين الموريسكيين قرناً بعد سقوط غرناطة، فإنها ما لبست أن تضاءلت بل نسيت مما اضطر هؤلاء إلى استعمال الأسبانية وسيلة للدفاع عن الذات، إلا أنها إسبانية طبعوها بطابعهم، وهنا لجأو إلى اختراع عجيب، وهو ما يسمى بالأعجمية. إنها اسبانية مكتوبة بالعربية.

لقد أصب جمهور الموريسكيين لا يعرف العربية، مما اضطر الذين لا يزال لهم إلمام بها وبتراثها، خاصة الديني، أن يعينوا إخوانهم على عدم نسيانه، محتوى هذا

الأدب الأعجمي إسلامي ولغته إسبانية (قشتالية) وحروفه عربية، ولقد كان لحرصهم على الكتابة بحروف عربية دلالة ونتائج.

ما هي دلالة هذا الابتكار؟ معناه أن الموريسكي وهو يضطر للكتابة بلغة "الأجنبي" فليكتبها إذن على طريقته. وكأنه لا يريد أن يقرأها إلا أن من يعرف الحرف العربي. هناك إذن استحواذ على لغة الآخر، بحيث تصير غريبة على صاحبها الأصلي، فلا يملك التعرف على علاماتها المستقاة من لغة أخرى. وكأننا بالموريسكي ضنين على المحتوى الذي يودعه لغته المبتكرة. الموريسكي إذن "يكتب" بلغة مشتركة بينه وبين مساكنه الإسباني، إلا أنه جعل هذه اللغة بالنسبة للإسباني غير مفهومه ما دام لا يستطيع فك حرفها العربي.

وما دام الموريسكي قد اضطر إلى استعمال لغت الخصم لأنه نسي أو أنسى لغته، فليحافظ إذن على رابط يربطه بلغته التليدة والحرف هو الرابط الذي يشده إلى ماضيه المجيد، وإلى دينه الذي اصبح بالنسبة إليه واجهة للصراع الثقافي، بل ويشد أواصر قرباه بعالم فسيح. عالم العرب والمسلمين الذي شمل آفاقاً واسعة من الأرض، والذي ينتظر منه الخلاص. ثم إن هذا الحرف العربي مقدس في نظرة كمسلم، أليس هو الحرف الذي كتب به القرآن؟

ابتكر الموريسكي اللغة الأعجمية لتستعجم على الأعجمي لغته. لينفذ هو إليها وحده، ولتتداولها الجماعة الموريسيكية وحدها فيما بينها. فاللغة الأعجمية إذن اختراع للدفاع عن هوية، وللإبقاء على تواصل الجماعة الموريسيكية داخل اللغة الأجنبية مع طمسها عن أصحابها الأصليين، وللإبقاء على رمز يربطها بالعالم الإسلامي الفسيح (علي أومليل، 52).

القسم الثاني:اللغة والتشويه الثقافي

وللوقوف على حجم العلاقة بين اللغة العربية والهوية أو الذاتية الثقافية العربية الإسلامية ينبغي أن نقرأ كيف يرى المفكرون هذه العلاقة وكيف يشخصون خطورة الموقف عندما تتعرض هويتنا لمحاولات الدمج والذوبان، ولغتنا لمحاولات التشويه:

يقول سالم ساري: إن أكثر الاختراقات الغربية خطورة على الإطلاق هي محاولة طمس الهوية الثقافية للعرب والمسلمين وتحطيم منظومتهم الحضارية ومحو ذاكرتهم الجمعية، ويلجأ الغرب في ذلك إلى تفكيك البنى الثقافية وتشويه القيم الدينية للعرب والمسلمين والنفاذ إلى معاييرهم الأخلاقية وخصوصياتهم المحلية وفلسفاتهم الحياتية بالوصم والتشويه. فلم يتوقف الغرب يوماً في صراعه الطويل مع العرب المسلمين عن وصم الاختيارات الثقافية العربية الإسلامية بالجمود والتخلف والبدائية والعدوانية والتعصب والوحشية والعنف والإرهاب.

ويقابل هذا التشويه المتعمد تقديمه المنظم لقيمه وتفضيلاته واختياراته الثقافية الغربية بصورة عصرية أنيقة ونشرها وتأكيداه باعتبارها القيم العالمية المستقبلية.(سالم ساري، 25، ص 355).

ويقول فاروق جويدة: لقد شهدت السنوات الأخيرة عشرات المؤتمرات التي تطالب بحماية اللغة العربية .. وهنا يجب أن تطالب بالحماية ليس على المستوى الثقافي فقط ولكن على المستوى السياسي والقومي .. لأن اللغة العربية في حقيقة الأمر تدخل في إطار قضايا الأمن القومي العربي. وفي ظل دعوات مشبوهة لشرذمة العالم العربي، وتشويه تاريخه وضرب ثقافته تقف اللغة العربية في مقدمة هذه الأهداف. فلا أحد يريد الآن للعرب أن يجميهم تاريخ واحد:. ولغة واحدة وعلى الأجيال الجديدة التي يجري الآن استنساخها أن تشكل في ظل واقع جديد بلا جذور أو هوية أو انتماء .. وهذه دعوات يجب أن نتصدى لها حتى لا يصبح العرب قوماً بلا لغة ... ولا تاريخ .(فاروق جويدة، 59).

وتبدو قضية اللغة والأمن القويم أيضاً واضحة بالنسبة للأقليات التي تختص بلغة لها. والتي تحث على استعمال لغة أجنبية للتعليم والعلم على حساب اللغة العربية. إن من شبه المؤكد أن الأقليات العرقية إذا بقيت لغاتها الخاصة لحياتها اليومية، ولغة أجنبية لحياتها العلمية والعملية، فإن هذا سيساعد على تقوقع تلك المجموعات من المواطنين على ذاتها. لأن وحدة العقيدة، على أهميتها، قد لا تكون كافية للاندماج في المجتمع العربي. (ممدوح خسارة، 85، ص 51).

ولقد نظمت جمعية الشبان المسيحية في مصر YMCA برنامجاً في مقر إحدى الجمعيات لتعليم اللغة القبطية في محاولة لإحيائها واتخاذها لغة حياة وليست فقط لغة عبادة. إلا أن الباب شنودة، بثاقب بصره، رفض هذا البرنامج تماماً وشجبه وأوضح لهم عواقبه، مما أخمد هذه الحركة في مهدها.

ويقول عبد السلام المسدي: إن اللغة هي التي تحول الأفراد من جماعة بشرية إلى مجموعة ثقافية، وهذا على وجه التمحيص يعني أن الرابطة اللغوية أقوى من الرابطة السياسية، لأن الجماعة البشرية إذا ترابطت سياسياً كوّنت مجموعة وطنية، وهذا لا يقتضي بالضرورة أن يكون التجانس الثقافي قد قام فعلاً بين أفراد المجموعة بمجرد الأنضواء تحت الرابطة السياسية الواحدة، والتاريخ، القديم منه والمعاصر والحديث، ملئ بالشواهد الدالة، ويكفي أن نتبين كيف انفلقت كيانات سياسية كان يظن أنها التحمت بمجرد انصهارها في سياج الدولة السياسية، ولكن سلطة الثقافة كانت أقوى. فتطايرت المنظومة إلى دول ثقافية شأن ما حصل في يوغسلافيا وفي تشيكوسلوفاكيا وفي ما كان يسمى بالاتحاد السوفياتي، أما الشاهد المضاد والذي يبرهن على أن السياسة والاقتصاد والإيديولوجيا هي جميعاً أضعف من الثقافة المتجانسة ومن اللغة المشتركة ومن التراث الفكري الواحد فهي توحد ألمانيا يوم سقط جدار برلين.

إن مصير اللغة العربية يتراء من خلال الأخطار التي تهددها بشكل حاسم وأولها هو ذاك الخطر الثقافي كما رأيناه وكما جلونا صورته، والخطر الثاني هو اللغة الأجنبية عندما يرافقها لدى التلميذ في مراحل التعليم العام الشعور بأنها هي القادرة على حمل أعباء المعرفة العلمية، وبأن اللغة العربية تظل قاصرة عن أداء تلك الوظيفة. (عبد السلام المسدي، 43).

في ضوء تجربة الجزائر خاصة والمغرب العربي بشكل عام تتضح عدة حقائق:

أ- أن ضياع اللغة أو ضعفها ضياع للقيمة أو إضعاف لها. وأن من أقوى سبل المحافظة على خصوصية كل شعب وقومية وأصالتة ... اللغة.

ب- أن السياسة تعصف بالواقع عصفاً رهيب . فالأقوياء لغتهم لها التمكن والسيطرة والشيوع. أما الضعفاء فلغتهم لها الضعف والتحية والإزاحة من مواقع التعامل والتأثير.. إن التاريخ يصنعه الأقوياء.

ج- إن اللغة ما أقوى عوامل المحافظة على الهوية والقومية . ومن الخطورة بمكان أن يفرط الإنسان في لغته. لأن معنى هذا أنه يفرط في ذاته وتراثه واصالته ومصيره الذوبان في الآخر والتلاشي من الحياة. (محمد محمد داود 78، ص 48).

القسم الثالث:اللغة والتنمية الثقافية

ولقد نص الإعلان الرسمي عن انطلاق العقد العربي للتنمية الثقافية 2003/ 2012، مؤتمر الوزراء والمسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي (الألكسو) عمّان (الأردن) 23-24 أكتوبر 2002 على ما يلي:

تعني الذاتية الثقافية أولاً وقبل كل شيء، الوعي التلقائي بالانتماء إلى مجموعة لغوية أو محلية أو إقليمية أو وطنية بما لهذه المجموعة من قيم متميزة، يستوعب بها المرء تاريخ المجموعة وتقاليدها وعاداتها واساليب حياتها. وإحساس كل فرد بضرورة احترامها والمشاركة في تطويرها وفي تحديد المصير المشترك لافراد هذه المجموعة في كنف التعايش والاحترام المتبادل والتسامح ونشر قيم العدل والسلم، ولقد ركز العقد العالمي للتنمية الثقافية على جملة من الآليات لتكريس هذه الفكرة أهمها المحافظة على التراثي الثقافي للبشرية. وإعادة الحياة لهذا التراث المهدد بالخطر وتثمين دوره وحمايته من جراء التنسيق التصاعدي للتصنيع والتلوث والصراعات المسلحة. وهي مناسبة للأمة العربية، كي تعمل على مزيد من التكامل بين أقطارها وتجذير تقاليد التعاون والتضامن التي توفرها جملة العناصر والقيم المشتركة بينها. فقومية الثقافة لا تنفي تعدد الأصول المكونة للأمة، أو تنويع اللهجات اللغوية، أو طرق التعبير للمشاركين فيها، ولكن تعني أن الدائرة الثقافية العربية هي التي تجمع الجميع وتوحدهم، كما تعني أنها تعتبر أصحاب هذه الأصول أو اللهجات بعضاً من مصادر الغنى والخصب فيها، وتعتبر نفسها المعبر عن إنتاجاتهم تجاه الثقافات الأخرى".

هذا .. ويقول بسام بركه أن أهم الأمور التي تُلحُّ على الإنسان العربي في هذه الأيام وأولها تعزيز حضوره الفعّال وتثبيت هويته الخاصة به في ساحات المعترك الحقيقي الذي يعيشه العالم وبالتحديد معترك الصراع الذي يحتدم -على مستوى الكرة الأرضية كلها- بين الثقافات المختلفة، بين "وجود" ثقافة واندثار ثقافة أو ثقافات أخرى. والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا في هذا المجال هو: ما دور اللغة في تثبيت "الوجود" هذا؟ وأين يقع مكانها في تكوين حياة الإنسان وبناء ثقافته ونظرته لنفسه وللعالم من حوله؟ ذلك أن تحديد اللغة يقع في صلب تحديد الهوية، وكلاهما يقع في أساس فهم التحولات التي نشهدها في الزمن الحاضر. فالهوية كما يحددها عالم الاجتماع "أريكسون" ترتكز على الشعور الواعي بالفردية الذاتية وعلى الجهد اللاواعي في تضامن الفرد مع الجماعة وتطلعاتها. إذن، تقوم هوية المرء على قاعدتين تكمل كل منهما الأخرى وتساعد في بنائها، هما: الذات والجماعة.

ولابد من التركيز هنا على أن الهوية الفردية ليست خاصية أو صفة يتصف بها الشخص بل هي بناء يقوم به الإنسان في مراحل متعددة منحياته وبواسطة أعمال ومواقف ينظر من خلالها إلى نفسه ويجابه بها الآخرين. وهذا لا يتم إلا في عمليات معقدة من التواصل تحتل اللغة فيها موقع الصدارة.

وإذا كان بناء الهوية الاجتماعية يأتي حصيلة مراحل متعددة من مجابهة الفرد للجماعة والتماهي معها والانفلات منها ثم العودة إليها، وبكلمة أخرى، إذا كانت الهوية تقوم على تفاعل متعدد المستويات بين الفرد ومجتمعه، فإن اللغة، وهي الأداة الأولى والأهم في عمليات التواصل والاندماج داخل المجتمع، هي كذلك الأداة الأساسية لتحديد الهوية والتعرف على الذات عند الفرد كما عند الجماعة الواحدة. (بسام بركة، 13).

من هنا كان الشعب الواعي يُكبر لغته ويحرص عليها كما يحرص على عرضه. متى ذلّت هي ذل هو .. لغة الأم التي يتكلمها المواطنون سميت قويمة لأن بلاغة الفكر لا تستقيم إلا بها، وفصاحة اللسان لا تقوم إلا عليها .. فعلاقة الشعب بلغته القومية هي أكثر من شكل قاموسي.

وإذا صدق هذا على أية لغة فهو على العربية أصدق. فهي لسان ثقافتـه ورمـز هويته وأداة التواصل مع كتابها المقدس الذي ربط بينها وبين الإسلام منذ أن ننزل بها بوشائج لا تنفصل وبروابط لا تنفصم عراها ما شاء الله لهذا الكون أن يبقى.

والبحث عن الهوية الثقافية لا يعني في الإسـلام المواجهـة مـع الآخـر مواجهـة صراع.. فمن حق أي حضارة واية ثقافة أن تدافع عن هويتها الـتي تميزهـا .. وقـد لا يشعر المسلم بهذه الأزمة كثيراً وهو في رحاب بلده الإسلامي قدر ما يشعر بـهـا وهـو في رحاب بلد أجنبي خاصة في أوروبا وأمريكا .. ذلـك أن محـاولات طمـس هويـات الأقليات وصهرهم في الثقافة الأجنبية محـاولات لاتكـل .. والجـهود في سـبيل ذلـك جهود لا تتوانى .. ولقد وصف المجتمع الأمريكي بأنه وعاء التذويب الثقافي Melting pot وهنا يكمن التحدي أمام الجاليات العربية الإسلامية في أمريكا وأوربا، ويتلخـص هذا التحدي في عبارة واحدة موجزة تمثل أمل هذه الجاليات وهي: احتفاظ بالهوية من غير انغلاق، وتفاعل مع المجتمع الأجنبي من غير ذوبان..

الباب الثالث

البرامج والآليات

الفصل السادس: الآليات اللغوية

الفصل السابع: الآليات الثقافية

الفصل الثامن: الآليات الاتصالية

الفصل التاسع: الآليات الإعلامية

الفصل العاشر: الآليات التربوية

الفصل السادس

الآليات اللغوية

القسم الأول: لغة الخطاب

مقدمة

اختيار اللغة التي نتواصل من خلالها بالآخر .. سواء في برامجنا الإعلامية والثقافية وسواء في برامج تعليم اللغة العربية كلغة ثانية في المجتمعات العربية يمثل مشكلة، بل مشكلة كبيرة. ولقد يتصور البعض أن الأمر لا يعدو مجرد قرار بتعليم لغة كذا وتفضيلها على كذا .. والأمر أصعب من هذا وأخطر، وذلك لأمرين: أولهما تعدد مستويات العربية، وثانيهما اختلاف طبيعة البرامج.

إن اللغة العربية شأن أي لغة أخرى، ذات مستويات مختلفة في استخدامها. فعلى المستوى الرأسي نجد مستويين أولهما: لغة التراث وثانيهما: لغة الحياة المعاصرة. وعلى المستوى الأفقي تجد مستويات مختلفة منها ما يخص المثقفين، ومنها ما يخص أوساط المثقفين، ومنها ما يخص العامة، ومنها ما هو تخصصي مثل الاستخدامات اللغوي في مجالات الحياة المختلفة، الطب، الهندسة، الصيدلة، الأدب، الفنون، الموسيقى .. إلى غير ذلك من مجالات. فضلاً عما يثار منج دل حول الخط العربي وأنواع الحرف الذي نتواصل به مع الآخر. هي إذن ثلاث قضايا بلغة الخطاب سواء في التواصل الثقافي أو برامج التعليم: الأولى قضية الفصحى والعامية، الثانية اللغة العلمية، الثالثة التخاطب بلغة الآخر.

أ- الفصحى والعامية:

إن اللغة التي ندعو إلى تعليمها والتواصل بها مع الآخرين هي الفصحى المعاصرة أو كما يطلق عليها الخبراء (العربية المعيارية المعاصرة Modern Standard Arabic) ويقصد بها تلك اللغة التي تكتب بها الصحف اليومية والكتب والتقارير

والخطابات، وتلقى بها الأحاديث في أجهزة الإعلام، ويتحدث بها المسئولون في لقاءاتهم العامة والخطباء في خطبهم وتدار بها الاجتماعات الرسمية، وتؤدي بها بعض المسرحيات خاصة المترجم منها، أما العامية فنرفض التواصل بها مع الآخر ولا نتصور أنها قادرة على أن تقيم جسراً بيننا وبين الآخر لنشر ثقافة السلام. وغير ذلك من مواقف تستخدم فيها الفصحى لغة للفهم والإفهام.

ويصدر رفضنا للتواصل بالعامية وتعليمها في البرامج العامة لتعلمي العربية للناطقين بلغات أخرى عن اعتبارات دينية وقومية وتربوية ولغوية نجملها فيما يلي:

1- **الاعتبارات الدينية**: إن العامية لاتساعد على الاتصال بالحرف العربي المطبوع. ومن ثم يعجز متعلموها عن قراءة القرآن الكريم وكتب الحديث النبوي الشريف وغيرها من كتب التراث الإسلامي. ومن شأن هذا أن يخلق بين هؤلاء الدارسين وبين المسلمين في مختلف بقاع العالم فجوة ثقافية يصعب تخطيها.

2- **الاعتبارية القومية**: إن العامية تفرق بين الشعوب العربية وتقطع من روابط الفكر ما كان من شأنه توحيد الاتجاه وتدعيم الصلات بين أبناء الوطن العربي. وتعليم العامية للناطقين بغير العربية لا يساعدهم على التحرك في البلاد العربية باستثناء البلد الذي تعلموا عاميته وفي حدود جغرافية معينة.

3- **الاعتبارات التربوية**: ثبت من دراسة أجراها الصديق حمدي قفيشة في أمريكا أن الدارسين الذين يبدأون بتعلم الفصحى يكونون أقدر على تعلم العامية (الخليجية في هذه الدراسة) أسرع من الذين يبدأون تعلم العامية)(الخليجية) ثم يتحولون إلى دراسة الفصحى. وهذه نتيجة تؤيدها ملاحظتنا العادية على طلاب معاهد تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى في السعودية. نعلّم الفصحى إذن أولاً لنترك العامية يكتسبها الدارس أو الأجنبي، إن شاء، بمجرد اتصاله بالعرب فترة من الزمن.

4- **الاعتبارات اللغوية**: العامية أضيق لفظاً وفكراً من الفصحى، وبدا أمامنا قصور عن التعبير عن بعض المفاهيم بالفصحى. فليس في العامية غالباً ما يجبر هذا القصور. ومع رفضنا لتعليم العامية ودعوتنا إلى الفصحى المعاصرة إلا أن لنا وقفة يشوبها الحذر ... ويصدر هذا الحذر من عدة عوامل:

أ- أن العربية المعاصرة قد انحرفت كثيراً عن مستويات الفصحى ومعاييرها كما جاءت في القرآن الكريم الذي هو معيار البلاغة. كما أن المشكلات النحوية والصرفية التي أصابها أذاها لغة العصر تجل عن الحصر حتى أصبحت ظاهرة عامة وليست مجرد شواذ حدثت بالضرورة.

ب- اختلاف مستويات الاتصال اللغوي، فالكتابات المعاصرة مختلفة: منها ما هو أدب ومنها ما هو علم ومنها ما هو فن. وهذا طبعاً يؤثر على اختلاف مستويات الفصحى المعاصرة، فضلاً عن أنه في داخل المجال الواحد تتعدد المستويات. ففي الصحف مثلاً هناك أشكال مختلفة للتحرير الصحفي: منها ما هو خبر ومنها ما هو مقال ومنها ما هو تقرير ولكل منها خواصه اللغوية. ولعل مما يضاف إلى ذلك أن معجم الصحافة، وهي المصدر الأساسي لحصر مفردات وتراكيب الفصحى المعاصرة، قليل ومطرد نسبياً.

ج- إن الفصحى المعاصرة قاصرة على الاستخدام في المنطقة العربية، والمسلمون غير الناطقين بالعربية لا يهم الكثير منهم تعلم الفصحى المعاصرة التي تشيع في البلاد العربية، أو التواصل من خلالها. إن ما يهم هذا القطاع هو قراءة القرآن الكريم، والاتصال بالتراث الإسلامي أولاً. ومن خلاله يقفان على مفاهيم التسامح والسلام والتفاهم العالمي، ويتم هذا عادة في بلادهم، ثم الانطلاق من هذا إلى ممارسة الاتصال بالعرب والثقافة العربية.

د- إن ثمة قدراً كبيراً من المفردات العربية المستخدمة في لغات الشعوب المسلمة غير الناطقة باللغة العربية، ويقدر ذلك بنسبة تتراوح بين 30-50٪ وليتحقق من ذلك دارسو اللغات الآتية: الفارسية، والأردو، والسواحلية، والماليزية، والتركية والهوسا وغيرها.

ب- اللغة العلمية:

الشعب العربي شعب الفصاحة والبيان .. ولا نحسب أن التاريخ يذكر سيرة شعب أقام أسواقاً للأدب والشعر قبل الشعب العربي .. ولكن في إطار التواصل الحضاري والتفاهم الثقافي العالمي ينبغي أن نفحص نوع اللغة التي نتواصل بها .. إنها

لغة العلم وليست لغة أخرى يتوه الأجنبي في متاهتها .. وصريحها ومجازهـا .. إننـا في عصر سريع الإيقاع، تحكمه التكنولوجيا ويحـرص الجميـع فيـه علـى التواصـل بدقـة ووضوح وسرعة وإيجاز دون الإفراط في البيانات الـتي قـد تضيـع في ثناياهـا الأفكـار ولعل اللغة العلمية في هذا السياق أنسب أشكال الاتصال.

ويقصد باللغة العلمية اللغة التي يستطيع بها الفرد أن يستوعب ما هو متاح مـن علم وفكر. وهي اللغة التي تمكِّن أفراد الأمـة بمرونتـها ودقتـها مـن تـأصيل علومـهم وتنقيتها في جوانب شتى منها. وهذا ما حدث بالفعل للغة العربية في عصـور النهضـة العلمية في القرون الماضية وأهم سماتها: (سيد مصطفى هدارة، 32 ، ص 22).

1- سلامة البنيان اللغوي والإيجاز حتى يمكن أن تعيه الذاكرة في يسر. وحتى تتحقـق للغة هذه الميزة لابد من أن تحتوي عناصر منها الرموز والرسـوم والجـداول وهـي أشكال تخطيطية توضح بنية معينة.

2- المصطلحات: والمصطلح العلمي هو كلمة أو أكـثر يتـم الاتفـاق علـى تخصيصـها لتعني مفهوماً محدداً.

3- القصد إلى حقيقة الأمور وعدم العناية الكبيرة بالشكل.

4- المنطقية: لغة العلم تحتاج إلى منطق. أي التوالي الصحيح لحدوث الأشياء أو سـبق الأسباب على النتائج. ونسبة الفروع إلى الأصول.

5- شمولية صفة العلم: صفة العلم ليست وقفاً على جوانب المعرفة الإنسانية في عالم الأعداد وعالم الطبيعة، بل يمكن أن تطلق على كل فرع من فروع المعرفة الإنسـانية إذا سلك الباحث في بحثه مسلك الدقة والوضوح والمنطق.

6- وحدة المفهوم التركيبي للجملة العلمية. (سليمان حسيكي، 29، ص 68).

ويحدد عبد الصبور شاهين مواصفات اللغة العلمية فيما يلي:

أ- استخدام الألفاظ الحسية دون التجريدية.

ب- تفضيل الجمل القصيرة دون الطويلة.

ج- لا يستخدم من الألفاظ غير الضروري.

د- تفضيل المأنوس من الألفاظ.

هـ- استعمال الألفاظ المتعدية.

و- عدم الإسراف في الصفات.

ز- تفضيل البناء للمعلوم على البناء للمجهول.

ح- ألا يستعمل من الألفاظ ما كان ذا معنيين لأنه مناقض الدلالة. (عبد الصبور شاهين، 44، ص 14).

ولعل من أفضل من كتب عن اللغة العلمية محمد كامل حسين وهو أستاذ العظام الأشهر وعضو مجمع اللغة العربية البارز. يقول في دراسة له عن اللغة العلمية ما يلي:

ولنبحث الآن في اللغة العلمية وخصائصها. فهي من حيث صفتها العامة يجب أن تطابق روح العلوم التي تتناولها وطبيعتها. ويجب أن تكون محددة الألفاظ. واضحة المدلولات بسيطة الأسلوب. وأن تكون قابلة لنمو لا حد له. وأن تكون طبيعتها تسمح بالتصنيفات العلمية الحقة التي تبنى على صفات لها خطرها، لا كالتصنيفات التي ظل بها العلم القديم، وأصلها تصنيف الأشياء إلى أرض وماء وهواء ونار. وليس للجمال والذوق والأسلوب مكان في هذه اللغة، ولا بأس أن تكون اللغة العلمية جميلة. ولكنه لا يباح لنا أن نضحي بشيء من دقة اللغة العلمية ووضوحها في سبيل هذا الجمال أو تلك الفصاحة.

ويحسن أن تكون اللغة العلمية بعيدة عن متشابه القول في لغات العامة. ثم إنها يجب أن تكون قابلة للحياة. وأن تكون جهازاً حسناً يستطيع العلماء أن يفيدوا منه. وأكثر هذه الصفات تحققت في اللغة العلمية عند الغربيين، ووفق أهلها في ذلك توفيقاً منقطع النظير" (محمد كامل حسين، 76).

جـ- التخاطب بلغة المدعوين الآخرين:

إشاعة قيم التسامح العالمي هي كما قلنا من قبل، شكل من أشكال الدعوة ولكي تسود الحميمية بين الداعي ومدعويه غير العرب لا بد من التخاطب معهم بلغتهم.

والقرآن الكريم يوجِّه لذلك ويحض عليه قال تعالى: {وما أرسنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم} (إبراهيم آية 4)، إن التخاطب بلغة الآخر أعون على الفهم وأحب للألفة حيث ترد ردود الكلمات سريعة ويكون مرجع الصدى قريباً.

ويضرب المبشرون مثلاً واضحاً في ذلك .. إذ أنهم يتعلمون اللغة العربية جيداً قبل البدء في دعوتهم .. بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فيتعلمون اللهجات العربية واصطلاحاتها نظرياً وعملياً، ويدرسون القرآن ليتفقهوا على ما يحتويه ويخاطبوا عوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم.

وفي هذا السياق يقول الدكتور محمد محمود متولي عبد البر "ما دام محمد صلى الله عليه وسلم للعالم كله وليس للعرب خاصة فيجب على العرب وهم المكلَّفون بنقل الإسلام إلى غيرهم. أن يوصلوا هذا القول إلى كل قبيل من الناس بكل لغة يتم التفاهم بها. أي أنه يجب عليهم أن يتقنوا كل اللغات العالمية وما استطاعوا من اللغات المحلية، وأن يودعوا كل لغة خلاصة كافية هادية من تعاليم الإسلام في مجال العقيدة والخلق والعبادة وشتى أنواع المعاملات" (محمد محمود متولي عبد البر، 79، ص 173).

ولعل هذا مما يدعم بشدة كافة إجراءات تعليم اللغات الأجنبية في كليات الدعوة وأصول الدين وغيرها من كليات يتولى خريجوها مسئولية نشر الإسلام.

القسم الثاني:الحرف العربي

درجت بعض برامج تعليم العربية على تعليم اللغة العربية بالحرف اللاتيني، ويشيع هذا في برامج تعليم العاميات فبدلاً من أن يتعلم الطالب جملة، من أين أنت؟ بالحرف العربي يتعلمها هكذا: min ayna anta؟ وهذا ما يسمى بالكتابة الصوتية transliteration ومنطلق هذا البرنامج هو تسهيل تعلم العامية حتى يستطيع الدارس التخاطب بها. فهو لا يهمه القراءة بالعربية فضلاً عن تجنب مشكلات الكتابة العربية كما يقول أصحاب هذه البرامج، إذ إن للحرف العربي الواحد أكثر من شكل (أول الكلمة ووسطها وآخرها ثم شكله وهو مستقل) كما أن هذا يجنب الطالب مشكلة شكل الحرف (فتحة وضمة وكسرة).

هذه الحجج المختلفة مردودة عليها. ومن اللازم في رأينا أن نعلّم العربية بالحرف العربي وحده وليس بأي حرف سواه. ولنا في هذا مسوغات نوجزها فيما يلي:

1- عدم وجود نظام واحد أو عُرف مشترك بين الكتب المختلفة فيما يختص بطريقة ا لتعبير عن الأصوات العربية. ففي بعض الكتب مثلاً يعبر عن صوت (الخاء) بهذه الحروف kh وفي بعضها الآخر يعبر عنه بهذا x. كذلك تختلف طريقة التعبير عن "العين" فكلمة مثل "يتعارف" تكتب هكذا في ثلاثة كتب مختلفة: yata ع araf ، yata ᶜaaraf, yata aarf . ولاشك أن تعدد هذه الطرق يجعل الدارس في حيرة. وقد يشوه نطقه للكلمة العربية إذا أتيحت له فرصة الإطلاع على كتب ذات طرق مختلفة التعبير عن أصوات اللغة العربية.

2- عدم الثبات على الطريقة التي يتبناها برنامج معين أو كتاب من كتب تعليم العربية، ووجود أخطاء مطبعية لا تتدارك في حينها، يجعلان الأمر مختلطاً على الطالب في نطق الكلمة. دعنا نتخيل مثلاً أن نقطة سقطت سهواً أو حرفاً كتب في غير مكانه. إن النتيجة الوحيدة لهذا الخطأ هي النطق غير الصحيح للكمة العربية مع ما يترتب على ذلك من آثار.

3- إن استخدام الحرف اللاتيني دعوة مسمومة استهدفت في المقام الأول ضرب الثقافة الإسلامية في أهم أركانها وهو اللغة .. إن في استخدام الحرف اللاتيني في كتابة الأصوات العربية عزلاً للإنسان المسلم عن قرآنه العظيم. وعن كتابه المقدس وعن تراثه العريق. وزج له بعد ذلك في أحضان الثقافة الغربية بعد التمكن من استخدام حروفها. وليس المجال بمتسع للرد على أولئك الذين يضخمون مشكلة الكتابة العربية ويعدون عجزها عن مسايرة التطور العلمي الحديث.

ولم تتوان الجهود في سبيل التشكيك في الحرف العربي والدعوة إلى التخلي عنه، بل تتجدد مع الزمن وتأخذ في كل زمن شكلاً معيناً يتناسب مع طبيعة المرحلة.

ولقد انتهت الإدارة الأمريكية مؤخراً من إعداد مشروع خطير هدفه تغيير شكل حروف اللغة العربية واستبدال اللغة اللاتينية بها "تحت مسمى تحديث الثقافة

العربية!! واعتبر هذا المشروع جزءاً من خطة الإصلاح في المنطقة، التي تدخل ضمن إطار مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي قتلته أمريكا بفضائحها في العراق.

يقول مقدمو المشروع وهم عدد من الخبراء المختصين: "إن لهدف من هذا المشروع هو تحقيق تفاهم أفضل، ولغة مشتركة بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى، وإن الأمريكيين متعطشون للوقوف على أسرار تلك اللغة، وإلى العديد من الكتابات المهمة القديمة والحديثة التي نسجت العقل الثقافي العربي الإسلامي.

ويرى المشروع الأمريكي أنه لابد أن تخضع اللغة العربية للتطوير والتحرر من تلك الأشكال القديمة التي ظلت عليها منذ قرون. خصوصاً أن ذلك أدى فعلياً إلى صعوبة في استيعاب الغرب وأهل الديانات الأخرى لهذه اللغة أو تعلمها أو الاقتراب فكرياً ممن يتحدث بها!! ويقول المشروع: "إن العلوم الدولية لا تستطيع أن تعتمد هذه اللغة بسبب تعقد رموزها وصعوبة أشكالها ونطقها، في الوقت الذي يتقن فيه أهل العربية اللغة المشتقة من اللاتينية مثل الإنجليزية والفرنسية، مما يؤكد سهولة الحروف اللاتينية وقدرتها على التأقلم والتطور تحت أي ظروف وفي ظل أي مسميات للغات المختلفة.

ويقول المشروع الأمريكي: "على مدى أكثر من 600 دراسة متخصصة تم إجراؤها بمعرفة جهات بحثية مرموقة منذ عام 2002م وحتى أوائل عام 2004م. "كانت النتيجة التي خلصت إليها تلك الدراسات هي صعوبة التقاء اللغة العربية مع الإنجليزية، وهو ما كان دافعاً لموجة الكره العربي لأمريكا وإسرائيل!!

وأخيراً يضيف المشروع الأمريكي: إن العرب يصرون الآن على أن يكون حوار الحضارات والثقافات برنامجاً حقيقياً من أجل التقريب بين الشعوب العربية والغربية. وعليهم أن يدركوا أن تحقيق ذلك لن يكون إلا من خلال الاتفاق على تغيير أشكال اللغة العربية والتأثير على المحتوى الثقافي الذي يمكن أن تعتقد فيه الأجيال القادمة. (مصطفى بكري، 82).

وكفى رداً عليهم أن الحرف العربي، لما فيه من جمال وفن يشهد به الجميع، قد استطاع أن يستوعب الثقافة العربية والعلوم الحضارية المختلفة، كما استطاع المسلمون

به بناء حضارة شامخة، وتأسيس مجد عظيم، وما بدأ هذه الحضارة وذاك المجد في الضعف إلا بعد التنكر لأصول هذه الحضارة وأساس ذلك المجد.

4- أن تجارب الدول الإسلامية التي تكتب لغتها بالحرفين (العربي واللاتيني) تجمع على أن استخدام الحرف العربي أفضل لها. إذ فيه من الحروف ما يعبر عن اصوات كثيرة ليس في الحروف اللاتينية مقابل لها؛ مثل خ، ذ، ظ، ... الخ وكلنا يعرف أن كتابة هذه الأصوات باللاتينية يستلزم كتابة حرفين بدلاً من حرف واحد (فالخاء تكتب kh، والذال تكتب هكذا Dh.. وهكذا) ومع ذلك فإن نطقها بالحرف اللاتيني يظل غير دقيق.

من هنا ندرك قيمة التوصية التي أصدره المشاركون في ندوة اللغة العربية في تشاد والتي أصدوروا فيها "وثيقة أنجمينا" في الفترة من 21-25 يناير 2001 ومؤدى هذه التوصية: دعم كتابة اللغة التشادية بالحرف العربي وحماية اللغة العربية من أن تكتب بغير حرفها المعهود".

5- قد يتعرض الدارس الذي يتعلم بالحرف اللاتيني وحده إلى مواقف حرجة مثل (دورة مياه السيدات) أو خطورة (خطر، أو ممنوع الاقتراب..) أو توجيهية (اتجه يميناً) فيعجز عن قراءتها إذ إنها بالحرف العربي فيحدث له ما يحدث!.

6- إن تعليم الدارس اللغة العربية بالحرف اللاتيني يفقده القدرة على الاتصال بالصفحة المطبوعة باللغة العربية فلا يقرأ جرائدها ولا يستمتع بتراثنا.

7- إن الشعوب التي جربت نوعين من الخطوط، العربي واللاتيني، تجمع على أفضلية الخط العربي من حيث سهولته ويسره وقلة الجهد الذي يبذل معه، إذ هو اختزالي بطبعه. ويشهد بهذا المستشرق "ريتر" أستاذ اللغات الشرقية بجامعة استبنول، بتركيا وهو من المخضرمين الذين حاضروا في الجامعة قبل حركة كمال أتاتورك وبعدها. يقول "إن الطلبة قبل الانقلاب كانوا يكتبون ما أملى عليهم من محاضرات بسرعة فائقة، لأن الخط العربي اختزالي بطبعه. أما اليوم فهم لا يفتئون يطلبون إعادة العبارة مراراً، وهم معذورون فيما يطلبون: لأن الكلمة اللاتينية لا اختزال فيها" ثم أضاف قائلاً: إن الكتابة بالعربية أسهل كتابات العالم وأوضحها. فمن العيب

إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل وتوضيح الواضح" (سيد إبراهيم، 31).

8- وأخيراً فإن الحرف العربي ليس مجرد أداة اتصال. إنه فن بكل ما تحمله الكلمة من تذوق هذا الفن أو إبداعه.

أما من حيث الآليات التي يمكن اتخاذها للنهوض بالخط العربي، مما يسهم في دعم مكانته في الثقافة العربية الإسلامية، وفي تحقيق التواصل مع الثقافات الأخرى فقد أجملتها توصيات المؤتمر الذي عقدته مكتبة الاسكندرية بعنوان: "نحو خط عربي أفضل" منتصف عام 2005 وتتلخص هذه التوصيات فيما يلي:

1. ضرورة الاهتمام بأنواع الخطوط التي تعرض على شاشات التليفزيون وتكتب بها الجرائد والمجالات.
2. إنشاء كليات خاصة لتدريس الخط العربي .
3. الاهتمام بمدارس الخطوط الموجودة وتحسين وضعها بزيادة كفاءة العاملين بها.
4. عمل دورات تدريبية في الخط العربي لجميع المدرسين وأساتذة الجامعات.
5. تطوير التقنية الحديثة لخدمة الخط العربي وابتكار برامج الكمبيوتر التي تسهل عملية تعليمه.
6. استخدام الخط العربي في فنون العمارة ليس للتزيين فحسب.. وإنما من خلال معالجة الكتلة والفراغ.
7. تدريب الطلاب على المسكة الصحيحة للقلم وتعود الجلسة الصحية في أثناء الكتابة.
8. الاستغناء على الكتابة بالقلم الجاف ومعاودة الكتابة بأقلام الخط العربي كمحاولة لغرس الحس الجمالي عند الطلاب منذ الصغر.

القسم الثالث: التعريب

مقدمة:

في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003 كان التعريب هو القضية الثانية في محور الاهتمام عند الحديث على اللغة واستيعاب المعرفة. ونص التقرير على ما يلي:

إن قضية تعريب التعليم الجامعي لم تعد مجرد قضية قومية فقط، وإنما باتت شرطاً أساسياً لتنمية أدوات التفكير وتنمية القدرات الذهنية والملكات الإبداعية، فضلاً عن استيعاب المعرفة المتسارعة المتجددة، لذا فإن عدم تعريب العلوم يمثل عقبة في طريق إقامة جسور التواصل بين التخصصات العلمية المختلفة، ذلك أ، اللغة هي رابطة العقد في منظومة المعرفة الإنسانية ... وبرغم هذه الأهمية الفنية لقضية التعريب فإن جهود التعريب العربية ما زالت متعثرة من قبل كثير من أساتذة الجامعات الذين يجمعون بأن تعريب تدريس العلوم بمثابة حاجز يفصل بين الطالب العربي وبين المصادر الأساسية للمعرفة ومعظمها باللغات الأجنبية وهو موقف يتعارض في جوهره مع تضخم مصادر المعرفة وتعددها مما لن يجد معه الطالب مفراً من اللجوء إلى هذه المصادر، وهو الأمر الذي يتطلب بالضرورة أن تتوازى جهود التعريب مع زيادة الجهد المبذول في تدريس اللغات الأجنبية (الصندوق العربي للاتحاد الاقتصادي والاجتماعي، 37، ص ص 123-124).

أ) مفهوم التعريب

ويقصد بالتعريب: النقل إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية، بينما يقصد بالتعجيم النقل من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، وهما أمران يحتاجان إلى كثير من المهارات التي يلزم دراستها والتدريب عليها، وليس كل ناطق بلغة معينة يجيد الترجمة منها وإليها حتى لو أجاد اللغة الأجنبية المستهدفة. إن التعريب ليس مجرد الإتيان بكلمة عربية لكلمة أجنبية. إنه يعني إعطاء اللغة العربية دورها الكامل في التعبير والتعامل داخل المجتمع بحيث تكون اللغة الرئيسية في الإنتاج الفكري والمادي في تسيير مختلف المؤسسات والمرافق الاجتماعية. كما يتضمن دور اللغة القومية في

التعبير عن الرؤى والتصورات للكون والمجتمع وفي التفكير والإفصاح عن حاجات الأمة وطموحاتها .. بهذا المفهوم يصبح التعريب نوعاً من الترابط بين اللغة والفكر وشخصية الأمة.

إن التعريب نوعان: التعريب اللساني ويقصد به استعمال العربية ألفاظاً أعجمية على طريقتهم في اللفظ والنطق فيحافظون على الأوزان العربية والإيقاع العربي بما يطبعها بالطابع العربي، وهناك التعريب الاجتماعي الشامل الذي يشير إلى سيادة الفكر العربي والقيم العربية فضلاً عن سيادة استعمال اللغة العربية في مختلف مجالات الحياة الإدارية والعلمية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. الخ.

إن التعريب الذي ننشده يستهدف تعميم اللغة العربية واستخدامها في كل مجالات المعرفة الإنسانية وفي مختلف مظاهر الحياة ..

ب) أبعاد التعريب

وفي ضوء الرؤية الواضحة لأهمية التعريب كما وردت في تقرير التنمية الإنسانية العربية يمكن الخروج بالتوجهات والتضمينات الآتية:

1- إن التعريب سيكون حافزاً قوياً لتطوير اللغة العربية والفكر الوجداني في آن واحد فعن طريق التفاعل بين البنية اللغوية والمحيط الخارجي، يتحقق إثراء اللغة بانفتاحها على كل المتغيرات الاجتماعية والعلمية.

2- إن التعريب سيؤهل اللغة العربي كمطلب قومي لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع والعمل على ضبط أشكال معارفهم وتحديد إيقاع متميز لمعطيات تجربتهم وفكرهم وتمهيد السبيل لتجاوز وضعية التناقض والتخلف التي تسود معظم الأقطار العربية. (قاسم سارة، 60).

3- يعتبر تقرير التنمية الإنسانية العربية أن التعريب مطلب أساسي وشرط لاستيعاب المعرفة المتسارعة المتجددة مما يعد بعداً أساسياً من أبعاد القضية القومية ا لتي تتصل بلساننا العربي.

4- إن استرداد ثقة الإنسان العربي في لغته هـي نقطـة البدايـة في اسـترداد ثقتـه في ذاتـه ومؤسساته فلابد له أن يؤمن بقدرة لغته الأم على تلبية مطـالب العصـر وفي قدرتـها على المواجهة الساخنة في ساحة الاحتكاك اللغوي الذي يشقى به مجتمع المعلومـات. ولن يأتي ذلك من فراغ بل لابد أن يتحقق من خلال إثبات جدارة العربية في اقتحام المجالات الحديثة للمعرفة والتعامل مع تكنولوجيا المعلومـات، وذلـك بتعريـب نظـم الكمبيوتر والمعلومـات واسـتخدام اللغـة العربيـة في البرمجيـات المتقدمـة مثـل تلـك الخاصة بالذكاء الاصطناعي وتوليد الكلام وفهمه آلياً. (نبيل علي، 91).

5- كما أشار التقرير إلى البعد النفسـي للتعريـب والـذي يـراه أساسـاً لتنميـة أدوات التفكير والقدرات الذهنية. إن التعريب له من الآثار على تقلية الإنسان العربي مـا تتعدد جوانبه فنحن نفكر باللغة ونحلم بها. ولقد أثبتـت الدراسـات أن اسـتيعاب الإنسان للمفاهيم يكون أبسط وأسرع وأكفأ وأدق من خلال اللغة الأم.[1]

6- يرتبط بما سبق تأكيد العلاقة بـين التعريـب والتعليـم .. فـإذا كـان وجـود تعليـم للكليات العملية بدون تعريب كما هو سائد في معظم البلاد العربية فإنـه لا يمكـن أن يوجد تعريب حقيقي بدون تعليـم وذلـك لسـبب بديـهي وهـو أن الإنسـان لا يستطيع أن يستعمل اللغة العربيـة إلا إذا أمسـك بزمامـها. ومـن هنـا نجـد وثاقـة العلاقة بين التعريب والتعليم على مختلف مستوياته ومراحله.

7- إن من أهم طموحات الإنسان العربي توطـين العلـم والتكنولوجيـا وليـس مجـرد شرائها، ولا شك أن التوطين لا يتحقق إلا بأمرين: إجادة اللغة الأجنبية الـتي تـرد

(1) يذكر بهذه المناسبة أن الدكتور رشدي طعيمة عام 1997 كان عميداً لكلية التربيـة جامعـة السـلطان قابوس واتفق المجلس الأكاديمي وكان من بين أعضائه خمسة عمداء أجانب على تدريس مقـرر عـن التفكير العلمي كمتطلب جامعة، وتناقشنا حول لغة التدريس لهذا المقرر. وإذا بأحد هؤلاء العمـداء الأجانب يقترح أن يكون تدريس هذا المقرر باللغة العربي في الوقت الـذي كنـا نتوقـع منـه تـأييداً للتدريس بالإنجليزية على غرار المواد العلمية الأخرى، وطرح من بين ما طرح من مواد تعليمية لهذا المقرر كتاب التفكير العلمي للدكتور فؤاد زكريا، وكانت حجـة هـذا العميـد الأجنبي أن الإنسـان يكون أقدر على إدراك المفاهيم واستيعابها بدقة كلما قدمت له بلغته الأم.

إلينا بها التكنولوجيا والتي كتب بها العلم. وكذلك بانتشار التعريب الذي ييسر استيعاب المفاهيم والمصطلحات الجديدة والتعامل بها ونشرها.

8- إن التعريب فيه قطع الطريق على الغزو الأجنبي للغتنا وعقولنا وحياتنا .. وليس معنى ذلك اتخاذ موقف سلبي تمامً من اللغة الأجنبية وتعليمها .. فكما قلنا تعتبر إجادة اللغة الأجنبية شرطاً لتوطين العلم والتكنولوجيا ومن ثم نشجع على تعلم لغات أجنبية بمدارسنا لا أن نعلّم بها، وفرق كبير بين أن نعلّم اللغة الأجنبية أو أن نعلّم باللغة الأجنبية.

9- ثم إن هناك البعد الإسلامي للتعريب .. إذ فيه خدمة للمسلمين الذين يستعملون العربية بشكل متزايد ولا يجيدون لغات أجنبية ..

10- مع كل ما سبق هناك من يعارض التعريب من بين أساتذة الكليات العملية. ولهذا بالطبع أسباب كثيرة لا محل لتفصيل القول فيها. منها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو ثقافي ومنها ما هو تعليمي .. والذي نؤكده هنا هو أن الكثير من هذه الاعتراضات مردود عليها .. وإن الإمكانات للتعريب متوافرة لو صدقت النوايا وخلص العمل لله!!

11- في محاضرة قيمة للدكتور عبد الحافظ حلمي يعرض ما يسميه بمسوغات التعريب كالتالي:

أ- يجب أن نضع المصطلحات العلمية العربية وأن نوجزها وأن نترجم جميع الكتب اللازمة للتعريب أو نؤلفها وذلك قبل أن نبدأ بتعريب التعليم الجامعي.

ب- يجب علينا رفع الكفاءة اللغوية لمحاضري الجامعة وأن ندربهم على التعبير الصحيح قبل أن نبدأ بالتعريب.

ج- يجب أن نهتم باللغة العربية أولاً في بلادنا ثم يأتي الحديث عن التعريب.

د- يجب أن يصدر قرار سياسي قاطع حتى نبدأ في التعريب (عبد الحافظ حلمي، 39).

ج) آثار التأخر في التعريب

والآن ما أهم النتائج السيئة التي تترتب على التأخر في التعريب؟ يمكن إجمال أهم هذه الآثار فيما يلي:

أ- استعمال لغة أجنبية مشوهة في أغلب الأحيان ذلك لأن معظم المعلمين الذين يدرسون المقررات العلمية ليسوا من الناطقين بهذه اللغات وكثير منهم غير كفء فيها!

ب- عدم استيعاب الطلاب لما يلقى عليهم من المعلومات.

ج- انصراف معظم الطلاب عن الهدف الأساسي وهو الاستيعاب إلى التعارك مع لغة الكتب الأجنبية.

د- إن التعليم باللغة الأجنبية يعوق الدارس مهما كانت مرحلته الدراسية وتتمثل هذه الإعاقة في الجوانب التالية:

- لا يفهم جيداً ما يسمع من شرح.
- لا يفهم جيداً ما يقرأ.
- لا يجيد التعبير عن نفسه كلاماً.
- لا يجيد التعبير عن نفسه كتابة.

د) التعريب في المحافل الدولية

والسؤال الآن هو: ما مدى الإحساس العربي بأهمية التعريب وضرورته؟ تعبر عن ذلك توصيات وبيانات المنظمات العربية في هذا الشأن ولنذكر منها ما يلي:

1- بيان الرباط الصادر عن مؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي في الدورة السابعة بالرباط في الفترة من 10-13 أكتوبر 1989. وقد ورد في هذا البيان ما يلي:

"إن الاعتماد على لغات أجنبية في نقل المعرفة العلمية لناشئتنا، وتدريس العلوم والتقنيات في أغلب الجامعات العربية بلغات أجنبية. يعني عزل اللغة القومية والثقافة

العربية عن كل مضمون علمي، وبخاصة أن التجارب قد أكدت أن لا سبيل إلى تحقيق تقدم جدي في شتى مجالات المعرفة خارج اللغة القومية".

ويستمر البيان فيقول: "إن اعتماد اللغة العربية في التعليم بجميع مراحله واختصاصاته، وفي مختلف أجهزة العمل والإدارة والإعلام، وفي التأليف والإبداع، هو السبيل الأمثل لاستعادة اللغة القومية وظائفها الطبيعية، وهذا يقتضي أن نبذل الجهود الفعّالة لتبسيطها وتيسير استعمالها، وحمايتها من التشويه والتسلل اللغوي للألفاظ والتعابير الأجنبية.

وينهي البيان حديثه قائلاً: " إن تطوير لسان عربي علمي، ليس شرطاً من شروط الوحدة الثقافية والتقدم العلمي وحسب، ولكنه شرط لازم من شروط القوة والمنعة، وسبيل إلى تحقيق الوحدة العربية الشاملة".

2- **ميثاق الوحدة الثقافية العربية**: "توافق الدول الأعضاء على أن تكون اللغة العربية، لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها، وفي الوقت نفسه تعمل الدول العربية على توثيق صلة طلابها بالثقافة الأدبية والعلمية والفنية الحديثة، ومساعدتهم على إتقان الوسائل اللغوية التي تمكنهم من استيعاب هذه الثقافة.

3- **الخطة الشاملة للثقافة العربية**: "إن امتلاك السيادة الثقافية داخلياً وخارجياً يتوقف في الأساس على سيادة اللغة العربية في وطنها، وبين أبنائها أولاً.

إن الإصلاح اللغوي في جميع مستوياته، لا ينطلق فقط من إرادة الإصلاح والتغيير، ولا من الحاجة إلى الإصلاح، أو من السلطات العلمية واللغوية فحسب، ولكن منطلقه الأساسي إنما هو في القرار السياسي الوحدوي، إن ظهور لسان عربي، حديث، علمي، وجماهيري معاً، ليس شرطاً فحسب من شروط الوحدة الثقافية والتقدم العلمي اللذين يجمعان الوطن العربي، ولكنه أيضاً شرط من شروط الوحدة العربية الشاملة.

4- **بيان مثقفي المغرب**: إن على علماء المغرب ومثقفه ورجال الفكر والإصلاح فيه أن ينبهوا إلى التجني الذي يرتكب في حق اللغة العربية عندما يراد ربطها بالوضع الذي يوجد عليه العالم العربي اليوم، والنقص الذي يلاحظ في المصطلحات

العلمية الحديثة مع أنه لا ينكر أحد أن اللغة العربية كانت هي اللغة العلمية العالمية الوحيدة في العصور الإسلامية الزاهرة، وأن تخلفها اليوم في ميدان المصطلحات الحديثة لا يرجع لعجزها هي، بل لجمود المجتمعات العربية التي عليها أن تقوم بسد هذا النقص في الميدان اللغوي في نفس الوقت الذي تعمل فيه على سد نقصها في الميادين العلمية والصناعية، ذلك أن اللغة العربية ككل اللغات الحية، لا يمكن أن تتطور وتتقدم بمعزل عن الحياة والعلم والمجتمع، وإبعادها عن أن تكون لغة التعليم والإدارة والعمل هي الطريق المفضية بها إلى الموت البطيء لا إلى الحياة الخالدة.

وعليهم أيضاً أن يؤكدوا أنه لا حل لمشاكل التعليم المستعصية إلا بوضع المبادئ التي أجمعت عليها الأمة وهي: تعريب التعليم في جميع المراحل وعلى جميع المستويات ومعربة أطره وتعميمه، موضع التنفيذ المخلص السريع، حسب "ميثاق للتعليم".

5- وثيقة لسان العرب في تخطيط مستقبل اللغة العربية (القاهرة 14-16/ نوفمبر/ 1998م).

نقر نحن الموقعين على هذه الوثيقة المشاركين في المؤتمر السنوي الخامس لج ية لسان العرب لرعاية اللغة العربية، المنعقد في بيت العرب، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وتحت رعاية أمينها العام الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد، نقر أن عملية تخطيط رعاية مستقبل اللغة العربية، هي ضرورة قومية ملحة، تحتاج إلى تضافر كل الجهود، وتنسيق الأدوار، وصولاً إلى تحقيق الهدف: أن تكون اللغة العربية لغة التعبير لأنشطة الحياة العلمية والعملية والتعليمية والإعلامية والثقافية والترويحية، وأن يكون النقل من اللغة العربية وإليها نشاطاً مستمراً منتظماً مخططاً، يخضع للمتابعة الدقيقة، وتنظيم مخرجات هذا النشاط، وأن يكون هذا النشاط متوازياً مع مخرجات العلوم والمعرفة والآداب بألسن غير عربية، وعلى أن يكون التنسيق حياً متواصلاً مع جهود كل المؤسسات العربية، وأن تقوم علاقات متكافئة مع اتحادات المؤسسات العربية، والمؤسسات غير العربية، وذلك كله في إطار الدور المقترح لكل مؤسسة عربية والموضح في ملحق هذه الوثيقة.

القسم الرابع:برامج دعم اللغة العربية

أ) دعم اللغة العربية في بلدها:

تواجه لغتنا العربية تحديات كثيرة تتطلب حشد الجهود في سبيل دعمها قبل أن تتواصل مع غيرها من لغات أو ثقافات.

ومن أهم ما تواجهه اللغة العربية من تحديات ما يلي:

1- مزاحمة العامية واللهجات المحلية للغة العربية الفصيحة.

2- استخدام الطلاب مفردات من اللغات الأجنبية أثناء حديثهم مما يؤدي إلى "التلوث اللغوي".

3- شيوع اللغة الأجنبية لفظاً وكتابة في لوحات بعض المحال التجارية والمؤسسات فضلاً عن إعلانات الدعاية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

4- ضعف واضح بين الطلاب في اللغة العربية بفروعها كافة.

5- ضعف في إعداد معلمي اللغة العربية وتأهيلهم سواء كانوا ممن أعدوا تكميليا (بكليات التربية) أو تتابعياً، مما أسفر عن تدني مستوى الأداء اللغوي لدى المعلمين.

6- تخلف أساليب تدريس اللغة العربية بالقياس إلى أساليب تدريس اللغات الأجنبية.

إن من أهم متطلبات التواصل الحضاري بين اللغة العربية وغيرها من لغات الشعوب الأخرى، وضع سياسة لغوية جديدة تعتمد على التخطيط العلمي لمواقف الاتصال اللغوي للإنسان العربي ودورها في تحقيق التنمية بمختلف أشكالها داخل المجتمع ثم دورها في إثراء الحوار بين الحضارات.

وفي ضوء ذلك نفهم توصية هيئة الأمم المتحدة بشأن دعم تعليم اللغات الأم وصلته بالتنمية المستدامة وإثراء التراث الإنساني العالمي .. تقول التوصية:

"ويمثل اليوم الدولي للغة الأم، الذي يحتفل به كل سنة في 21/ شباط/ فبراير هو أحد أهم الأشكال الحالية للدعوة إلى تعدد اللغات، وتتعدد الاهتمامات بهذا المجال حيث إن اللغات تشكل جزءاً لا يتجزأ من تراث الإنسانية المعنوي، ولذا يحق لنا أن

تحظى بالاهتمام والعناية على نحو خاص، علاوة على ذلك، تسهم المحافظة على اللغات الأم في التنمية المستدامة نظراً للتفاعل الجلي بين التنوع الثقافي والتنوع البيولوجي. وقد بدأت هذه المناسبة التي جرى الاحتفال بها، في هذه السنة للمرة الرابعة، في اكتساب زخم متزايد، واسفرت في الكثير من البلدان عن مبادات رامية إلى إبراز ثراء لغات العالم".

هما إذن أمران متوازيان: دعم تعليم اللغة العربية في بلادها كمنطلق لتعلم لغت الشعوب الأخرى.. وفي هذا السياق ترد توصية هيئة الأمم المتحدة في إطار سياستها اللغوية مع الشعوب كالتالي:

يواجه صناع السياسات قرارات عسيرة عليهم اتخاذها فيما يتعلق باللغات. فعلى الرغم من قوة الحجج التعليمية التي تدعم تدرس اللغات الأم (أو اللغات الأولى)، يتعين ايضاً تحقيق توازن دقيق بين تمكين الناس من استخدام اللغات المحلية أثناء التعليم، وتوفير إمكانية الإطلاع على لغات الاتصال العالمية عن طريق التعليم.

ب) دعم اللغة العربية في الخارج.

تتفاوت البرامج التي تعمل على نشر العربية في الخارج. وسنقصر حديثنا هنا على البرامج التي ينخرط فيها أبناء الجاليات العربية والإسلامية في دول المهجر، ومن أكثر هذه البرامج شيوعاً ما يلي:

1- دراسة اللغة العربية والإسلام في المراكز الإسلامية في أثناء الأسبوع وتوزيع البرامج بين صباحية ومسائية على مدة عدة أيام.

2- دراسة اللغة العربية والإسلام في المراكز الإسلامية في أثناء العطلة الأسبوعية (السبت والأحد .. أو غيرهما).

3- دراسة اللغة العربية والإسلام في مدارس ومعاهد ومراكز ثقافية سواء كانت ذات شخصية اعتبارية مستقلة أو تابعة لسفارات وقنصليات عربية أو إسلامية (أنشأت معظم السفارات الدول النفطية مدارس خاصة لأبنائهم).

4- دراسة اللغة العربية والإسلامية في مدارس عربية وإسلامية تقيمها الجاليات لكنها تتبع النظم التعليمية السائدة في الدولة أو الولاية أو المقاطعة.

5- دراسة اللغة العربية فقط في بعض المدارس الحكومية كلغة ثانية اختيارية تحت إشراف الهيئات الرسمية.

6- دراسة اللغة العربية وبعض المواد الدراسية باللغة العربية لأبناء الجاليات العربية في المدارس الرسمية في إطار برنامج حقوق الأقليات. والمعاهد النظامية رسمية حكومية أو خاصة.

وتستند ضرورات الاهتمام بتعليم اللغة العربية لأبناء المهاجرين إلى ما تمثله غاياته من قيم وعلى رأس هذه الغايات:

1. تمكين أبناء المهاجرين من مواجهة التحديات التي تفرض نفسها عليهم في بلاد المهجر والتي هي جزء من طبيعة العصر وخاصة بعد أحادث الحادي عشر من سبتمبر التي جعلت منهم هدفاً للمواجهة .. وهذه التحديات تفرض عليهم مسئولية قومية ملزمة نحو لغتهم وثقافتهم مما يفرض عليهم استنفار جهودهم في سبيل نشر الثقافة العربية والإسلامية بما يكفل تصحيح صورتها ودحض ما يوجَّه إليها من افتراءات سواء عن قصد أو غير قصد وبفهم أو بغير فهم .. واللغة العربية في هذا الإطار هي نقطة التحرك ومرتكز الشخصية العربية ومناط هويتها الحضارية.

وتعليم اللغة العربية في ضوء هذا كله صار يتعدى حدود الاتصال بها إلى درجة التدرع بها درعاً واقياً أمام الهجمات التي تتعرض لها. ومقوماً أساسياً من مقومات البقاء يحفظها أمام عوامل الاضمحلال والتلاشي ويقيها من محاولات التهميش اللغوي والثقافي التي هي أثر من الآثار السلبية للعولمة.

هذا الإحساس عبر عنه الدكتور عبد العزيز الرفاعي أمام مجمع اللغة العربية بالقاهرة في فبراير عام 1993 عندما تحدث عن العلاقة بين العربية والهوية فقال:

"نحن العرب ماذا بقي لنا لكي نتماسك ولكي لا نضمحل ونتلاشي ونذهب خبراً من الأخبار ونذوب كما ذابت من قبلنا أمم فقدت شخصيتها السياسية؟ لم يبق

لنا إلا اللغة، فقد تكالب علينا الغزو الثقافي من كل جانب يعمل دائماً ليل نهار ولكي يقوض ارتباطنا بلغتنا لغة القرآن ويحولها إلى أمشاج يسهل ابتلاعها وتكوينها على النحول الذي يريد، وهو يدرك تماماً أنه إن قوضَّ اللغة قَّوض الدعامة الأساسية في كياننا وسهل عليه بعد ذلك أن يقوض بعدها كل الدعامات الأخرى لتنهار واحدة تلو الأخرى وبذلك لن تقوم لنا قائمة ولا تجمعنا رابطة (لا سمح الله).

2. تزويد أبناء المهاجرين بالرؤى التي تتبناها الشخصية العربية في مختلف المواقف، حتى تعيد رؤاهم وتتكون في ضوئها اتجاهاتهم .. وليس أفضل ولا أقدر من اللغة القومية من تنمية المفاهيم والاتجاهات والقيم في إطارها الصحيح.

إن اللغة مصدر الهوية الجماعية فالتبني للغة معينة معناه التبني لنظرة أخرى للعالم وليس مجرد انتقال من نظام معنوي إلى نظام معنوي آخر. فإذا حصل ذلك على حساب اللغة الأصلية فمعناه التجرد من الهوية الأصلية والتبني لهوية جديدة "وعلى هذا فكل أحوال الشعب الحاضرة من ذهنية وسلوكات تخصه وتصورات وحكم وعادات وقوانين وطرق خاصة في التنظيم الاجتماعي والعلاقات بين الأفراد وغير ذلك مما توارثه أفراد من القديم وعلى مر العصور، فكل هذا قد سجلته لغتهم في مجالاتها المفهومية وهي بذلك ذاكرة هذا الشعب، وبفضها تضمن استمرارية هويته. ولكن ليس كل ذلك يكون جوهر الهوية".

3. إكساب أبناء المهاجرين مهارات التواصل باللغة العربية في المواقف التي يمرون بها في بلاد المهجر استماعاً وكلاماً وقراءة وكتابة.

4. تدعيم المهارات اللغوية التي اكتسبوها من مصادر مختلفة سواء من آبائهم أو من أوطانهم إذا كانوا على صلة دائمة بها أو من برامج انخرطوا فيها، أو اكتسبوها بجهدهم على سبيل التعلم الذاتي.

5. تزويد الأبناء بالقدرة على الاتصال الجيد بمصادر الثقافة العربية الإسلامية وعلى رأسها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتراث العربي والإسلامي في مختلف مجالاته مما يدعم انتماءهم ويقوي إحساسهم بالذاتية الثقافية.

القسم الخامس:الترجمة

مقدمة:

ستظل الترجمة سبيل كل ثقافة إلى التفتح وإثراء منظومة أفكارها وقيمها الإنسانية المرتبطة بالهوية العامة والاستمتاع بمعرفة الآخر.وبدون الترجمة تبقى الشعوب منعزلة عن بعضها البعض وكأنها جزر منفصلة. ولا يتحقق للمجتمع الإنساني في مجمله ما نتوقعه له من تقدم وثراء، سواء من حيث لغته أو أفكاره أو حتى اسلوب الحياة فيه .. وأياً ما كانت الدوافع للترجمة، تجارية أو ثقافية أو علمية أو غير ذلك فإنها تهدف إلى إزالة الحدود بين الحضارات وبناء الجسور بين الثقافات.

وفي المجتمع العالمي المعاصر تلعب الترجمة دوراً ليس بالبسيط، فإذا كان التفاعل بين ثقافتنا وغيرها من الثقافات مرهوناً بالترجمة سواء من حيث نوعية ما يترجم أو جودة الترجمة ذاتها.

إن الترجمة بوابة من بوابات العبور إلى اكتساب المعرفة وتحصيلها. ويتصور البعض أن الأمر في الترجمة لا يزيد على أن توازن بين الكلمات بحثاً عن تناظر بينها تعدل فيه الكلمة ويكون الحل هو في اقتناص التناسب الدلالي بين اللغة المترجمة منها وتلك المترجم إليها .. وهذا في الواقع خطأ كبير ذلك أن اللغة ليست مجرد قائمة من الكلمات تقابل قائمة من المعاني والمسميات.

أ) متطلبات الترجمة:

ولا يمكن للترجمة أن تؤدي وظيفتها على الوجه المطلوب إلا إذا توفرت فيها جملة من المواصفات أهمها:

أ- أن نحسن اختيار ما نترجم، ويستلزم ذلك تثبتاً ودراية وإلماماً بالمتوافرة في سوق العلم ومراكز البحث .. إن الغاية من الترجمة إغناء تراثنا القومي ولا يمكن إغناؤه بالأعمال الضعيفة أو الآثار المهملة.

ب- أن نملك ناصية اللغتين لاختيار الكلمة المناسبة للمعنى المناسب .. وهذا أمر قد لا يتوافر عند الكثيرين من المترجمين ..

جـ- أن يجيد المترجم فهم الثقافتين . ثقافة اللغة المترجم منها وثقافة اللغة المترجم إليها.

أما من حيث ترجمة المصطلح العلمي أو صوغه فإن ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته قد انتهت في توصيتها الخامسة عشرة إلى ما يلي:

لا يعهد بوضع المصطلحات العلمية إلا إلى مصطلحين تتوافر فيهم الشروط الآتية:

- إجادة اللغة التي يترجمون فيها أو ينقلون عنها.
- إجادة اللغة العربية.
- أن يكونوا متخصصين في العلم الذي يترجمون عنه.
- أن يكونوا ممارسين عملياً لعوم اختصاصهم.
- أن يكونوا على دراية تامة بمفهوم المصطلح العلمي وأساليب وضعه في تخصصاتهم والتخصصات القريبة منها.

ويشارك في وضع المصطلح العلمي كذلك اللغويون المختصون والمترجمون الخبراء والمعلوماتيون والمستفيدون من المصطلح العربي وتطبيقه. (مكتب تنسيق التعريب، 84، ص 337).

ب) مشكلة النص:

يشيع في ميدان الترجمة العربية أو إليها تصنيف النصوص إلى نوعين: نصوص أدبية تعنى أول ما تعنى بالتعبير عن مشاعر وأحاسيس وانفعالات كاتبها. ونصوص علمية أو تقنية تكثر فيها المصطلحات حتى لتكاد ترجمتها تقتصر على إبدال مصطلحات تقابلها في اللغة المنقولة إليها، نحن عند ترجمة النصوص العلمية لا نحتاج إلى لغة شعرية أو صور خيالية أو تراكيب بيانية يصعب نقلها من أدب إلى أدب، ولعلنا ندرك صعوبة، إن لم يكن استحالة، الترجمة الدقيقة للشعر من لغة إلى أخرى .. إننا في مجال العلوم والتقنية نتعامل برموز محددة ومصطلحات قد لا تقبل التأويل مما يجعل أمر الترجمة سهلاً ومما يعلل قدرة العربية على نقل الحضارة اليونانية بكفاءة شهد بها الغرب قبل الشرق.

وهذا بالطبع خطأ شائع. إن تصنيف النصوص إلى علمية وأدبية كما يرى الدكتور يوسف إلياس لا يصلح اساساً لإعداد تيبولوجيا TYPOLOGY لأنواع الخطاب المختلفة يمكن أن تقوم عليها منهجية عملية للترجمة. فهو يهمل خصائص كل نوع من أنواع الخطاب اللغوية وغير اللغوية. ويغفل طرائق الصياغة المتعارف عليها في هذا الضرب من أنواع الخطاب أو ذاك. ولا يفرق بين نص يكتبه كاتب فرد وآخر تكتبه هيئة أو منظمة لها شخصية قانونية أو اعتبارية وقواعد تحكم صياغة ما تكتبه وتنشره، وهو فوق ذلك يكاد يجرد النصوص العلمية من صيغتها الاسلوبية والبلاغية ويقصرها على النصوص الأدبية. وبذلك أهمل التحليل الاسلوبي والبلاغي في كثير من تراجم النصوص العلمية.وأهملت قواعد الكتاب والصياغة المألوفة فيها وشاعت في التراجم العربية ظاهرة الترجمة الحرفية والاقتراض بالترجمة وكثرت التراكيب المعربة والدخيلة غير المتقيدة بقواعد اللغة وأبنيتها وموازينها.

ج) طبيعة الترجمة

من أجل هذا يسود الانطباع في ميدان الترجمة أنها ليست عملية سهلة، وإنما هي صعبة. إن ترجمة النصوص، إبداعية أو إخبارية أو علمية، يستلزم اتباع منهجية علمية واضحة وليست أمراً عشوائياً. إذ لابد لها من أن تعنى أشد العناية بلغويات الخطاب. فتدرس طبيعة العلاقة بين طرفي عملية التواصل ومراد الطرف المرسل وأن لا تهمل الجوانب البلاغية والأسلوبية في النصوص لما لها من علاقة وثيقة بدلالات الألفاظ ووظيفتها التعبيرية في إطار الخطاب. وكذلك ضرورة تبين العلاقات الدلالية والمنطقة بين أجزاء النص، سواء تعلق الأمر بالعلاقات بين الجمل أو بين فقرات النص. وبيان هذه العلاقات لا يتم إلا إذا درس النص درساً لغوياً ويربط ويوضح ما بين أجزائه المختلفة ومكوناته صلات وروابط.

إن توضيح هذه العلاقات هو من صميم عمل المترجم. ليست الترجمة إذن مجرد نتف واشتات متفرقة لا يجمعها جامع ولا يربط بين أجزائها رابط .. ليست الترجمة مجرد ذكر كلمة عربية مقابل أجنبية أو تركيب محل آخر.

إن المترجم لا يترجم لغة إلى لغة أخرى وإنما ينقل المعاني من لغة إلى أخرى. إنه يترجم نصاً تتكامل مكوناته اللغوية وغير اللغوية وتتداخل بحيث تكون كلاً لا تنفصل أجزاؤه. ينبغي نقل معانيه إلى لغة الترجمة نقلاً كاملاً، دون أن يهمل الجوانب البلاغية والأسلوبية.

إن الترجمة تحاكي في بعض مظاهرها عملية الإبداع، وهي قراءة جديدة للنص، فإذا كان النص واحداً في الأصل فهو متعدد في الترجمات، التي لا تقضي على هويته الأولى بعدما فتحته على الخارج، ولذلك كانت قيمة المترجم في مدى فهمه للصعوبات وفي ما يبذله من جهد قصد التغلب عليها.

من أجل هذا يسود الانطباع في ميدان الترجمة أنها ليست عملية سهلة وإنما هي صعبة ومصادر الصعوبة كثيرة.

د) صعوبات الترجمة:

ويتساءل جورج مونان: ما الذي يجعل الترجمة صعبة وشاقة؟ ثم يجيب قائلاً الواقع أننا نلاحظ سهولة الترجمة عند ثنائي اللغة الذين تعلموا لغتين في آن واحد وفي مكان واحد. ومارسوا اللغتين ممارسة يومية ذلك لأنهم أوجدوا روابط مباشرة بين الكلمات والأشياء التي تعبر عنها الكلمات تعبيراً حياً في مكان العمل. إنما تظهر صعوبة الترجمة عندما نتعلم لغة ولا نمارسها بطريقة مباشرة في الحوار، بمعنى أن ينصب علمنا على اللغتين وعلى الكلمات وعلى الجمل بعيداً عن الموقف أو السياق.

من أين جاءت هذه الصعوبة بهذا الشكل؟ لقد جاءت بسبب أن اللغات ليست قوائم بها كلما تقابلها نفس الحقائق المعطاة مسبقاً. وتكون الترجمة ميسورة في حالة إمكان الترجمة الحرفية. وقلما نجد جملة في كل صفحة تماثل الجملة التالية حتى في اللغات التي تتشابه حضارتها مع الحضارة الإنجليزية والفرنسية، ويعبر علم اللغة عن هذه الملاحظة بقوله: ليست اللغات محاكاة (قولية) كلية لحقيقة كلية. فكل لغة يقابلها تنظيم خاص لمعطيات التجربة البشرية وتقوم كل لغة بتقسيم الترجمة غير اللغوية بطريقتها (جورج مونان، 17، ص 40).

ويرى عبد الوهاب التازي سعود أنه قد اتضح بعد الجهود التي بذلتها الدراسات اللسانية الحديثة للتعمق في فهم "ميكانيزمات" اللغة وقوانينها واهتمامها بأساليب نقل الثقافات والمعارف والعلوم بين اللغات" أن عملية الترجمة معقدة، تتنوع صعوباتها ومشاكلها حسب طبيعة النص المترجم، فترجمة العلوم البحثية مثلاً لا يكاد يضيع خلالها شيء من المضمون، لكن الأمر خلاف ذلك فيما يخص الإبداعات الفكرية والأدبية، وتشير الدراسات إلى عدد من المشاكل التي يجب الانتباه إليها عند القيام بعملية الترجمة، ومن أهمها:

أ- الأفكار في اللغات لا تمشي على نفس السكة - كما يقال- إذ المضمون في النص مستقل عن الشكل الذي يعبر عنه.

ب- البحث عن التقابل اللفظي والتركيبي بين النصين الأصلي في اللغة/ المنطلق، وبين النص المنقول في اللغة/ الهدف، عمل عبثي لا جدوى له، لأن المضمون هو الذي يترجم لا الشكل، ولأن لكل من اللغتين مقولاتها النحوية والتركيبية الخاصة.

جـ-لا تطابق بين اللغات في كيفية تحليل الواقع الخارجي وتقسيم العالم وتصوره والتعبير عنه، فكل لغة تحلل واقعها أحسن تحليل وتصفه أدق وصف وأكمله، فإذا وصفت واقعاً أجنبياً دخيلاً عليها ولم تعرفه من قبل ولم تعهده، فإن بعض القصور ربما يظهر فيها ومن ثم قيل إن بعض اللغات أغنى من بعض وأكثر مرونة وتكيفاً.

وذلك ما يظهر الصعوبة في تحديد مفهوم المترجم الناجح، لأن الترجمة -كما سبق- تنقل مضمون الرسالة لا شكلها، ولأن كل لغة تختزن قيم أصحابها وتجاربهم المختلفة وشحناتهم العاطفية، والصعوبة التي يواجهها المترجم تكمن في مدى قدرته على نقل المضامين الخفية، والقيم الكامنة في إنتاج النص الأصلي، بما فيها من عادات وتقاليد واعتقادات، فلا تكفي معرفة لغتين للنقل عنهما، بل يجب أيضاً الإحاطة بتاريخهما وحضارتهما وثقافتهما كما سبق القول لمعرفة دقائق النصوص وفهم سياقها لتتم عملية الترجمة في أحسن الظروف المعرفية اللازمة لها.

ويظن بعض الناس أن المترجم مجرد آلية ناقلة أو وسيط محايد لا تأثير له في الموضوع ولا عطاء له فيه، فدوره على العكس من ذلك جد مهم، وتزداد أهميته كلما كان للنص المترجم صلة بشئون الفكر والفلسفة والآداب ليصبح هو - أي المترجم- نفسه مفكراً، أديباً شاعراً وهو ينقل الشعر ويجهد نفسه في أن يكون له نفس المدلول ونفس الواقع في اللغة/ الهدف المنقول إليها.

ولقد سبق للبيروني، كما يذكر محمد رشاد الحمزاوي، أن قال أن الترجمة خيانة .. ويقول آخرون أنها فتنة وذلك أمر طبيعي باعتبار المشكلات الناتجة أولاً عن نقل ثقافة وحضارة لغة مصدَر إلى لغة هَدف وما لهما من مصطلحات واستعمالات خاصة بكل واحدة منهما. يضاف إلى ذلك أمر طبيعي آخر يقر اختلاف ترجمة مصطلح من لغة إلى أخرى بحسب إدراك كل واحد منهما لمفهوم المصطلح وطبيعته واستعماله، فلا يمكن أن نقر على العموم وجود ترجمة صائبة وترجمة خاطئة إلا إذا تقيدنا بمعطيات وقوانين جماعية تستوجبها التجربة والتطبيق وتخضع الترجمات المقترحة إلى مقاييس وسائل الوضع والتوحيد والتنميط، (محمد رشاد حمزاوي، 70) هذا وتسعى البحوث العلمية اليوم إلى تحقيق مشروع الترجمة الفورية الآلية التي تنوب فيها الأجهزة الإلكترونية عن الإنسان، لكن هذه الترجمة الآلية تواجه صعوبات متعددة، أهمها أنها ظلت عاجزة عن متابعة الإنسان في إنجازاته في كل مجالات تفكيره وملكاته، مما يجعلها تتعثر كثيراً في تحليل الجملة والتعرف على بنيتها ومعاني ودلالات ألفاظها والسياق الذي استعملت فيه.

هـ) مشكلات الترجمة الآلية

مع التقدم الكبير الذي شهده ميدان الترجمة وعلى رأسه الترجمة الآلية تتصدر قضية المقارنة بينها وبين الترجمة الإنسانية من حيث تحقيق الحوار بين الثقافات ونقل المفاهيم بينها بكفاءة تتعدى حدود الكلمات إلى المشاعر والأحاسيس.

والواقع أن المقارنة قد لا تكون في صف الترجمة الآلية لما يعترضها من مشكلات يجمل سالم الغزالي أهمها فيما يلي:

1- تهدف الترجمة من منظور تكنولوجيا اللغات إما إلى الحصول على المعلومات وإما إلى بثها ولدينا مشكلات في كلتا العمليتين:

فمن حيث الحصول على المعلومات: تتدفق كل يوم معلومات من مختلف مجالات الحياة صناعية وتجارية وعلمية .. الخ وبأكثر من لغة. وتعجز إمكانياتنا البشرية والمادية عن ترجمتها. ومن حيث بث المعلومات ونشرها فالأمر متعلق بالدول المصدرة والتي تصدرها إلى البلدان الأخرى ومعها أدلة استخدامها مما يستلزم الترجمة الدقيقة لها في الوقت الذي لا تتوافر فيه الترجمة.

و) معوقات الترجمة

يرى شوقي جلال أن أزمة الترجمة هي أزمة مجتمع ويجمل طبيعة المعوقات التي تواجه الترجمة فيما يلي:

1- فقدان خطة أو استراتيجية تنموية شاملة.

2- الثقافة والتنمية الفكرية والعقلانية العلمية تحتل إن وجدت مرتبة ثانوية.

3- التنشئة الاجتماعية التي ترسخ حالة الانحصار الذاتي وتقتل الفضول المعرفي وروح المغامرة والتمرد.

4- النظام التعليمي الذي يعتمد على الحشو ولا ينمي القدرات العقلية والفضول المعرفي والمنهج العلمي والتحصيل الثقافي.

5- الطابع الفردي في اختيار الموضوعات وكذلك على مستوى النشر.

6- عدم توحيد المصطلح العربي.

7- التخلف الحضاري والعلمي (ومن مظاهره شيوع أمية القراءة والكتابة ناهيك عن أمية التعامل مع تكنولوجيا المعلومات المعاصرة).

8- عدم توافر القواميس العلمية.

9- الافتقار إلى تنظيم مؤسسي للمترجمين.

10- الأمية العلمية والثقافية.

11- الافتقار إلى التمويل في بعض البلدان.

12- الجامعات ومراكز البحث ليست على مستوى المنافسة العالمية.

13- الترجمة لا تزال تفتقر إلى البرامج على المستويين النظري والقومي أعني كفالة وحدة اللغة والفكر قومياً.

14- انحسار نشاط الترجمة بعامة في بلدان المغرب نظراً لأن البرجوازية المثقفة تجيد اللغة الفرنسية.

15- أيضاً أن كتاب المشرق لا يجد سبيله إلى المغرب والعكس صحيح وذلك للافتقار إلى نظام توزيع وتنسيق شامل للبلدان العربية (شوقي جلال محمد، 35، ص 82-84).

الفصل السابع

الآليات الثقافية

مقدمة:

الحديث عن الآليات الثقافية في دعم قيم التفاهم العالمي وإشاعة ثقافة السلام حديث ذو بعدين: الأول الآليات الثقافية في الداخل. ويقصد بذلك ما يمكن للمفاهيم والوسائط الثقافية أن تلعبه في داخل المجتمع العربي. والثاني الآليات الثقافية في الخارج.

وليس لنا في مستهل الحديث عن الآليات الثقافية إلا أن نؤكد ما ذهب إليه المهدي المنجرة من أن الثقافة معطى ديناميكي. وكل ثقافة لا تتعامل على نحو فاعل وواع مع التغيير سيكون مآلها الانقراض. فأفضل طريقة لحماية الهوية الثقافية التي تمثل الجزء الأقل مناعة في بناء جيل بلدان العالم الثالث هي جعل الثقافة أحد المحركات الأساسية في عملية التنمية (المهدي المنجرة، 89، ص 40).

وإذا صدق هذا على المستوى الداخلي فهو أصدق على المستوى الخارجي أيضاً فالتنمية أولاً لا تتحقق إلا في مجتمع يسوده السلام ومن ثم تتوجه طاقاته للبناء. مما يؤكد وثاقة الصلة بين الثقافة واللغة التي هي من أهم مقوماتها. وبين اقتصاديات الشعوب. وكذلك الأمر بالنسبة للمستوى الخارجي. إذ إن أنماط التعامل بين المهاجرين العرب والمهاجر التي نزحوا إليها تتأثر بلا شك باتساع في ذهن المهاجر من مفاهيم ثقافية وما توجَّه إليه الوسائط الثقافية. وفيما يلي حديث عن المستويين.

القسم الأول:المستوى الداخلي للثقافة

التغيير الثقافي:

إن إشاعة مفهوم التسامح وتدعيم قيم التفاهم العالمي بين الشعوب وغيرها يستلزم مواجهة ثقافتنا، انطلاقاً من الدور الكبير الذي تلعبه الثقافة في حياة الأفراد والمجتمعات .. إن الثقافة ليست مجرد عادات وتقاليد متناثرة أو تراكمات لأنماط الحياة .. إن للثقافة وظائف سبعة يجملها علي المزروعي فيما يلي:

1- تساعد في توفير عدسات لالتقاط الفهم والإدراك وتتحدد رؤية الناس للعالم إلى حد كبير بالنموذج أو النماذج الثقافية التي كانوا قد تعرضوا لها.

2- تعطي دوافع للسلوك البشري لأن الاستجابة السلوكية بطريقة معينة إنما تعود جزئياً إلى منبع ثقافي.

3- تقدم مقاييس التقويم. ذلك أن ما يعد حسناً أو قبيحاً، بشعاً أو جميلاً، أخلاقياً أو لا أخلاقي، جذاباً أو منفراً إنما بعض مرده إلى الثقافة.

4- تعطي قاعدة لتحديد الهوية.

5- تعد أحد أساليب الاتصال وأكثر أنظمة الاتصال إتقاناً هو اللغة ذاتها.

6- توفر قاعدة للتقسيم إلى طبقات إذ إن الطبقة والمرتبة والمكانة محكومة إلى حد بعيد بمتغيرات أو عوامل ثقافية.

7- تؤثر في نظام الإنتاج والاستهلاك.

ولعل نقطة البدء في مراجعة ثقافتنا تصحيح آفتين شائعتين فيها .. وتمثل كل منهما حاجزاً قد يعترض جهودنا في الاتصال الثقافي الإيجابي بالثقافات الأخرى ويحددهما هشام نشابة فيما يلي:

الأول: إن الإصرار على الحدود يمكن أن يؤدي إلى القمع الفكري وأن يحول بالتالي دون التقدم العلمي. ولذا فيجب أن ندرك هذا الخطر وعلينا أن نبدع صيغة توفيقية بين إعادة الاعتبار لقدسية الحدود من جهة. وقدسية الحرية الفكرية والبحث العلمي من جهة أخرى.

- الآفة الثانية: تكمن في أن التقـدم والازدهـار في مختلـف المجـالات مرتبـط بـالغرب باعتباره السّباق في مجالات العلوم. والرائد فيها. أمـا كـون العـالم الغربـي رائـدً في مجال التطور العلمي فمن البديهي القول بأن هذا لا يجب أن يولد فينا العـداء لهـذا التطور لمجرد كونه آتياً من الغرب .. فالعلم لا جنسية له. وخبرتنا السياسية السـيئة مع الغرب لا يجب أن تمنعنا من الاعـتراف بأهميـة منجزاتـه الحضاريـة وضـرورة الأخذ بها في معركتنا مع التخلف (هشام نشابة، 94، ص 143).

الانتقاء الجيد للمفاهيم الثقافية:

إن ثقافتنـا العربيـة الإسـلامية تشـمل الكثـير مـن المفـاهيم الـتي تدعـم حـوار الحضارات وإشاعة قيم التسامح والتفاهم بين الشعوب. كما أن لهـا تصـوراً فريـداً في التعامل مع الآخر (بلغة العصر) أي غير المسلمين .. إلا أن هذه المفـاهيم تحتـاج عنـد عرضها الدقة في الاختيار والتمحيص واختيار ما يتناسب مع ما ندعو إليه، وبث هـذا كله خلال برامج تعليمنا للغة العربية سواء للناطقين بها أو للنـاطقين بلغـات أخـرى بلغات أخرى..

إن اللغة والثقافة وجهان لعملة واحـدة .. ولا يتخيـل أحدنـا أن تعليـم اللغـة يمكن أن يجري دون تشبعه بالمفاهيم الثقافية.

ولبعض المفكرين وجهة نظر أخرى. يقترح محمد محمـود متـولي عبـد الـبر عنـد حديثه عن أساليب الدعوة تأليف بعثات وجماعات لتعليم اللغة وحدها دون ربط هذا التعليم بالبلاغ الديني أي تهيئة معرفة اللغـة وإتقانـها لأي إنسـان يطلـب المزيـد مـن الثقافة وسوف يجني الإسلام على المدى البعيد ثمرة الازدهـار اللغـوي المجـرد (محمـد محمود متولي عبد البر، 79، ص 169).

ومع تقديرنا لحكمة هذا الرأي إلا أن التساؤل الذي يطرح نفسه الآن هو: هـل يمكن تجريد اللغة من المفاهيم الثقافية هل يمكن أن نعلّم الدارسين لغة محايدة تخلو تماماً من الظلال الثقافية التي تلقيها على الكلمات والجمل والتعبـيرات؟ القضيـة إذن مـن مفاهيم ثقافية .. ولعل ما يلزمنا في هذا السياق تحريـر فكرنـا سـواء في برامـج إعـداد المعلمين أو الدعاة أو رجال الإعلام أو العـاملين بـالمراكز الثقافيـة أو الدبلوماسـية أو

غيرهم ممن له صلة بالشعوب الأخرى. نقول تحرير فكرنا من مفهوم الكراهية المؤكدة الأبدية للإسلام .. وأن هناك فكراً صليبياً دائماً موجهاً ضد الفكر الإسلامي. وإن كان هذا موجوداً بالفعل عند بعض ذوي العقول الغربية المشوهة والنفوس المريضة. كما شاهدنا في الحملات الأخيرة الموجهة ضد الإسلام. إلا أننا يجب أن نقفز على هذه النقاط ونتخطى حدودها!

وما دمنا بصدد الحديث عن انتقاء المفاهيم الثقافية وجب أن نوسع تصورنا للمفاهيم، فلا نقصرها على مجرد الأفكار بل يتسع الأمر ليشمل الموروث الحضاري كله في هذا العالم الذي يتغير بسرعة شديدة يلعب الموروث دوراً متزايد الأهمية حيث أنه يجعل البشر يدركون من هم، ومن أين جاءوا وماذا تعنى حياتهم، فالمباني الموروثة والمواقع والأعمال الفنية والنتاجات الصناعية وبالقدر نفسه اللغات والأعراف والعادات العامة والمهارات التقليدية كلها أصبحت تعد وسائل مهمة في التعبير عن الهوية بالنسبة إلى المجتمعات المحلية والأقاليم والأمم، بل بالنسبة إلى الإنسان بصفة عامة، وفي الوقت نفسه يتعرض الموروث الحضاري في العالم كله لتهديدات متزايدة من عدة مصادر مختلفة (أمين الرباط، 11، ص 269).

تبادل الكتب

تمثل الكتب والمواد التعليمية، ورقية أو إلكترونية، إحدى القنوات التي من خلالها يمكن التواصل الحضاري بين الشعوب .. ومن الممكن أن تلعب دوراً لا يستهان به في تحقيق التفاهم العالمي.

إلا أن ثمة مجموعة من المعايير التي ينبغي أن تخضع لها هذه الكتب قبل تداولها إن أريد لها أن تلعب دوراً في التفاهم العالمي.

والمعايير المقترحة هنا يمكن أن يستفاد بها في أمرين: الأول تحليل وتقويم الكتب الحالية. والثاني الاستعانة بها عند إعداد كتب ومواد تعليمية لهذا الغرض. وسوف نطرح هذه المعايير في شكل أسئلة:

1- ما مدى دقة المعلومات التي يشتمل عليها الكتاب؟

2- هل تم تدعيم الشروحات والتفسيرات المقدمة على الأحداث والتعميمات، هل تم تدعيم هذا كله بالمعلومات والحقائق؟

3- هل تم شرح المفاهيم المهمة والمصطلحات بدقة ووضوح؟

4- هل التوضيحات والجداول والأشكال والرسومات البيانية دقيقة وحديثة؟

5- هل تم الحديث عن الأقليات والأجناس الأخرى والأمم والشعوب والقوميات بشكل منصف وعادل؟ وهل تم تقدير عطائهم في مختلف المجالات؟

6- هل طبقت المعايير العلمية والأخلاقية وقيم العدالة على الشعوب الأخرى بمثل ما طبقت على الشعب الذي ينتمي إليه المؤلف؟

7- هل تم عرض القضايا الجدلية الأخلاقية بشكل موضوعي؟

8- هل تم تحاشي الكلمات والعبارات التي تنمي الاتجاه نحو الأحكام المسبقة وسوء الفهم والصراع؟

9- إلى أي مدى كانت النصوص والتوضيحات والتدريبات جديرة بالتقدير ومناسبة لتنمية المعلومات والمعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة للحياة بشكل فعّال في عالمنا المعاصر؟

10- في ضوء نوع الموضوع ومستوى عمر التلاميذ هل توجد معلومات كافية حول جغرافية العالم وتاريخه، ثقافات الدول الأخرى، والعلاقات الدولية المعاصرة ومشكلاتها؟

11- هل تحقق التوازن في اختيار المواد التعليمية؟ وهل تحقق التوازن أيضاً في تفسيرها؟

12- هل حظيت أفكار مثل حرية الإنسان وكرامته والمساواة بين الناس والأخوة باهتمام كافٍ ودعمٍ في الكتاب؟

13- هل تم التركيز على الميثاق الأخلاقي للسلوك الإنساني المتبادل والإحساس بالمسئولية المشتركة عن الظروف الدولية المعاصرة؟

14- هل تمت الإشارة بتركيز على تقدم الحضارة الإنسانية؟ وعلى أشكال التراجع والعقبات التي تواجه التقدم الإنساني؟ والنماذج الإنسانية العالمية والأبطال؟ وعلى أشكال الاعتماد المتبادل؟

15- في كتب التاريخ هل هناك معلومات كافية عن تاريخ الجهود الرامية لإحلال السلام بين الشعوب المختلفة؟

16- هل هناك معلومات كافية عن الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة في ضوء طبيعة الموضوع المدروس؟

17- هل يمكن من خلال الكتاب إدراك مدى الحاجة لمنظمة عالمية وللتعاون بين الدول؟

18- هل تم إيضاح مفهوم السلام من خلال التعاون الدولي والقانون وذلك في ضوء طبيعة الموضوع المدروس؟

القسم الثاني:المستوى الخارجي للثقافة

التجمعات الثقافية في الغرب

إن تكوين التجمعات الثقافية العربية الإسلامية في الدول الأجنبية من أهم الآليات التي من خلالها تتواصل الشعوب العربية بغيرها من شعوب .. ولقد حاولت مؤسسة جذور الثقافة في أمريكا وكندا تبني تجمع ثقافي للأدباء العرب ولكنها لم تأخذ شكلاً إجرائياً تنظيمياً فعّالاً إلى الآن. والواقع أنه منذ الرابطة القلمية التي كانت متواجدة، مطلع القرن الماضي لم تتكون منظمات ثقافية عربية إسلامية ذات شأن فعّال في نقل رسالة الثقافية العربية الإسلامية الداعية للتسامح والتفاهم العالمي وما تكون منها لم يستطع ذلك.

ولبيان دور الجاليات العربية في المهجر نشير إلى توصيتين صدرتا عن المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة (منظمة المؤتمر الإسلامي) المنعقد في الجزائر في الفترة من 15=16 ديسمبر 2004 وهما:

1- دعوة الكفاءات المسلمة في الغرب إلى التفاعل مع بيئتها ومحيطها والاندماج في مجتمعاتها لخدمة قضايا الأمة الإسلامية بشكل خاص والقضايا الإنسانية بشكل عام وإبراز القيم والمبادئ الإسلامية.

2- دعوة المدير العام للإيسسكو إلى إعداد برامج وأنشطة تربوية وعلمية وثقافية لفائدة الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية في المهاجر انطلاقاً من الإستراتيجية. تركز على المستجدات والاحتياجات التي طرحتها المتغيرات الدولية والإقليمية على الصعيد الثقافي.

الأصول الثقافية للجاليات:

ينبغي الأخذ في الاعتبار ما بين الجاليات العربية والإسلامية في المجتمعات العربية من تفاوت في الاصول الثقافية، إن من الخطأ اعتبار هذه الجاليات جميعها موحدة الثقافة استناداً إلى وحدة العقيدة، ومع ذلك فإن الثقافة العربية الإسلامية هي المظلة التي يتآزر تحتها أبناء الجاليات العربية الإسلامية تحميهم من هجير الثقافات الأجنبية. ولعل تعدد الثقافات المحلية لهذه الجاليات يفرض على معلم الثقافة العربية في بلاد المهجر ما يلي:

1- التعبير عن الاحترام والتقدير لكل ثقافة على حدة والحصر على عدم عقد مقارنات بينها، والبعد عن الأوصاف المعيارية التي تفضل في بعض الثقافات صفات وفي ثقافات أخر صفات أخرى، حتى لا تثار شحناء بين التلاميذ في المدرسة الواحدة.

2- التأكيد على أن اللغة العربية يمكن أن تؤدي دوراً في توحيد كلمة المسلمين في بلاد المهجر على حدة: فيكون اختلاف ثقافاتهم كما حدث في الماضي، حيث كانت العربية لسان المفكرين والعلماء والفقهاء والفلاسفة المسلمين من أي جنس كانوا أو لأي قومية انتسبوا.

4- التفكير في تأليف كتب لتعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات في كل بلد من بلاد المهجر على حدة، فيكون هناك كتاب لأبناء الجاليات في انجلترا وآخر لأبناء الجاليات في أمريكا وثالث لهم في فرنسا ورابع في روسيا .. وهكذا .. وعلى هذا يضيق شقة الخلاف بين أبناء الجاليات.

والمتأمل للدوائر الثقافية التي يتحرك أبناء الجاليات فيها في بلاد المهجر يجدها أربع دوائر وليست دائرة واحدة:

أ. فهناك الثقافة المحلية التي جاءوا بها (أفريقي، آسيوي، أوروبي)..

ب. وهناك الثقافة الإسلامية التي تجمعهم.

جـ. وهناك الثقافة القومية لبد المهجر (إنجليزية، فرنسية، ألمانية..).

د. وهناك الثقافة العالمية التي تمثل القاسم المشترك بين الناس على اختلاف ثقافاتهم المحلية.

والمتأمل في هذه الدوائر الأربع يجدها تفرض نفسها عند تأليف كتاب لتعليم العربية لأبناء الجاليات يستهدف دعم قيم التسامح والتفاهم العالمي. ولقد يكون الوضع الأمثل تأليف كتاب لأبناء كل جالية على حدة كما سبق القول. إلا أن هذا يصعب على المؤلفين الآن، إن لم يكن مستحيلاً. فضلاً عن عدم إمكانية تنفيذه في حد ذاته. لذا يصدق هنا المثل القائل "ما لا يدرك كله لا يترك جله" فتأليف كتاب لأبناء الجاليات في كل بلد على حدة سوف يضمن تلبية حاجات المدرسين في الدوائر الثلاث التالية لما بعد الأولى.

5- ضرورة فهم المعلم للخلفيات الثقافية للدارسين في الفصل الواحد، حتى يفسر في ضوء هذه الخلفية أشكال السلوك التي تبدر من بعضهم مما يعد مخالفاً للسلوك العام في الفصل. ولعل هذا أيسر الأمر خطورة. ولكن أشدها خطورة يكمن في الصراع الذي قد يشهده الدارس بين ما يُفرض عليه ممارسته في الفصل وبين ما تعوَّد عليه ممارسته في البيت أو مع أقرانه من ذوي ثقافته. وليحرص المعلم على ألا يعرض الدارس لمثل هذا الصراع، وذلك بأن يترك مساحة للحركة يسمح للدارس فيها أن يخالف الأعراف العامة في الفصل مع تهيئة باقي زملائه لتقبل ذلك ما دام الأمر بعيداً عن إلحاق الأذى بأحدهم، ولعل منطلق تسامح التلاميذ مع زميلهم هو تعرضهم للموقف نفسه في وقت ما.

والمهم في ذلك كله أن يحرص المعلم على إشعار الدارسين أنه في تعاملهم مع ثقافاتهم المحلية ينطلقون من تقدير لها، وأن يستأصل من أذهانهم ما قد يتبادر لديهم عن المعلم وكيف أنه يسعى للتنميط الثقافي.

الفصل الثامن

الآليات الاتصالية

مقدمة:

من آليات توظيف اللغة العربيـة في تعزيـز التعـارف والتفـاهم والسـلم وضـع منظومة متكاملة للاتصال يتحقق من خلالهـا الحـوار الإيجـابي والمثمـر بـين الشـعوب العربية وغيرها .. ولهذه المنظومة مكونات، ولها مميزات كما أن أمامها عقبات ولننظـر في أبعاد هذه المنظومة .. بدءاً بتحديد المصطلح..

القسم الأول:الاتصال، مفهومه ومكوناته

للاتصال Communication تعريفات كثيرة تختلف باختلاف المنظور الذي يـرى المفهوم من خلاله، إعلامياً أو تربوياً أو غيرهما، إلا أننا سنقتصر هنا على ذكر أكثرهـا شيوعاً وأقربها صلة بدراستنا.

يلخص ويدوسون Widdowson نقلاً عن ريلي Riley عملية الاتصال في قوله: يطلق مصطلح الاتصال حين يحدد مستعمل اللغة موقفاً يتطلـب منـه نقـل معلومـات معينة لتحقيق التقارب المعرفي Convergence of knowledge بـين الأفـراد. ومـن ثـم يمكن أن يتغير هذا الموقف بشكل أو بـآخر. وهـذا الإجـراء أو هـذه العمليـة تتطلـب التفـاوض أو تبـادل وجـهات النظـر حـول المعـاني خـلال التفـاعل بـين الأفـراد (Widdowson, H.C). وأطلـق علـى هـذا الشـكل مـن التفـاوض لفـظ الخطـاب Discourse. وهذا المصطلح يشير إلى التفاعل الذي يجب أن يأخذ مكانه لتـأكيد قيمـة المعنى لما ينطق به المتحدث. وللتحقق من فعاليته كمؤشر لنية المتحدث أو قصده.

ولا ينبغي أن تشغلنا التركيبة اللغوية لعملية الاتصال بقـدر مـا يشـغلنا الإطـار العام الذي تتم فيه العملية نفسها والعلاقة التي تنشأ بين أطراف العقد الاتصالي.

إن الاتصال يرتكز إلى حد كبير على ديناميكية التغذية الراجعة لأنها بمثابة القانون الذي يغذي العلاقة الثنائية للعقد أولاً ومؤشر لقياس مدى نجاح وصول الرسالة وتفاعل المتلقي مع محتويات الخطاب.

وتكاد تجمع الدراسات على أن الاتصال الجيد ينبغي أن تتوافر فيه مجموعة من المعايير سواء بالنسبة للرسالة أو المرسِل أو الوسيلة أو المستقبِل ونجملها فيما يلي:

أ- من حيث الرسالة: تتم عملية الاتصال لو توافرت في الرسالة عدة خصائص، منها:

1- الترتيب المنطقي.

2- دقة المفردات والعبارات في التعبير عن الأفكار.

3- بساطة التراكيب اللغوية.

4- قلة الرموز والتجريدات.

5- مناسبة حجمها، فلا هي بالطويلة المملَّة ولا بالقصيرة المخِلَّة.

6- صحة اللغة التي نُقلت من خلالها الأفكار.

7- وضوح المفاهيم والمصطلحات وقلة عددها.

ب- من حيث المرسِل: تتم عملية الاتصال لو توفر في المرسِل عدة خصائص منها:

1- وضوح الفكرة في ذهنه.

2- عمق خبرته بالموضوع الذي يعالجه.

3- تنوع طريقته في عرض الافكار.

4- قدرته في اختيار الألفاظ المناسبة.

5- وضوح صوته عند الحديث.

6- إعادة عرض الأفكار بتفصيل أكثر.

7- ضرب أمثلة تجعل الرسالة محسوسة وليست مجردة.

ج- من حيث الوسيلة: تتم عملية الاتصال لو توافرت في الوسيلة عدة خصائص منها:

1- دقتها في نقل الأصوات (بالنسبة للحديث).

2- عدم وجود مؤثرات جانبية تشوِّش على الحديث.

3- وضوح الطباعة.

4- دقة الطباعة وقلة الأخطاء المطبعية.

5- جاذبية الإخراج وحسن تنسيق الصفحة.

د- من حيث المستقِبل: تتم عملية الاتصال لو توافرت في المستقبل عدة خصائص، منها:

1- سلامة حواسه في استقبال الرسالة (الأذن والعين9.

2- قدرته على فك الرموز التي وصلت إليه.

3- درايته باللغة التي يستقبل بها الرسالة.

4- خبرته بموضوع الرسالة.

5- ألفته بالمرسِل ومعرفته لعاداته في الحديث أو الكتابة.

6- اتجاهه نحو الموضوع وتحمسه لأفكاره.

7- مفهومه نحو نفسه Self-concept ومفهومه نحو الآخرين.

ويُجمل محمد أكرم سعد الدين مقومات نجاح عملية الاتصال في مجموعة عوامل هي:

1. استعداد المخاطب للتفاعل مع الخطاب وهو رهن بتحيز أو حياد المخاطب حيال الخطاب أو غاياته.
2. الوظيفة التواصلية التي ينيطها المخاطب بخطابه.
3. درجة توافق علاقة السلطة والتضامن التي يفترضها الخطاب مع توقعات المخاطب في ذلك السياق.
4. درجة توافق وتيرة توسيع الخطاب مع الوتائر المختزنة في فكر المخاطب وسيقات استخدامها.

5. درجة توافق تعبيرات الخطاب مع الخلفية التفسيرية المختزنة في ذاكرة المخاطب الإدراكية وإمكاناتها التوليدية (محمد أكرم سعد الدين، 65، ص 132).

القسم الثاني:مجالات الاتصال اللغوي

كان لانتشار الوسائل التكنولوجية الحديثة العديد من التأثيرات على المجتمع العربي. وقد تعددت مجالات الاتصال اللغوي عبر هذه الوسائل ومنها:

1- نقل الأخبار من موقع الحدث نفسه وبشكل فوري ومباشر.

2- توجيه الرسائل ذات المضامين المختلفة.

3- تشخيص الحالات المرضية خاصة في مجالات الطب النفسي.

4- طلب الحاجات والتسوق عن بعد.

5- متابعة بعض البرامج التعليمية في الجامعات المفتوحة.

6- الإجابة عن تساؤلات المواطنين في مجالات الحياة المختلفة.

7- طرح المشكلات والقضايا الفقهية وتلقي الفتاوى الخاصة بها.

8- عقد المؤتمرات والمقابلات التلفزيونية.

9- إجراء الحجوزات عن بعد سواء في الطيران أو الفنادق أو غيرها.

10- الدردشة Chating وإجراء الحوارات بقصد المتعة أو التعرف أو إزجاء الفراغ.

ويذكر سالم الغزالي من نتاج الصناعات اللغوية ما يلي:

1- نظم حاسوبية تمكن آلياً من تحويل الكلام المنطوق نصاً مكتوباً والنص المكتوب كلاماً منطوقاً. وتحويل نص من لغة إلى أخرى أي الترجمة آلياً أو بمساعدة الحاسوب.

2- أنظمة أخرى أقل ذكاء لكنها مفيدة جداً إذ هي تساعد على صياغة الوثائق وأستعمالها.

3- موارد لغوية أساسية وأهمها قواعد البيانات بالمدونات النصية والكلامية والمعجمية والنحوية. ويرتكز ميدان هندسة اللغة على اختصاصات في حقول

معرفية متعددة، فلكي نصنع آلات تتحاور مع الإنسان بلغة طبيعية لابد قبل ذلك من أن نفهم جيداً بنى اللغة السماعية (الاكوستيكية) والصوتية (الفونولوجية) والتركيبية والدلالية .. إلخ وذلك لا يتيسر إلا بامتلاك ناصية اللسانيات بفروعها المختلفة.

4- معالجة الوثائق إذ تلعب تكنولوجيا اللغة دوراً فعّالاً في مختلف أطوار حياة الوثيقة من تصميم وصياغة ومراجعة وخزن واسترجاع وطباعة وتوزيع. كما توجد نظم أخرى أقل دقة وشمولية تصلح الأخطاء النحوية والأسلوبية الشائعة. وتضمن الثبات والإفراد في استعمال المصطلحات. وقد تساعد أحياناً على توليد نصوص بسيطة خالية من اللبس سهلة الفهم يكن للحاسوب أن يلخصها ويستخرج أهم ما جاء فيها آلياً.

5- معالجة الكلام المنطوق لكي يتم الحوار بين الإنسان والآلة عبر الكلام المنطوق. يفترض أن تتوافر في الآلة قدرتان: قدرتها على فهم ما نقول لها، وقدرتها على الرد بلغة طبيعية. ويعرض سالم الغزالي أهم نماذج التعرف الآلي على الكلام، وهو ما يمثل القدرة الأولى موضحاً أن الهدف البعيد لهذه النماذج هو تطوير نظم أو برمجيات تمكّن الآلة من:

أ- التعرف على كلام أي فرد دون تدريب مسبق على نطقه.

ب- التعرف على أي كلمة.

ج- السماح للمتكلم أن يتلفظ بالنسق الذي يريده (عادي، سريع، بطيء)

د- التميز بين ما هو نص وما هو أوامر وما هو حوار مع المستعمل.

هـ- العمل في جميع الوضيعات حتى في الأوساط التي يسودها الضجيج.

و- التعرف على هوية المتكلم انطلاقاً من صوته.

ز- الإجابة بلغة طبيعية.

6- المعالجة الآلية للغات الطبيعية: الفهم والتوليد. ومن أهداف ذلك تمثيل المعرفة اللسانية على مستوى الحاسوب لإعطائه القدرة على التعبير وعلى الاستدلال

المنطقي انطلاقاً من نص مكتوب، وعلى التوصل إلى نتائج مقنعة. وهناك فرق بين الفهم والتوليد. إن فهم اللغات الطبيعة يتطلب النظر في بيانات داخل نص معين لتحديد معناه وتأويل مقاصد صاحبه. أما نظام التوليد فهو مطالب بصياغة أفضل العبارات التي تتماشي مع سياق معين وذلك باختيار التراكيب الملائمة. وأن يكون هناك ما يبرر هذا الاختيار، فمهمة نظام التوليد هي من ناحية معرفة المعلومات التي سيزود بها مجاوره ومعرفة ما يقوله ومتى يقوله. ومن ناحية أخرى معرفة أفضل الوسائل للتعبير عن هذه المعلومات واختيار العبارات المناسبة (سالم الغزالي، 26).

القسم الثالث:معوقات الاتصال اللغوي

الحوار ليس في كل أمر وموقف ميسراً، أو ذا طريق مفروش بالورد، بل تواجهه عقبات ويصطدم في مسيرته بمشكلات تقلل فاعليته، أو تربك مسيرته أو حتى تعوق طريقه أو حتى تحول دون تحقيقه.

إن الاتصال بيننا وبين الآخر قد تقف أمامه عوائق، من أهمها ما يعود إلى أركان عملية الاتصال نفسها، ومنها ما يعود إلى الجانب الانفعالي في الأداء اللغوي وهو كفيل بإعاقة أي اتصال مع الغير، ومنها ما يعود إلى ارتفاع مستوى التوقعات أو سوء التأويل ومنها ما يعود إلى عدم التسامح والافتقار إلى النوايا الصادقة للتفاوض، وفيما يلي إشارة لكل منها:

هذه المعوقات يمكن تصورها لو رجعنا إلى المقومات السابقة وتخيلنا عدم توافرها أو بعضها في عملية الاتصال .. كأن تكون الرسالة مليئة بالتجريدات، غامضة الأسلوب، أو أن تكون الفكرة غامضة في ذهن المرسل. أو ليس ذات خبرة بالموضوع أو عاجز عن التعبير الدقيق .. أو غير ذلك. وكأن تكون الوسيلة غير دقيقة في نقل الرسالة. أو تكون عوامل التشويش المحيطة بالرسالة كثيرة، وكأن يكون المستقبل ضعيف السمع أو البصر، أو قليل الخبرة بالموضوع، أو عاجزاً عن فك رموز الرسالة لأنه ليس ذا رصيد لغوي يسمح له بذلك. أو ذات اتجاه سلبي نحو المرسِل أو نحو موضوع الرسالة .. كل هذه عوامل تعوق بلا شك إتمام عملية الاتصال. من هناك نقول إنه لا يوجد اتصال تام بين البشر .. والأمر هنا نسبي.

1- **باثولوجيا الاتصال:** تتضمن صعوبات الاتصال ومعوقاته كافة أبعاد الاتصال وعملياته ونواتجه. ويحدد كولمان المصادر العامة التي تكمن وراء صعوبات الاتصال على النحو التالي:

أ- التوجه المادي: ويقصد به الميل إلى اعتبار الأفراد الآخرين أشياء أو موضوعات مادية بدلاً من اعتبارهم أشخاصاً لهم مشاعرهم واجتهاداتهم.

ب- التمركز الذاتي.

ج- الاستغلال

د- المخادعة.

هـ- المسايرة الزائدة (الإمعية).

و- الاعتماد الزائد (التواكلية).

ز- التمردية.

ح- العداوة.

ط- مشاعر النقص.

ي- الانعزال الانفعالي.

ك- التعصب.

م- التوقعات غير الواقعية.

2- **طغيان الاستعمال الانفعالي للغة:** يفرق ريتشارد في استخدام اللغة بين ما يسميه الاستعمال العلمي "وما يسميه الاستعمال الانفعالي، وأساس التميز أننا قد نستخدم الألفاظ إما لأجل ما توجه من إشارات وأما لأجل المواقف والانفعالات التي تعقب هذه الألفاظ. (ريتشارد، 23، ص 339).

وبطبيعة الحال كلما طغى الاستعمال الانفعالي على استخدامنا للغة حد ذلك من قدرتها الاتصالية، لأن الانفعالي يجعلنا ننسى الشرط الأساسي للتواصل من خلال اللغة وهو الإفهام. وكلما كان التعبير عاطفياً نزع إلى الشكل الإجمالي المركز والصيغ المتناثرة المفككة (صلاح فضل، 36، ص 19).

3- **التوقعات وسوء التأويل**: إذا كان الشخص المرسِل غير واضح في الرسالة التي يحاول نقلها أو إذا أخفق في جعل مضمون الرسالة ذا معنى بالنسبة للشخص الذي يتواصل معه. فمن المحتمل أن يكون استقبال الرسالة مشوياً بسوء الإدراك أو بسوء التأويل. كما أنه يصعب احتواء الآخر لتحقيق الهدف من العملية الاتصالية وقد تؤدي وجود توقعات معينة عند المرسل والمستقبل إلى تحريف الاتصال. فإذا كان الشخص المرسل يعتبر المستقبل على أنه متخلف أو متميز فإن توقعات المرسل بأن يساء فهمه قد تعترض طريق توصيله لأفكاره على نحو هادئ وواضح. ومن ناحية أخرى إذا كانت فكرة الشخص المستقبل عن المرسل أنه يميل إلى المبالغة أو التحيز أو العداوة نحوه أو على أنه ضعيف بدرجة لا يستطيع معها أن يتخذ موقفاً محدداً في قيمة ما فإن الرسالة نتيجة لهذه الإدراكات القبلية قد لا تلقى اعتباراً من المستقبل أو قد يسيء تأويلها أو يرتاب فيها أو يتحفظ بشأنها بصرف النظر عن قيمة مضمون الرسالة (طلعت منصور، 38، ص 447).

4- **عدم الاستعداد للتفاوض**: ليست علاقة التخاطب علاقة مضمونة التحقيق لأنها تعتمد إلى حد كبير، على درجة التسامح التواصلي المختزنة في ذهن المخاطب فإذا كان ذهن المخاطب رافضنا لمصدر الخطاب وأساليبه وغاياته، أو جاهلاً ببعض ذلك أو كله أدى ذلك إلى إقفال قناة الاتصال بين الخطاب والمخاطب. أما إذا كان المخاطب مستعداً للتفاوض مع الخطاب بوصفه رسولاً بين المخاطب والمخاطب الذي يتواصل مع الأول عبر تقمصه لدوره واستخدام أدوات الخطاب المشتركة فيما بينهما، بوصفهما ممثلين متماثلين للقاعدة المعرفية المشتركة للجماعة اللغوية أمكن للعملية التواصلية أن تتم .. فتصل بالخطاب إلى هدفه" (محمد أكرم سعد الدين، 65، ص 131).

5- **التنافر المعرفي**: إن استقبال الفرد لمعلومات غامضة أو غير كافية أو غير مناسبة أو متناقضة يخلق حالة من التوتر عنده تدفعه إلى السعي لاختزالها. وحينما يحدث التنافرَ وغالباً ما يحدثَ كلما ازدادت المجتمعات تحضراً يتوجه الفرد إلى الحصول على معلومات جديدة تختزل أو تخفف هذا التنافر، ويمكن خفض التنافر عن طريق

تغيير أحد العناصر المعرفية أو إضافة عناصر جديدة أو تقليل أهمية بعض العناصر (طلعت منصور، 38، ص 29).

6- **تعطيل القدرات التحليلية**: يقول أنور عبد الملك في كتابه "دراسات في الثقافة الوطنية: رأى دنلوب مستشار التربية أيام اللورد كرومر أن الضمان الوحيد لاستبعاد مصر على مر الأجيال لا يكمن في الاحتلال العسكري والاستعمار الاقتصادي بقدر ما يكمن في ضرب الفكر المصري في الصميم بحيث يصبح عاجزاً عن التطور والإبداع والخلق، ويظل معتمداً على غيره ليتحرك، ورأى دنلوب أنه لكي يتحقق هذا الهدف لابد من أن تتجه سياسة التعليم كلها في مراحلها الابتدائية والثانوية والعالية على السواء نحو:

أ- الحفظ دون المناقشة.

ب- الترتيل دون النقد.

جـ- ومحاكاة المراجع والأساتذة دون تشريحها وتكوين رأي مستقل فيها.

د- واحترام الكلمة المكتوبة دون امتحانها والتصارع الفكري معها. (رفيق رضا صيداوي، 22، ص 19).

7- **قصور العقل العربي**: عن تزويد الأجهزة الإعلامية بالمواد المتسمة بالدقة والمعنى. ومن هنا أخذت أجهزة الإعلام المعاصرة ترمي الناس بالعبارات المطولة التي يشوبها غموض الدلالة أحياناً كثيرة نتيجة العجز في التحليل واتباع الوضوح الموافق للدقة الإعلامية (مصطفى حسن، 83، ص 48).

8- **انعدام الوحدة اللغوية**: دلت دراسة قامت بها الألكسو أن وحدتنا اللغوية لا تقوم إلا على 7٪ تقريباً من مجموع الكلمات العربية التي نستعملها بيننا، بينما نحن مختلفون بنسبة تتجاوز 93٪ من المادة اللغوية.

9- **حاجز اللغة الأجنبية**: يتمثل هذا الحاجز في أمرين:

أ- إجادة اللغة الإنجليزية والفرنسية من قبل فئة قليلة إلى حد ما، وهي التي تقف على قمة الهرم الأكاديمي في الوقت الذي لا تجيد فيه القاعدة وهي القوة العاملة

النشيطة لغايات أجنبية. مع الأخذ في الاعتبار أن التطور الحضاري الفعلي هو الذي يشمل هذه القاعدة في المقام الأول.

ب- قليل جداً أولئك الذين يجيدون لغات أخرى سوى الإنجليزية والفرنسية مثل اللغة اليابانية والألمانية والإسبانية والروسية وكلها لغات تشيع في التكنولوجيا المعاصرة.

10- **الشبكة العربية للمعلومات**: يوسع بعض المؤلفين دائرة المعلومات التي تقف أمام الاتصال اللغوي في مجتمع المعلومات فالقضية في رأيهم ليست في مجرد الاتصال وإنما أيضاً في آلياته ومقوماته. وعلى رأس هذه المقومات تكوين شبكة عربية للمعلومات .. وأمام بنائها وتطويرها عقبات يوجزونها فيما يلي:

أ- قصور آلياته الوطنية والعربية للمعلومات.

ب- الفجوة الزمنية بين التخطيط والتطبيق.

ج- ضعف الصناعة العربية للمعلومات والاتصالات.

د- تناقض الدعم المالي لمشروعات البنية الأساسية المعلوماتية القطرية والعربية.

هـ- القوة العاملة المعلوماتية المهنية.

و- قواعد المعلومات المحلية والأجنبية وضعف الإسهام العلمي العربي.

ز- أزمة اللغة العربية والحاجز اللغوي مع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

ح- عدم تحقيق الاستخدام الفعّال لخدمات قواعد المعلومات.

ط- عدم تهيئة البنية الداعمة لتطبيق سياسة وطنية للمعلومات.

ي- مدى إفادة الدول العربية من برامج الهيئات الدولية. (أحمد بدر وآخرون، 5).

11- **تعدد مستويات الخطاب**: يشهد واقع الأداء اللغوي في العالم العربي ازدواجية وثنائية لغوية لا محل للتفصيل فيها. إلا أن الشيء الذي يسجله هذا الواقع هو تعدد مستويات الأداء اللغوي مما يعوق الاتصال الفعّال بين جميع أطراف هذه المستويات ويلخصها السعيد بدوي في خمسة مستويات كالتالي:

1. فصحى التراث تستخدم في قراءة القرآن الكريم فقط.

2. فصحى العصر تستخدم في الكتابة والحديث في المواقف الرسمية.
3. عامية المثقفين تستخدم كلغة حديث المتعلمين الرسمية.
4. عامية المتنورين تستخدم كلغة حديث المتعلمين المتباسطة.
5. عامية غير المتنورين تستخدم كلغة حديث الأميين. (السعيد محمد بدوي، 28، ص 23).

12- الانغلاق الفكري والأساليب البدائية: يضيف آية الله السيد محمد حسين فضل الله إلى المعوقات السابقة عوامل أخرى تعوق الحوار خاصة بين المسلمين والمسيحيين من أهمها:

أ- أن هناك انطباعاً لدى بعض المسلمين أن النصارى كافرون أو مشركون وهناك انطباع لدى بعض النصارى أن الإسلام نوع من الهرطقة ولا يمت إلى السماء بصلة.

ب- أن هناك ركاماً تاريخياً عاشه المسلمون والمسيحيون في مسألة الطرح يحتاج إلى وقت طويل لإزالته وتنقيته حتى يتحول الحوار إلى ساحة واسعة يتنفس فيها الجميع بالهواء الطلق ويلتقي فيها الجميع على الكلمة السواء ليكون الحل من كلمة السواء لا من كلمة الخلاف.

جـ- أن هناك أساليب بدائية متخلفة عشنا ضحاياها في الأربعين سنة الماضية. الأساليب التي تتمثل بالعنف الكلامي ثم الأمني والتي حركت دوامة الصراع في المنطقة وأثارت الانقلابات والأجواء الجادة وجعلت التنظيمات تتحرك بالطريقة التي كان الإنسان فيها يقاتل بالكلمة تماماً كما يقاتل بالرصاصة .. على نحو نجد أن الكلمة تحمل روحية الرصاصة في عدوانيتها ونتائجها .. الجو لم يكن جو هدوء وموضوعية.

د- أن المشكلة التي فرضت نفسها على واقع الحوار هي أن هناك في المجتمع مواقع تعيش الانغلاق الفكري والنفسي من المسلمين والمسيحيين على السواء.

فتعتبر أن الحديث مع الآخر قد يحرجـها ويجذبـها إلى مواقـع لا تريدهـا أو قـد أسيء إلى طهارتها الفكرية والروحية من جهة. ومن جهة أخرى هناك أوضاع سياسية لا تريد للناس أن يقتربوا من بعضهم البعض لأنه قد يسـيء إلى مخططاتـهم السياسـية التي تريد للمشكلة أن تبقى حية متحركة ضاربـة في أسـلوبها العدوانـي وفي روحيتـها المضادة (محمد حسين فضل الله، 69، ص ص 35-37)

الفصل التاسع

الآليات الإعلامية

مقدمة:

يلعب الإعلام بمختلف وسائله دوراً هاماً ومؤثراً في تقوية اللغة العربية أو انهيارها. وكذلك في إشاعة مفاهيم التسامح وقيم التفاهم العالمي. حيث تعتبر وسائل الإعلام من (تلفاز، ومذياع، وصحف، ومجلات .. الخ) مركز إشعاع للمعرفة، فأي حدث يقع اليوم في أي مكان في العالم يصل إلى الإنسان في أي لحظة فيسمعها عبر الإذاعة بعد دقائق أو ساعات قليلة، ثم يشاهده مرئياً على التلفاز، أو يقرأ عنه المزيد من التفاصيل في الصحف صباح اليوم التالي، أو يشارك في التمعن بتحليله وتفسيره في المجلات بعد أيام. ولبيان خطورة الإعلام في مجتمعنا المعاصر نذكر ما قاله عمرو موسى، أمين عام جامعة الدول العربية: في مؤتمر الإعلام العربي الذي نظمته مؤسسة الفكر العربي ونادي الصحافة بالإمارات وعقد سنة 2005، قال عمرو موسى: نعم إن هناك صحافة وإعلاماً عالمياً محترماً صادقاً إيجابياً وظهر في الآونة الأخيرة في الإعلام العالمي إعلام التأليف والتركيب والفبركة لخدمة مصالح سياسة مشكوك في سلامة أركانها، ولقد عايشنا نحن في العالم العربي أحد آثار هيئة قامت على أساس معلومات محقونة".

القسم الأول: لغة الإعلام

إن ما نلاحظه من تحد الآن في وقتنا الحاضر هو تلك اللغة المشوهة التي تخرج من أفواه أولئك المذيعين والصحفيين والمحررين غير مبالين بما يرتكبونه من أخطاء وكأن بينهم وبين اللغة العربية عداء. فينتقمون منها بوسائلهم المختلفة.

وتتحمل أجهزة الإعلام المعاصرة المسؤولية الأولى في الأزمة التي تعاني منها اللغة العربية، فهي قادرة على الارتقاء بالمستوى الفكري، واللغوي للجماهير، وعليها يقع العبء الأكبر لتقويم اللسان العربي، وتصحيح الأخطاء الشائعة.

إن تلك الأهمية التي تحظى بها وسائل الإعلام إنما تأتي من أنها تلازم الجماهير منذ أن يستيقظوا وحتى إيوائهم إلى فراشهم، فضلاً عن أن الكثير منهم يعتمدون عليها كروافد للعلم والمعرفة، وبالتالي فإن أي خطأ من ناحية اللغة يرتكبه المذيع أو الصحفي أو المحرر أو الخطيب إنما يترك آثاره السلبية على ألسنة اولئك المستمعين.

ولكن اللغة العربية أصبحت غريبة في وسائل الإعلام، وحتى البرامج التي تقدم يظهر فيها معلم اللغة العربية في صورة لا تليق به، الأمر الذي يجعل الجماهير ينفرون منه بل وينفرون من اللغة العربية بأكملها.

يجب أن تكرس وسائل الإعلام المختلفة جل اهتمامها من أجل تقويم المعوج، وتصحيح اللسان الإعلامي، فاختيار العاملين بها وتدريبهم على التحدث باللغة الفصيحة، واختيار البرامج التي تنمي عند الجماهير قوة اللغة وسلامتها، وتحاشي الوقوع في أي خطأ أو لحن، يعتبر من الضروريات المهمة التي ينبغي الإحاطة بها.

إذن المطلوب من أولئك المعنيين انتقاء البرامج التي تتحدث باللغة الفصيحة وخاصة برامج الأطفال؛ ذلك لأنهم أكثر قدرة على التقليد. كذلك ينبغي تدريب المذيعين والصحفيين والمحررين على استعمال اللغة الفصيحة الخالية من الأخطاء اللغوية والإملائية، ومن جهة الصحف ينبغي عدم قبول المقالات البعيدة عن اللغة الفصيحة أو تصحيح تلك الأخطاء بحيث تكون متصلة بلغتنا العربية. وكل ما نفعله هذا من أجل خدمة لتك اللغة التي أعطتنا الكثير.

القسم الثاني:تقنيات الدعوة

المعلومات التقنية هي المعلومات التي تصلنا عن طريق الأساليب والوسائل التي أخذها علم التقنية أي التكنولوجيا، وقد عرفت بأنها أسلوب الإنتاج أو حصيلة المعرفة الفنية أو العملية المتعلقة بإنتاج أدوات ووسائل الاتصالات.

وقد استقبل علماء الأمة الإسلامية هذه التقنيات من حيث توظيفها في الدعوة الإسلامية والتخاطب مع الثقافات والشعوب الأخرى، استقبالاً متفاوتاً. فمنهم من استقبله بالترحاب والقبول ومنهم من تردد في قبول موجة المعلومات التقنية ونفروا من عواقبها الوخيمة على الشباب المسلم خاصة والمجتمعات الإسلامية بعامة. ومنهم

من يعتمد على الاجتهاد الشخصي مع مراعاة أحكام ومقاصد الشريعة في وجود السلبيات إلا أنهم أجازوا استخدامها خاصة في مجال الدعوة إلى الإسلام وبث مفاهيمه الصحيحة للآخر.

ويعرض أحمد فاضل يوسف فوائد استخدام المعلومات التقنية في مجال الدعوة الإسلامية المعاصرة فيما يلي:

1- الحصول على معلومات عامة يحتاجها السلام في حياته بالإضافة إلى معرفة المعلومات الإسلامية وبخاصة القرآن الكريم والحديث الشريف حيث تحتوي خزائن الإنترنت على القواميس والموسوعات وكتب التراث الإسلامي التي تساعد المسلم في الدعوة إلى الإسلام وغير ذلك من فوائد ..

2- استخدام هذه المعلومات بشكل فعّال كوسيلة من وسائل الدعوة المعاصرة حيث هناك العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تخص المسلمين لاختيار أنسب الطرق والوسائل المشروعة الملائمة في الدعوة الإسلامية للمسلمين وغيرهم.

3- استخدام آلة الإنترنت مركزاً لتبادل المعلومات والاتصالات وبناء علاقات أخوية بين أبناء الأمة الإسلامية وغيرهم متجاوزين بذلك الفوارق القومية والعرقية واللغوية والثقافية والجغرافية عملاً بقوله تعالى﴿ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات (13)) ومن الخدمات التي تقدمها الشبكات الإسلامية في هذا المجال:

أ. غرفة المحادثة Chat Room.

ب. المناظرات Debate.

جـ. مجموعات المناقشة Discussion- group.

د. الندوات الإلكترونية Forums.

هـ. بالإضافة إلى ما تقدمه للعلماء وأساتذة أصول الدين والدعوة واللغات والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية من خدمات يوظفونها في البحث العلمي والدراسات والمناقشات وتبادل وجهات النظر في القضايا المعاصرة ومن الآليات الحديثة:

أ- البريد الإلكتروني E-mail.

ب- البريد الصوتي Voice- Mail.

جـ- المحادثات الصوتية المشتركة Tele- Conference.

د- محطات الإنترنت Website.

هـ- الاتصالات الهاتفية عبر الإنترنت Net 2 Phone.

4- استخدام الإنترنت للأغراض التجارية E-Commerce حيث إن معظم المواقع الإسلامية تستفيد من هذه الآلة في ترويج بضائعها وتوزيع الكتب والمصادر الأساسية للإسلام بمختلف اللغات وأقراص الكمبيوتر، وبرامج تعليم اللغة العربية .. الخ، (أحمد فاضل يوسف).

إن الآثار التي خلفتها الإنترنت على الجيل المعاصر من حيث حوار الحضارات ودعم قيم التسامح والتفاهم العالمي آثار كبيرة، تتعدى بكل تأكيد النظرة إليها كآلية لجمع معلومات أو إجراء بحوث ودراسات.

يقول دون تاسكوب مؤلف الكتاب الشهير "الاقتصاد الرقمي" في كتابه الأخير: (النشأة الرقمية) حول ظهور جيل الإنترنت: إن ثقافة هذا الجيل تتسم بالخصائص التالية:

1. إشاعة شعور قوي بالاستقلال.
2. تعزيز الانفتاح الفكري والعاطفي (ومن ثم قبول الآخر واحترام ثقافته).
3. زيادة التضامن من خلال المجتمعات الافتراضية (ومن ثم سهولة تكوين العلاقات بين الشعوب والثقافات).
4. تفعيل الإبداع.
5. إذكاء رغبة الاستكشاف (ومن ثم تنمية الاتجاه الإيجابي نحو معرفة الآخر وعدم الاقتصار على معرفة الذات).
6. زيادة التفاعل الآني والمستقبلي.
7. تعزيز الرغبة في التحقق المستمر وبناء الثقة.

وفي دراسة مسحية أجراها مشروع (بيو) للحياة الأمريكية والإنترنت بالتعاون مع مؤسسة برنستون للأبحاث المسحية شملت الفئة العمرية من الشباب من 7-12 سنة وأولياء أمورهم ظهرت التوجهات الجديدة عند مستخدمي الإنترنت. وقد كان من أهم نتائج هذه الدراسة أن استخدام الإنترنت أصبح له كثيراً من الانعكاسات ومنها:

1- يلعب دوراً رئيسياً في علاقات الصداقة والعلاقات الأسرية والمدرسية.

2- يساعد على تفعيل الحياة الاجتماعية وتغيير الاهتمام بشكل عام.

3- بالنسبة للطلاب فإنه يساعد على تحسين الأداء الأكاديمي وزيادة المعرفة.

4- يبدأ أسلوباً جديداً للتعامل مع الأصدقاء سواء أكانوا أفراداً أو مجموعات.

5- يؤدي إلى الصراحة في التعبير.

6- يساعد على صرف النظر عن الأمور المهمة والتركيز على التواصل بين الأفراد وإشاعة اللهو والتسلية بينهم.

ورغم ذلك فهناك سلبيات لاستخدام هذه التقنيات ينبغي أن نكون على وعي بها ووضع الخطط اللازمة لتلافيها .. وعلى أية حال فإنه لابد أساساً من وجود عقلية إيجابية من علماء الأمة ومفكريها تتفاعل مع متطلبات العصر في استخدام الوسائل التقنية الحديثة في الدعوة.

القسم الثالث:قيم الإعلام

أما من حيث القيم والاتجاهات التي ينبغي أن تركز عليها وسائل الإعلام من حيث التعامل مع الآخر ونشر قيم التسامح الثقافي فمن أهمها:

- الاعتراف بحق الآخر المختلف عنك في كل من:
- الاعتقاد.
- التعبير.
- التفكير.
- الميول والاتجاهات.

- القيم والعادات والتقاليد.
- أنماط الحياة بشكل عام.
- التعفف عن استعداء السلطة والمجتمع على المختلف.
- الاعتراف بحق الآخر في تقلد المناصب.
- تجنب إصدار أحكام مطلقة واتخاذ مواقف حيادية.
- الاستعداد لمراجعة الذات.
- الاستعداد لتغيير الرأي عندما يثبت بطلانه.

وفي ضوء ذلك ندرك أهمية التوصية التي اتخذها مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الخامسة عشر بمسقط (6-11 / مارس/ 2004) وتنص على ما يلي:

- دعوة الحكومات الإسلامية إلى بذل المال والجهد في إيصال الخطاب الإسلامي من خلال وسائل الإعلام وخاصة الفضائيات وشبكة الإنترنت لإيضاح حقائق الإسلام وإزالة الشبهات وتفنيد التهم التي تثار حوله والعمل على تنقية هذه الوسائل من كل ما يسيء إلى الإسلام.
- العمل على الاجتهاد البنّاء والتجديد في أسلوب الخطاب بما يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أي مراعاة التراث والمتغيرات في رعاية المصالح الطارئة والأعراف التي لا تصادم أصول الشريعة.

والجدير بالذكر أنه بدون تكنولوجيا الإعلام والاتصال لن يستطيع أي من التكنولوجيا المتقدمة الأخرى كالهندسة والإحيائية، والعلوم العصبية، والمستلزمات الجديدة، واستكشاف الفضاء، والتكنولوجيا العسكرية والاستمرار في العيش، فعلاً، لقد أضحى الإعلام نظاماً متكاملاً ومتناسقاً بذاته. نظام أصبح يفرض وزنه في جميع قطاعات المجتمع البشري (المهدي المنجرة، 89، ص 42).

وهنا تكمن المشكلة .. فالإعلام منظومة متكاملة يصعب اقتطاع جزء منها وترك الباقي .. والمشكلة هنا كما يصورها المهدي المنجرة أن حمولة هذه التكنولوجيا والمعلومات هي ذات شحنة عالية من القيم في البيئة الاجتماعية والثقافية للبلدان

المصنعة والنامية على حد سواء. وفي ضوء ذلك ليس ثمة مجال لرفع راية الهوية الثقافية وجعلها مرادفاً للفلكلور أو الاحتفاظ بها كمخزون للمستقبل يترك لعلماء الأعراق البشرية لدراسة ثقافة الماضي. فالثقافة معطي ديناميكي وكل ثقة لا تتعامل على نحو فاعل وداع في التعبير سيكون مآلها الانقراض "والحل الذي يقترحه المهدي المنجزة لهذه المشكلة هو جعل الثقافة أحد المحركات الأساسية في عملية التنمية. وتشجيع استخدام ذاتي وخلاق للتكنولوجيا الإعلامية الجديدة (المهدي المنجرة، 89، ص 40).

القسم الرابع:المردود الثقافي

ولا يخفى علينا أن الاتصال اللغوي عبر هذه الوسائط الإعلامية قد أحدث في بنية الثقافة العربية تحولات كثيرة؛ منها ما مسَّ جذورها ومنها ما مسَّ فروعها وأنماطها ومنها ما مس الشخصية الإنسانية ذاتها. إن المعرفة التي تتداول عبر هذه الوسائط كفيلة بإثراء ما لدى المتلقين. وتغيير بعضها، وتعديل البعض الآخر وتنمية اتجاهات جديدة نحو مواقف جديدة سواء أكانت سلباً أم ايجاباً. كذلك إكساب الأفراد مهارات مختلفة وتنمية قيم اجتماعية وأخلاقية لديهم، وتعميق مفاهيمهم الدينية والحياتية وتصحيح الزائف منها، كما تعمل على تحسين مستوى أدائهم بما في ذلك الأداء اللغوي ذاته، وصقل أذواقهم وتنمية القدرات الإبداعية لديهم، وتمكينهم من مواصلة الدراسة والتعلم في سبيل حياة أفضل، ومتابعة الاتجاهات العالمية المعاصرة في مختلف شئون الحياة، والوقوف على نتائج أحدث الأبحاث العلمية وتزويدهم بآليات جديدة لإرجاء الفراغ والترفيه. وبكلمة موجزة لقد أدت هذه الوسائط إلى تغيير الثقافة ذاتها وتحول مواطن الفعالية فيها.

إن الثقافة الأكثر فعالية اليوم لم تعد ثقافة الكتابة والصحيفة أو الفكرة بقدر ما أصبحت ثقافة الصورة والمعلومة والحاسوب وبنوك المعلومات .. معنى ذلك أن بنية المعرفة هي التي تخضع الآن للتبدل والتغير بقدر ما تتغير وسائطها وآليات إنتاجها ولا عجب، كما يقول على حرب، فكل تغير في أداة المعرفة تغير علاقتنا بالمعرفة نفسها.

وهنا يطرح تساؤل نفسه: هل كل ما يتلقاه الفرد عبر هذه الوسائط مطلوب ومستهدف ومتسق مع الإطار العام لثقافتنا العربية الإسلامية؟

الإجابة بالطبع لا .. ليس كل ما يبث عبر هذه الوسائط مما ينبغي أن نرضى عنه .. وهنا تفرض الحاجة إلى معايير الانتقاء نفسها. وكذلك أساليب تحصين المتلقي الأطفال والشباب منهم خاصة، من الآثار السلبية المباشرة منها وغير المباشرة (ذات الأثر الجانبي بلغة الدواء).

إن سيادة ثقافة العنف والعدوانية والجنس والفساد الأخلاقي بأشكاله وصوره وكذلك ثقافة الخرافة والافتراضات الأسطورية وفكر المتناقضات والممارسات الخاطئة التي تبث عن عمد في سبيل تضليل الشباب العربي وتحطيم بنية الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة .. كل هذا وغيره أثره من آثار الاتصال اللغوي عبر الوسائط التكنولوجية الحديثة. (دلال فيصل الزين، 21، ص ص 325-335).

وبمعنى آخر: هل ثمة نفع حقيقي ملموس يثرى ثقافتنا العربية كمردود للاتصال اللغوي عبر هذه الوسائط؟ أم أن ثمة خطراً حقيقياً محدقاً بالثقافة والهوية؟ هل صحيح أن هذه الوسائط سوف تثري المعاني وتنمي القيم وتدعم الأخلاقيات أم تدمر المعاني وتلغي القيم وتجرد الأفكار من قوتها وتعزلها عن سياقها؟

هل يتوقع أن يسفر الاتصال اللغوي عبر الوسائط الحديثة إلى دعم الأنساق الثقافية العربية وتنمية القدرات الإبداعية فيها واحترام رموزها؟ أم تسفر عن انتهاك المعاني المألوفة وطرق الأنسان المغلقة والخروج على المرجعيات السائدة؟

وأخيراً هل هناك إجابة قاطعة حول مردود ما يتلقاه الإنسان العربي وما يبثه خلال هذه الوسائط؟

إن تكنولوجيا الاتصال والمرئي خاصة، ليست بكماء، بل تتكلم بالصورة الملونة، وتحسن الكلام وتؤثر وتوحي بمعاني قد لا ندركها خاصة إذا كانت قادمة من أرض ليست أرضنا. وتنقل أفكار وأيدلووجية مجتمعات لا تمثل فكرنا وعقيدتنا وتراثنا .. إن هذا من شأنه خرق أمننا الثقافي والاجتماعي والتربوي وزيادة حدة اللاتوازن الثقافي والأيدلوجي والاجتماعي بكل صوره وآثاره.

إن الأثر الذي خلقته تكنولوجيا الاتصال الحديثة قد تعدى حدود التغير في المهارات إلى التغير في النتاج الثقافي وفنونه، وإذا هي لم تعد مجرد وسائل للحفظ

والنشر وإنما أصبح لها أثرها وفاعليتها في المنتوج الثقافي نفسه. ولعل أصدق مثل لذلك التمثيليات التلفزيونية التي تحولت عن روايات أو قصص مطبعة. فقبل اليوم كان التلقي مقصوراً على القراءة للصحف المطبوعة التي من خلالها يتابع الأحداث ويتخيل أبعادها ويتصور كيفية أداء الشخصيات الرئيسية والثانوية وأدوارها. أما اليوم فلأن القارئ من خلال شبكات الاتصال الإلكترونية الحديثة يستطيع أن ينسج عالماً روائياً يحرك شخوصه ويستطيع أن يستوعب بكفاءة عالية مجريات الأحداث بتفاصيلها من خلال مشاهدتها حية أمامه.

ويصور أحد المفكرين العلاقة الحديثة بين الوسائط التكنولوجية والأفكار بعبارة طريفة مؤداها "فكرنة الأدوات وتقننة الأفكار".

ويبرز لنا أبعاد الاتصال بين المثقف والمجتمع عبر هذه التكنولوجيات الحديثة قائلاً: "لم يعد بوسع المثقف أن يمارس وصايته الفكرية على المجمع أو وصايته الخلقية على الناس، فالمثقف هو في عصر الوسائط وسيط بين الناس يسهم في خلق وسط فكري أو عالم مفهومي أو مناخ تواصلي. أي ما من شأنه أن يزيد في المجتمع من إمكانات التواصل والتبادل والتعارف. (علي حرب، 55، ص 349).

وللثورة الإعلانية خطيئتها كما يقول المهدي المنجرة. إن لها من السلبيات مثل ما لها من الإيجابيات. وقد تكون الأولى أكثر .. ولا نستطيع ونحن نتحدث عن دور الإعلام في ازدهار الإنسان وتفتحه وتحريره وإشاعة قيم السلام بين الشعوب إلا أن نشير إلى أنواع المشاكل التي أثارتها ثورة الإعلام. ومن أهمها:

- المشاكل الأخلاقية (حقوق الإنسان).
- المشاكل المتعلقة بالواجبات الأدبية (الحياة الخاصة).
- المشاكل القانونية (تدفق المعلومات عبر الحدود).
- المشاكل الثقافية (التنوع الثقافي والذاتية الثقافية).
- المشاكل الاجتماعية (ملائمة الإعلام للمجتمع) (المهدي المنجرة، 89، ص 14).

والمشكلة لا تكمن، كما هو معروف، في تكنولوجيا الإعلام في ذاتها قدر ما تكمن في القائمين عليها. إن التوجيه الثقافي لمحتوى الرسالة الإعلامية، وانتقاء المفاهيم التي تبث والقيم التي تنمي مسئولية رجال الإعلام. والحديث عن التسامح وإشاعة مبادئ التفاهم العالمي ودعم قيم السلام أشكال مختلفة للدعوة. وتستلزم الدعوة الجيدة توفر كفاءات إعلامية جيدة تتميز بالتكوين الصلب والمهارات العامة والنظر الثقافية والمعرفة العميقة والبصيرة الإيمانية.

والملاحظ أن كثيراً من رجال الإعلام العربي والإسلامي يفتقرون لهذه الصفات. مما يجعل إعلامنا عاجزاً عن مسايرة إعلام الآخرين، وعاجزاً عن تصحيح الصور النمطية التي ترسَّخت في عقولهم. مما يستلزم بالتالي تدريب هؤلاء الخبراء وإطلاعهم على كل ما هو جديد في مجال الإعلام والدعوة حتى يكونوا مفيدين للتوجيه وتبصير الآخرين بما هو متأصل في ثقافتنا العربية الإسلامية من قيم تدعو للتسامح وتشجع على التفاهم العالمي بين الشعوب والثقافات.

الفصل العاشر

الآليات التربوية

مقدمة:

في مواجهة التحديات التي تفرضها العولمة والتصدي لمحاولات تشويه ثقافتنا العربية الإسلامية، وسعياً لتنمية قيم التسامح والتفاهم العالمي يلزم إعادة النظر في فلسفتنا التربوية لبناء استراتيجية جديدة تساعد في خلق جيل عربي نقدي قادر على المواجهة، وفي الوقت نفسه قادر على تجاوز ذاته إلى الإحساس بالآخر والاستعداد النفسي قبل المادي لأن يتعايش معه..

نحن إذن مطالبون بتربية جديدة تعتمد أسساً جديدة تعتمد الحوار وتنمي قيم التفاعل مع الثقافات الأخرى في ضوء الاحترام المتبادل معها، وإن لم تتوافق الثقافتان. البداية إذن من الداخل .. إننا قبل أن نتطلع إلى الخارج لنشر قيم التسامح ونعيد النظر في الأبعاد التربوية لتعاملاتنا معه. فلنبدأ بمراجعة الذات وإعادة النظر في تربيتنا لأجيالنا.

وفي هذا الإطار يلزمنا عند صياغة استراتيجيتنا العربية الجديدة أن:

أ- نسترشد بالتوجهات التربوية العالمية كما أقرتها المنظمات المختصة.

ب- نحدد مواصفات الإنسان المستهدف.

ج- نخطط لبناء جديد لمناهج جديدة.

د- نضع تصوراً لمنظومة قيم جديدة.

و- نتصور الأدوار الجديدة للمعلم الجديد.

ولنتناول إن شاء الله كلاً من هذه القضايا بشيء من الإيجاز

القسم الأول:توجهات تربوية عالمية

صاغ تقرير اليونسكو للتربية في القرن الحادي والعشرين ملامحها في أربعة هي:

1- تربية الفرد على نحو شمولي على مبدأ تحقيق التكامل والازدهار في مختلف جوانب الشخصية الإنسانية.

2- تأكيد التعليم للمعرفة النقدية وتأصيل الثقافة بمضامينها الحقيقية التي تعتمد على صقل الشخصية.

3- تأكيد التربية على مبدأ العمل والتجربة.

4- التربية على مبدأ العيش المشترك وقبول الآخر على مبدأ الاختلاف.

كما يؤكد التقرير على منظومة من القيم الثقافية العامة الجديدة التي ينبغي تعزيزها وتأصيلها في الأجيال، تتكون هذه المنظومة من:

1- التربية على حقوق الإنسان وتعزيز إحساس الأجيال بهذه القيم وتأصيلها.

2- التربية على قيم الديمقراطية السياسية ومفاهيم المشاركة السياسية.

3- التربية على قيم التسامح والتفاعل والحوار بين الأمم والشعوب.

4- بناء الروح الحرة النقدية الملهمة في نفوس الأجيال والناشئة.

5- التربية على قيم الإبداع والابتكار والمبادأة والإنتاج والعطاء.

6- الإيمان بقيم التغيير والتجديد وبناء العقل المنفتح (جاك ديلور، 14، ص 306).

القسم الثاني:مواصفات الإنسان المستهدف

ينبغي على مناهج التعليم أن تعمل على تكوين إنسان عربي يتناسب مع المجتمع المعاصر ويتميز بالقدرة على:

1- الاعتزاز بهويته العربية الإسلامية، والانتماء إلى ثقافتها والافتخار بأمجادها والحصر على التمسك بالقيم الإيجابية فيها.

2- الاعتزاز بتراثه العربي الإسلامي العريق ودوره في الحضارة الإنسانية.

3- تقدير مختلف أشكال التقدم التي يشهدها المجتمع العربي المعاصر والاستعداد للمشاركة الإيجابية فيها.

4- القدرة على التفكير السليم والإحاطة بطرائقه.

5- التمكن من مهارات اللغة العربية والأداء اللغوي الجيد حديثاً وكتابة.

6- الإدراك الوعي بالأساليب المستخدمة في دراسة الكون والبيئة المحيطة.

7- القدرة على التحليل الموضوعي للظواهر والمشكلات.

8- فهم حركة التاريخ الإنساني والخصائص التي تميز مراحله، والاستفادة من حقائقه.

9- الاستعداد للتخصص في فروع المعرفة، وبذل الجهد اللازم للإحاطة بمختلف جوانبه ومتابعة الجديد فيه.

10- الاعتزاز بلغته العربية والرغبة في إتقانها، ومواجهة أي محاولات لتشويهها أو إقصائها عن مجالات الحياة العامة مع الرغبة والاستعداد في الوقت نفسه لتعلم لغة أجنبية واحدة على الأقل.

11- التوفيق بين ما ورثه من عادات وقيم وما تفرضه مطالب المجتمع المعاصر بمشكلاته وتحدياته من مفاهيم وقيم، والمواجهة الواعية لأشكال الصراع بينها إن وجدت.

12- احترام ذوي الأديان والمذاهب الأخرى والاستعداد للتعايش معهم وتقدير حقهم في ممارسة ثقافتهم وإن لم يقبلها.

13- الانفتاح على ثقافات الشعوب الأخرى والإلمام بتراثها وأنماط الحياة فيها والاستعداد لاحترامها والإيمان بمنطق الاختلاف بين الثقافات كأسس للحوار معها.

14- تنمية هواياته وإثراء اهتماماته مستمراً في ذلك ما تيسر له من تقنيات حديثة.

15- تحقيق التوازن في شخصيته بين رغباته الذاتية ومواقفه الموضوعية، بين فكره ووجدانه، بين قيمه ومطالبه .. إلخ.

16- الشعور بالمواطنة العالمية والإحاطة بالتفاعلات التاريخية والجغرافية والوعي بالمشكلات العالمية (تلوث ا لبيئة، الإرهاب، البطالة ... الخ).

17- التعود على تقييم تجاربه في الحياة من منظور شمولي والاستفادة من دروسها.

18- تأكيد قيم التسامح ونبذ التطرف في مختلف أشكال حياة.

19- تقدير الإنسان كإنسان واحترام حقه في تقرير مصيره.

20- رفض أشكال الانبهار بالثقافات الأجنبية ونبذ أشكال التقليد الأعمى للأنماط السلبية فيها سواء على مستوى الماديات أو المعنويات.

21- تقبل التغير والسعي إلى ابتكار الوسائل التي يطور بها حياته والارتفاع بمستوى أدائه ما وسعه الجهد وأمكنته الوسيلة.

22- المرونة في اختيار المستقبل الوظيفي، والاستعداد لتلقي مختلف أشكال التدريب التحويلي التي تساعده على التكيف مع وظائف جديدة ومهام لم يكن قد أعدَّ لها.

23- الحرص على التزود بالمهارات العليا من التفكير والقدرة على التعامل مع المستويات المتقدمة من التكنولوجيا الحديثة.

24- ربط العلم بالعمل والنظرية بالتطبيق دون ازدراء للعمل اليدوي.

25- القدرة على التعامل مع الموارد الاقتصادية الجديدة والحرص على دعمها.

26- التفكير المنطقي والتمسك بالأسلوب العلمي في حل المشكلات.

27- التجرد من أسر الأهواء الخاصة والذاتية في اتخاذ القرارات والتريث في إطلاق الأحكام.

28- الرغبة في إجادة العمل وليس مجرد إنجازه، والاستعداد للتميز ومراعاة معايير الجودة في كافة أعماله العامة والخاصة.

29- الإحساس بالمشكلات التي توجه المجتمع العربي المعاصر والتحديات التي قد تعترض مسيرة التنمية فيه. والاستعداد لبذل أقصى الجهد لحل هذه المشكلات ومواجهة تلك التحديات.

30- الاستعداد النفسي والعقلي لدراسة مواد ومقررات جديدة تستلزمها طبيعة العصر مثل:

أ- تكنولوجيا المعلومات.

ب- علوم الاتصال.

ج- التفكير العلمي.

د- أخلاقيات ا لعلم.

هـ- التربية من أجل حقوق الإنسان.

و- التربية الدولية.

ز- التربية البيئية.

ح- الثقافات المقارنة.

ط- التسامح والتفاهم العالمي.

ي- التربية السياحية.

ك- حوار الحضارات.

ل- ثقافة السلام.

31- تقدير كل أشكال التقدم التكنولوجي والاستعداد للأخذ بأسباب الحياة المعاصرة بما لا يتعارض مع قيمنا وثقافتنا.

32- تقدير جهود الآخرين والبناء عليها.

هذا .. ويقدم عبد الله عويدات تصوراً لملامح شخصية الطالب خلال القرن الحادي والعشرين تمثلت فيما يلي:

1. الإعداد الوجداني والعقلي والجسمي، أي تشكيل شخصية متوازنة بجوانبها الثلاثة.

2. الإعداد الوطني والقومي والإسلامي حتى يقف أمام التكتلات الكبرى وطغيان العولمة والانفتاح الحضاري.

3. الإعداد المهاري، أي يكتسب مهارات تناسب عصر العولمة والمعلوماتية.
4. الإعداد للشخصية المعرفية بالعمل والإنتاج والإتقان.
5. الإعداد للتدريب على المواطنة والمشاركة الاجتماعية والسياسية.
6. إعداد الطالب لتقبل التغير وسرعة الاستجابة له والمرونة في مواجهته مما يستلزم تمكين الطالب من مهارات الاكتساب الذاتي للمعارف المتجددة والتوظيف السريع لها.
7. غرس الإبداع أو القدرة على صنع المستقبل.
8. اكتساب التفكير الناقد.
9. التقبل التكنولوجي.
10. إعداد الإنسان المؤمن بالله سلوكاً وقيماً مما يستلزم ترجمة الإيمان بالله إلى سلوك يومي، وتمثل نماذج من القيم الرفيعة في الإنتاج والعمل والعلاقات الصادقة مع الآخرين والانتماء الحقيقي والابتعاد عن العصبية والطائفية واعتماد النزاهة في إدارة المؤسسات. (عبد الله عويدات، 48، ص ص 71-75).

الطالب في عصر العولمة: ويقدم علي أسعد وطفة تصوراً للإنسان العربي الجديد كالتالي:

"في عصر العولمة يتعين على التربية أن تعمل على بناء إنسان جديد بمواصفات وسمات جديدة تمكّن الأجيال من مواجهة التحديات والتكيف بمعايير إبداعية خلاقة. إنها التربية التي تعلي من شأن العقل وتنمي فيه إمكانات النقد والخلق والابتكار والإبداع. تربية تحرر العقل من الأوهام والخرافات وعتمة التقاليد والأساطير .. تربية مؤمنة بالله والإنسان والحضارة .. تربية مستمرة ذاتية متغيرة لا تقف عند مرحلة معينة أو آفاق مرسومة تربية ذاتية متغيرة في مجتمع يسوده قانون التغير .. تربية تعزز مبدأ الاختلاف وترفض التسليم والاستسلام للأفكار الجاهزة والمقولات والأيدولوجيات السائدة. (علي أسعد وطفة، 53، ص 219).

وفي دراسة أخرى أجراها الدكتور علي أسعد وطفة على أعضاء هيئة التدريس بجامعة الكويت ومؤسساتها العلمية طرح عليهم السؤال التالي: ما الخصائص والسمات التي يجب على التربية العربية أن تؤكدها وتعززها في بناء الإنسان في عصر العولمة والحداثة، وقد بلغت العينة 370 عضو هيئة تدريس. وتتلخص صفات الإنسان العربي الجديد في رأيهم كالتالي (مرتبة تنازلياً):

1- الإنسان المؤمن بالإسلام والعقيدة الإسلامية.

2- الإنسان الذي يمتلك الروح النقدية.

3- الإنسان المتسامح.

4- الإنسان الذي يتميز بالإبداع والابتكار.

5- إنسان يمتلك روحاً علمية ومؤمن بالعلم.

6- الإنسان القادرة على التكيف ومواكبة العصر.

7- قادر على اتخاذ القرار والمسئولية والمبادرة.

8- الإنسان المتعلق المثقف الواعي.

9- يمتلك القدرة على استخدام التكنولوجيا وتوظيفها.

10- الإنسان المؤمن بعروبته وقوميتة العربية.

11- متكامل روحاً وجسداً وعقلاً. (علي أسعد وطفة، 53، ص 230).

ولقد وضعت وزارة التربية والتعليم في مصر وثيقة للمستويات المعيارية للمتعلم سنة 2003 حددت فيها معياراً رئيسياً حول تنمية مهارات التعامل مع الآخر عند الطلاب. وينص هذا المعيار على أنه: يتقن مهارات التعامل مع الآخرين. وفيما يلي مؤشرات ذلك:

1- ينوع أسلوب تعامله مع الأفراد وفقاً لأعمارهم ونوع العلاقة بينه وبينهم وحسب طبيعة الموقف.

2- يستمتع بالعمل مع الآخرين.

3- يقدر ذاته دون تكبر أو استعلاء على الآخرين.

4- يجيد الحوار وتبادل الرأي ويتقبل الاختلاف في وجهات النظر.

5- يلجأ إلى التفاوض لحل الخلافات ولا يستخدم العنف.

6- يكون واضحاً في علاقاته، ولا يلجأ للرياء والخداع.

7- يتسامح مع الآخرين دون ضعف او استسلام.

8- يراعي مشاعر الآخرين، ويقدم المساعدة عند الحاجة.

9- يقدر قيمة الصداقة، ويتمسك بصداقاته.

10- يفرق بين علاقته بأهله، وبزملائه، وبأصدقائه.

11- يستخدم الذكاء العاطفي في تعاملاته مع الآخرين.

12- ينجح في قيادة الآخرين نحو هدف معين كما يحترم قيادة الآخرين ويلتزم بتوجيهاتها.

13- يقوم بدوره في الجماعة ويثبت جدارته بينهم. (وزارة التربية والتعليم، 96، ص 180).

القسم الثالث:منظومة قيمية جديدة

إن مما يستلزمه التعامل مع الآخر وبناء جسر للتفاهم وإشاعة قيم التسامح التأكيد على:

1) القيم التالية: احترام الأنبياء والرسل جميعاً، احترام الكتب المقدسة، تقدير الإنسان كإنسان، المساواة بين البشر، احترام الخصوصية، احترام المرأة، احترام الوقت، احترام حقوق الإنسان، الإعلاء من قيمة العمل، الإعلاء من قيمة العمل التطوعي، احترام الثقافات، احترام رأي الغير، الصراحة والصدق، احترام رأي الجماعي، العمل بروح الفريق، السعي للسلام، احترام الخلاف في الرأي، الديمقراطية، التفكير العلمي والتحرر من الفكر السلطوي أو الخرافي، العدل، التسامح، الرفق بالكائنات الأخرى، نصرة الضعفاء، العناية بالبيئة.

2) تنمية الاتجاهات والمفاهيم الآتية في برامج تعلم اللغة العربية سواء عند وضع المناهج أو تأليف الكتب أو غيرها:

1- تقدير التراث العربي الإسلامي ودور الحضارة الإسلامية في بناء الحضارة الإنسانية على مدى التاريخ.

2- تحقيق التواصل بين الشعوب الإسلامية، وتأكيد قيمة الحوار مع الآخر والانفتاح على الشعوب الأخرى والتعايش بينها.

3- تنمية اتجاهات الطالب نحو احترام ثقافات الآخرين وإن لم يقبلها.

4- تنمية الاعتزاز بالثقافات المحلية للشعوب بما لا يتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه.

5- الإيمان بمنطق الاختلاف بي الثقافات وتنوعها ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود (118)).

6- تأكيد القيم الإنسانية العامة التي تدور حول الفرد كإنسان، واحترام حقوق الإنسان بمختلف أشكالها.

7- رفض أشكال الاستلاب الثقافي، والانبهار بالثقافات الأجنبية التي تتنافى مع القيم العربية الإسلامية.

8- تأكيد قيم التسامح في الإسلام وتدعيم الإحساس عند الطالب بنبذ الإرهاب ورفض كل أشكال التطرف.

9- تنمية اتجاهات الطالب نحو التذرع بالمعرفة دائماً والسعي الجاد نحو الحصول عليها وتلمسها في نظامها الأصلية.

10- تأكيد قيمة المنهج العلمي في معالجة القضايا وأشكال التفكير والتدرب على النظرة الموضوعية التي يتخفف الإنسان فيها من أهوائه ونزعاته الذاتية.

11- التريث في إصدار الأحكام.

القسم الرابع:بناء جديد لمناهج جديدة

المنهج هو الآلية التي من خلالها تجد فلسفة المجتمع طريقها إلى التنفيذ .. مما يستتبع إعادة النظر في مناهج اللغة العربية ما دمنا بصدد الحديث عن اللغة ودورها في تنمية مفاهيم التسامح وقيم التفاهم العالمي، ويستلزم أيضاً أن يتسع أفق الحديث عن ذلك، فلا تقتصر على الأبعاد السياسية أو الثقافية فقط وإنما نتناول منهج اللغة العربية بمنظور شامل من أجل تطوير حقيقي له يسهم في بناء الشخصية التي تحدثنا عن ملامحها. ولعل نقطة البدء هي في تشخيص حالة منهج اللغة العربية في بلادنا بشكل عام ..

أ) أوجه القصور:

إن القصور يمتد إلى مكوناته الأربعة: الأهداف، المحتوى، الوسائل وطرق التدريس ثم التقويم. ومن أهم أوجه القصور ما يلي:

1) الأهداف:

1. قصور في وضوح أهداف تعليم اللغة العربية.
2. ضعف الاهتمام بتطوير هذه الأهداف وفق التحويلات المرحلية التي تمر بها الأمم.
3. ضعف توصيل هذه الأهداف إلى أذهان الطلاب والمعلمين.
4. قصور في إجراء دراسات مقارنة بين أهداف تعليم اللغة العربية في مختلف العواصم العربية للاستفادة منها.

2) المحتوى:

1. قصور محتوى اللغة العربية عن تحقيق أهدافها.
2. ضعف الاختيار في محتوى اللغة العربية.
3. سلبية دور الطالب والمعلم في اختيار المحتوى.
4. ضعف ربط الطالب بتراثه اللغوي لتشكيل عاطفة وجدانية تجاه لغته.
5. تجزئة اللغة العربية وعدم تقديمها بصورة متكاملة.

3) الوسائل والأنشطة وطرق التدريس:

1. الجمود التي تتصف به الوسائل والأنشطة.
2. اقتصار طرق التدريس على الطرق التقليدية.
3. عدم إحداث الدافعية لدى الطلاب لتعلم لغتهم.
4. عدم استخدام أحدث أساليب ووسائل التقدم العلمي الحديث في تعليم اللغة العربية لنواكب العصر واللغات الأخرى.
5. عدم التجديد المستمر في الأنشطة والطرق والوسائل لشحذ همم الطلاب وربطهم بلغتهم.

4) التقويم:

1. افتقار التقويم إلى قياس المهارات العقلية العليا.
2. عدم وجود عوامل تحفيز للإبداع والنبوغ في اللغة العربية.
3. التجزئة الحرفية في تقويم فروع اللغة العربية.
4. عدم الاهتمام بتقويم بعض مهارات اللغة العربية.
5. إهمال جانب تقويم الاستماع والكلام.
6. إهمال الجوانب الوجدانية مثل التذوق.

ب) معايير جديدة:

ولسنا بصدد المعالجة المتخصصة لمشكلات المنهج السابقة، ولكن حسبنا أن نقدم بعض المعايير التي نراها جديرة بالاهتمام عند إعادة بناء مناهج اللغة العربية لتتواءم مع متطلبات العصر الحديث سواء من حيث مواجهة تحديات العولمة، أو توجهات مجتمع المعرفة و المعلومات، أو من حيث العلاقة مع الثقافات الأخرى .. أو من حيث مجتمع السلام والتفاهم العالمي ومن أهم هذه المعايير:

1- تنمية الثقة عند الطلاب في قدرة اللغة العربية على مواكبة التغير وتلبية الاحتياجات المتجددة في مستقبل سريع التغير.

2- تنمية الثقة عند الطلاب في اللغة العربية كلغة علم وحضارة وليست مجرد لغة أدب أو أداء الشعائر الدينية فقط.

3- تنمية الاعتزاز باللغة العربية لما لها من خصائص مميزة ومكانة في الثقافة العربية الإسلامية.

4- تنمية الاتجاهات الإيجابية عند التلاميذ نحو صحة التعبير ودقته، وليس فقط الأداء اللغوي.

5- تنمية التذوق الأدبي والاحساسات الفنية عند التلاميذ لإدراك نواحي الجمال في اللغة.

6- تنمية قدرة الطالب على أن يستقي المعرفة من مختلف المصادر دون اعتماد على معلم معين أو كتاب دراسي بذاته أو مصدر واحد للمعرفة.

7- دعم ميول الطلاب العلمية وتنمية مهاراتهم التكنولوجية وتنمية استعدادهم للاستزادة من المعلومات والمفاهيم العلمية الحديثة.

8- تنمية قدرة الطلاب على تكوين وجهات نظر لأنفسهم في القضايا والمشكلات العامة وتنمية الوعي لديهم بالقضايا والمشكلات المجتمعية.

9- تنمية اتجاهات الطلاب نحو مواكبة التطور في المجالات المعرفية المختلفة والحرص على زيادة معلوماته باستمرار والرغبة في التعلم مدى الحياة.

10- حث الطلاب على تعلم لغات أجنبية لتحقيق التواصل العالمي وترقية قدراتهم.

11- تنمية قدرات الطلاب في العمليات المعرفية العليا مثل الترتيب والتحليل والتجريد والتعليل والاستنباط.

12- تنمية مهارات الطلاب في اتخاذ القرارات وتشجيعهم على المبادرة في ذلك في ضوء ما توفر لهم من معلومات.

13- تنفير الطلاب من الاستخدام الخاطئ واللاأخلاقي للمعلومات والشبكات وحثهم على الالتزام بأخلاقيات مجتمع المعلومات.

14- تنمية قدرة الطلاب على تعرف الجوانب الأخلاقية للتطبيقات العلمية.

15- تنمية قدرة الطلاب على غربلة الثقافات الواردة لهم عبر وسائل الاتصال المختلفة وحسن الانتقاء بما يتناسب مع قيمنا وثقافتنا العربية الإسلامية ..

16- تنمية القدرة على حسن توظيف المعلومات المتاحة لديهم في مواقف الحياة المستقبلية والتكيف مع متغيرات يصعب التنبؤ بها.

17- تنمية الاعتزاز بالثقافة العربية الإسلامية والفخر بالانتماء إليها والاستعداد للدفاع عنها والتصدي لمحاولات تهميشها أو تشويشها.

18- تزويد الطلاب بمهارات استخدام بعض لغات الترجمة في الحاسب الآلي.

19- تدريب الطلاب على مواكبة التغيرات المحلية والعربية والعالمية ومسايرة التطور التكنولوجي.

20- تمكين الطلاب من تحرير عقله من القيود الجامدة للتعامل مع الموارد والمعلومات.

21- تدريب الطالب على التعليم الحواري بينه وبين معلمهم مما ينمي لديه القدرة على التفكير الموضوعي وإدراك العلاقات بين الأسباب والنتائج.

ج) آليات البناء

ولعلنا نخرج من هذا بتصور لثلاث آليات نرى ضرورة تحقيقها لبناء مناهج جديدة كالتالي:

أ- مراجعة كل ما هو موجود بمناهج تعليم اللغة العربية في مختلف المراحل التعليمية وفي جميع البرامج وتنقيتها من المفاهيم التي لا تتناسب مع روح العصر من حيث قبول الثقافات الأخرى وفتح أبواب الحوار مع الآخر وتيسير سبل التفاهم بين الشعوب.

ب- الأخذ بمبدأ العمل الجماعي وتشكيل لجان تعيد النظر فيما يقدم في مناهج التعليم بشكل عام من حيث ما تشتمل عليه من مفاهيم وقيم واتجاهات

ومعلومات بغية دعم ما يتناسب منها وتصحيح مسار الآخر. على ألا يقتصر الأمر على التربويين وحدهم أو الأكاديميين المتخصصين فقط بل يضم فريق العمل إضافة لهم مفكرين ومثقفين وإعلاميين وسياسيين وغيرهم من المشتغلين بقضايا حوار الثقافات وحقوق الإنسان ..

ج- تدريس مقرر جديد حول الثقافة العربية الإسلامية كمتطلب جامعة يدرسه جميع الطلاب في جميع الكليات وعلى جميع الصفوف الدراسية بهدف تقديم المفاهيم الدينية الصحيحة وتعميق ما لدى الطلاب منها وإفساح المجال للحوار المباشر مع الآخرين.

القسم الخامس: أدوار جديدة للمعلم

لم يعد دور المعلم محصوراً في تزويد الطالب بالمعلومات والسيطرة على سلوكه وتوجيهه في إطار ضيق من المواد المقررة والمناهج المحددة، بل تغيرت أدواره في المجتمع المعاصر .. لم يعد، كما يقول عدنان بدري الإبراهيم الآمر الناهي وضابط الإيقاع في المعرفة الصفية، ولم يعد يحتكر المعرفة بل لا يملك احتكارها في ظل وجود شبكة معلومات .. ولابد أن تتطور أدواره.

معلم التعليم العام:

يقترح عدنان بدري الإبراهيم أن على معلم المستقبل أن:

1- يستند في عمله وسلوكه إلى قاعدة فكرية متينة وعقيدة إيمانية قوية تنبثق عن الإيمان بالله تعالى والفهم الفعلي للإسلام كنظام فكري وسلوكي يحترم الإنسان ويعلي من مكانة العقل.

2- يدرك أهمية المهنة التي يمارسها وقدسية رسالتها.

3- يدرك ومن خلال نظرة نظمية ومنهجية علمية متطورة موقعة وأهمية دوره في عصر العولمة والانفتاح.

4- يدرك أهمية التغير الجذري الذي طرأ على طبيعة دوره. إذا انتقل دوره نقلة نوعية بحيث غدا الميسر لعملية التعلم الذاتي والمساعد في الوصول إلى المعلومات.

5- يدرك أهمية الفئة التي يتعامل معها وبأنها نواة للتغيير والتطوير.

6- يدرك أن مهنة التعليم لها قواعد وأصول وتتطلب امتلاك كفايات معينة لممارستها وأنه يمكن اكتساب هذه الكفايات.

7- يدرك أنه في عصر ثورة المعلوماتية وتقنيات الاتصال المتطورة لم يعد المعلم المصدر الوحيد الذي يتلقى منه المتعلم المعارف والاتجاهات، بل إن لبعض الوسائل كالتليفزيون والفيديو والحاسب والإنترنت تأثيراً أعمق. مما يلقي على المؤسسة التعليمية مسئولية تتضمن جانبين رئيسيين:

- **الأول**: الاستخدام الإبداعي والتوظيف الفاعل لهذه التقنيات لتحقيق تعلم نوعي مميز للطلبة.

- **الثاني**: بناء علاقات تشاركية فاعلة بين المدرسة والأسرة ووسائط الاتصال ومؤسسات المجتمع المدني كافة. (عدنان بدري الإبراهيم، 51، ص ص 63-65).

معلم التعليم الجامعي:

وفي دراسة شيقة حول الأدوار المستقبلية للمعلم الجامعي بالوطن العربي في ضوء تحديات الواقع ورؤى المستقبل انتهى الباحثون إلى 74 دوراً جديداً تحت المحاور التالية:

1- أدوار المعلم الجامعي المرتبطة بالثقافة العربية ولغة العرب.

2- أدوار المعلم الجامعي في المجال السياسي.

3- الأدوار المستقبلية للمعلم الجامعي العربي في المجال التقني.

4- أدوار المعلم الجامعي في مجال البحث.

5- أدوار المعلم الجامعي العربي في المجال الديني.

6- الأدوار المستقبلية للمعلم الجامعي العربي في المجال الاجتماعي.

7- الأدوار المستقبلية للمعلم الجامعي العربي في المجال النفسي.

وفي كل من هذه المحاور السبعة يتم التأكيد على الحوار والتفاهم وكذلك البعد الأخلاقي للمعلم الجامعي العربي فهو مسئول عن:

1- بناء نماذج من الثقافة العربية الإسلامية والوطنية التي من شأنها أن توصِّل الهوية..
2- مقاومة الذوبان الثقافي وهيمنة الثقافات الغازية.
3- إبراز الارتباط بين اللغة والعقيدة رمزاً للهوية ولساناً للدين.
4- بث الثقافة الإسلامية في وجدان طلابه.
5- إبراز الطابع الإنساني للحضارة الإسلامية في مجالات التفكير والوجدان والآداب.
6- تقبل مشاعر طلابه وتعبيراتهم مع استثارهم وتشجيعهم للتعبير عن انفعالاتهم ..
7- إكساب طلابه آداب الاستماع والإنصات والحوار لكسب الآخرين ..
8- تنمية القدرة على التعبير عن النفس بطلاقة لتعزيز الثقة بالنفس .. (بدر نادر علي وآخران، 12، ص 246).

الأدوار التثقيفية للمعلم:

وإن المعلم العربي المعاصر يلزمه القيام بأدوار تثقيفية تتعدى حدود تخصصه العلمي، ويلزم قيامه بها حتى يسهم بدوره في حوار الحضارات والتسامح والتفاهم العالمي وملامح الثقافات .. من هذه الأدوار:

1- ربط الطالب بتراث أمته وحضارتها.
2- تقبل واحتواء المتغيرات الجديدة غير المحرمة دينياً.
3- إمداد الطالب بالمعلومات والمعارف التي تعمق نظرته للحياة.
4- تعميق فهمه للثقافات الأخرى.
5- تنمية مهاراته اللغوية في الاتصال بالأجانب.
6- تنمية استعداده لقبول الخلاف في الرأي.

القسم السادس:معلم الكبار وحوار الحضارات

امتد مفهوم تعليم الكبار ليشمل شتى أشكال التربية غير النظامية بل والتربية العفوية العارضة. ونشأ عن هذا الامتداد ظهور مفاهيم جديدة في ميدان التربية على رأسها التربية المستمرة أو المستدامة، كما تنوع مضمونه ومفاهيمه وبرامجه حتى شملت

كثيراً مما اشتمل عليه مفهوم التنمية الشاملة في مختلف مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، ومن بين هذه المجالات التي استحدثتها حركة المجتمع العالمي المعاصر إشاعة روح التفاهم العالمي وتأكيد قيم الحوار بين الحضارات.

كل هذا بالطبع يترك بصماته على معلم الكبار .. فلم يعد هو ذلك الذي يتصدى لتعلمي القراءة والكتابة في برامج محو الأمية فقط أو حتى ذلك الذي يدرّس مواد الثقافة العامة بأبعادها التقليدية فحسب، بل أصبح هو ذلك الذي يسهم في تكوين مواطنين مستنيرين لمجتمع عالمي كما أوصت بذلك مؤتمرات تعليم الكبار.

ولهذا تضمينات نوجز أ همها فيما يلي:

1- إذا كان الغرب يرى أن صراع الحضارات نظرية حتمية فإن الثقافة العربية الإسلامية لا ترى ذلك حتمياً. لأن الصراع القائم بين البشر لا يقتصر على الصراع بين الحضارات بل هناك صراعات تقع بين البشر داخل الحضارة الواحدة، ناهيك عن أن الإسلام قد جعل الاختلاف بين البشر مدخلاً للتعارف والتآلف والتعاون وليس مقدمة للنزاع والثقافة والصراع. الإسلام إذن يعتبر الحضارات إنجازاً إنسانياً وإضافات للتراث الإنساني الذي هو بطبيعته أخذ وعطاء، ولا توجد أمة في التاريخ إلا وقد أعطت بمثل ما أخذت.

2- يلزم لمعلم الكبار لكي يؤدي أدواره الجديدة في تنمية قيم حوار الحضارات أن يكون قدوة وأن يتصف هو نفسه بأهم هذه القيم ويستوعب أبعادها، بل ويترجمها إلى عمل .. ومن هذه القيم والاتجاهات:

أ- اعتماد أسلوب الحوار بدلاً من الصراع والتصادم في حل المشكلات.

ب- الإيمان بحق الآخر في التعبير عن نفسه واحترام ثقافته وإن لم يقبلها.

ج- الاعتزاز بقيم التسامح والبعد عن التعصب الأعمى والإدعاء بملكية الحقيقة المطلقة.

د- اتساع مفهوم الانتماء فلا يقتصر على الانتماء بمفهومه الضيق لمجتمعه المحدود، وإنما يتضمن أيضاً الانتماء للمجتمع الإنساني العالمي، والإحساس بأنه عضو فاعل فيه.

هـ- الحرص على متابعة القضايا العالمية المعاصرة مثل حقوق الإنسان وحماية البيئة.. الخ والشعور بأنها تخصه أيضاً كمواطن عالمي.

3- للقيام بدور فعّال إيجابي لمعلم الكبار في حوار الحضارات يلزم القيام بعدد من الإجراءات منها:

أ- إعادة النظر بشكل علمي دقيق في الكفايات اللازمة لمعلم الكبار في ضوء أدواره الجديدة .. إذ لم تعد الكفايات القديمة صالحة بشكل مطلق.

ب- مراجعة برامج إعداد معلم الكبار حتى يكتشف الكفايات الجديدة اللازمة.

ج- تطوير أساليب التدريب في أثناء الخدمة لمعلم الكبار وتصميم البرامج المبنية على دراسات علمية للاحتياجات التدريبية المتجددة لمعلم الكبار في مختلف المجالات وتخليصها من كل ما يتعارض مع قيم الحوار بين الحضارات أو يعوق حركة السعي نحوه.

د- إبراز المفاهيم الدينية التي تحث على حوار الحضارات وتأكيد دور الأديان في تحقيق التفاهم العالمي وإشاعة روح التسامح بين الناس.

القسم السابع:معلم العربية في المهجر

وهنا نأتي إلى صنف آخر من المعلمين ممن هم أقرب إلى ميدان المعركة وألصق بالمهمة التي نحن بصددها، واقدر على القيام بدور فاعل في إشاعة السلام وتنمية قيم التسامح والتفاهم العالمي بين الطلاب في مختلف ثقافاتهم، ذلك هو معلم المهجر.

وبالتأمل في حالات معلمي اللغة العربية نستطيع تصنيفهم إلى فئات من أهمها:

أ- **من حيث الجنسية**: هناك معلم ناطق باللغة العربية وآخر أجنبي، ولكل منهما مزاياه وسلبياته. فالشائع بين المعلمين الناطقين بالعربية أنهم يستخدمون عاميات بلادهم في تدريس اللغة العربية بكثرة فتنتقل إلى الدارسين بشكل طبيعي العادات اللغوية السائدة في بلد هذا المعلم وتتعدد في المدرسة مستويات العربية ما بين فصل وآخر بتعدد المعلمين العرب وآدابها. وقد يكون على حظ من علوم التربية، وقد لا يكون كذلك. أما الآخر الأجنبي فقد يكون مجيداً للغة العربية، ذا ثقافة عربية

إسلامية واسعة .. وقد يكون أيضاً ذا ثقافة تربوية. كل هذا قد يشفع لـه في قيامه بتدريس اللغة العربية لأبناء الجاليات. إلا أنه بكل تـأكيد يفتقر، أو قـد يفتقـر إلى الحس العربي الذي يمكنـه مـن معرفـة دقـائق الأمـور في اللغـة العربيـة، ويلمس الإنسان منه ذلك إما في طريقة نطقه الأصـوات العربيـة الـتي يستحيل أن ينطقـها كأهلها (إن لم يكن من ثنائي اللغات وتعلمـوا العربيـة في الصغـر) وإمـا في شـرح دلالات بعض الألفاظ التي تتكون معانيها من سياق لآخر، وإمـا في إدراك البعـث الثقافي لبعض العبـارات والأمثـال العربيـة وغيرهـا، فضـلاً عمـا يحـدث في أدائـه اللغوي، عن غير إرادة منه، من تداخل لغوي بين العربية ولغته الأم، ولا ينبغي في غمرة هذا النقد أن ننسى أن لهذا المعلم غير العربي ميزة قد يتفوق بها علـى زميلـه العربي ألا وهي معرفته بمواطن الصعوبـة في تعلـم اللغـة حسـب مـا مـرَّ بـه مـن تجارب، مما يمكّنه من التنبؤ بمثل هذه الصعوبات قبـل أن تقـع، أو يواجهـها عندمـا تقع، فيساعد الدارسين بذلك على اجتياز عقبات التعلم مستفيدين بخبرة جاهزة.

ب- من حيث التخصص: هناك معلم متخصص في اللغة العربية وآدابها (وهـو قليـل) ومعلم غير متخصص (وهو الغالب). والملاحظ أن معظم المعلمـين الذيـن يقومـون بتدريس اللغة العربية في الغرب هم من غير المتخصصين في اللغة العربية، ويمارسون العمل باجتهادات شخصية تصيب مرة وتخطئ مرات. إن التنوع في مؤهلات هـؤلاء المعلمين ظاهرة خطيرة، بل إن منهم غير المتخصصين في تعليـم اللغـة ويعتمـدون في تدريسهم لها على مقولة سائدة وخاطئة اشد الخطـأ في الوقـت نفسـه، وهـي أن كـل ناطق باللغة قادر على تدريسها .. حسْب المعلم أن يكون من بلد عربي حتـى يعـلّم لغته .. وهذا كما قلنا منطلق خاطئ ومسلَّمة لا تقف على قدمين.

ج- من حيث الإعداد التربوي: هناك معلم حاصل علـى مؤهـل تربـوي عـام (وهـو قليل) ومعلم حاصل على مؤهل تربـوي في تخصـص اللغـة العربيـة (وهـو نـادر) ومعلم بلا إعداد تربوي (وهو الغالب) وهذه بالطبع مشكلة غير بسيطة أيضـاً. إن تعليم اللغات ليس مجرد اجتهاد يصلح معه منطق المحاولة والخطأ .. وليس التعليـم كما قيل في المثل القديم (مهنة من لا مهنة له!). إنه علم وفن، ويتضح منطق العلم

فيه من الأخذ بالنظريات والتجارب والدراسات التي أجريت وتجري دوماً حول التعليم والتعلم. كما يتضح منطق الفن فيه من النظر إلى الطابع الشخصي الذي يتركه المعلم في أدائه، والبصمة (إن جاز التعبير) التي يخلّفها في الدرس الذي يلقيه. ومع هذا فإننا ندرك أبعاد مشكلة معلم اللغة العربية المؤهل تربوياً في الغرب وندرك أن العجز في توفيره أمر لا يد لأحد منا فيه .. إلا أن هذا لا يسوِّغ لنا الركون إلى الواقع والتسليم به، ولكن يمكن تحسين الوضع في ضوء مقترحات كثيرة بالنسبة للعاملين في أمريكا مثلاً، منها:

1. عقد حلقات نقاشية (سمنارات) شهرية أو نصف شهرية بين معلمي اللغة العربية في الولاية في إحدى عطلات نهاية الأسبوع يتبادلون فيها الخبرات ويتدارسون سبل حل المشكلات .. ونرى أن في هذا إثراءً للرصيد المعرفي عند جميع المعلمين فكل منهم يتعلم من الآخر.
2. عمل دورات تدريبية فصلية لمعلمي اللغة العربية (خاصة غير المؤهلين تربوياً) يشترك في التدريس فيها المؤهلون تربوياً من بين هؤلاء المعلمين ومن له خبرة عريقة في ذلك (ولو دعى من ولاية أخرى).
3. الاستعانة بأساتذة اللغة العربية بأقسام الدراسات الشرقية، ودراسات الشرق الأوسط بالجامعات والكليات المتوافرة في الولاية، وذلك في التدريس في هذه الدورات وتقديم المشورة المتواصلة للمدارس العربية.
4. إشراك أساتذة المناهج وطرق تدريس اللغات الثانية والأجنبية في الجامعات والكليات المتوافرة في الولاية وذلك بإلقاء المحاضرات وتنظيم الورش التدريبية لمعلمي اللغة العربية في الولاية. ولا شك أن إشراك هؤلاء المتخصصين في تعليم اللغات الأجنبية وثقافتها سوف يساعد معلمي اللغة العربية على الوقوف على الاتجاهات الحديثة في تعليم هذه اللغات وتطبيقها في تعليم اللغة العربية.
5. إصدار نشرة تربوية يتبادل المعلمون على صفحاتها خبراتهم ويتواصلون من خلالها ويقف كل منهم على شئون الآخر فتنشأ بينهم علاقات يشعرون من خلالها برابطة تجمعهم.

6. تكليف المعلمين بدراسة مقررات في أقسام اللغات الأجنبية بالجامعات المتوفرة بالولاية، يقفون من خلالها على الاتجاهات الحديثة في هذا المجال ثم يقومون بتوظيف ما تعلموه في مجال تعليم العربية.

وليس لمعترض على هذا الاقتراح حجة، بدعوى أن طرق تعليم اللغات الأجنبية تختلف عن طرق تعليمها للعربية لغير الناطقين بها .. فالثابت أن المنهجيات في أسسها العامة واحدة. وأن تطبيقات طرق تعليم اللغات الأجنبية تتفق في مبادئها وإن اختلف محتوى ما يقدَّم للطالب.

7. ضرورة أن يدرك معلم اللغة العربية لأبناء الجاليات الإسلامية أنه ليس مجرد معلم للغة ينتهي دوره عندما يؤدي طلابه ما يتوقع منهم أداؤه نطقاً وكلاماً واستماعاً وقراءة وكتابة .. إنه في مثل هذه المجتمعات مربٍ كل ما تحمله الكلمة من معانٍ .. إنه ناقل ثقافة عظيمة وحامل تاريخ عريق. ومن ثم فهو مطالَب بأن يساعِد طلابه في بلاد المهجر على أن يحافظوا على جوهر هذه الثقافة، وعلى أن يدركوا عظمة هذا التاريخ. إنه مطالب بتطوير شخصية الناشئة المسلمة (عربية وغير عربية) وتنمية إنسانيتها في إطار من الثقافة العربية الإسلامية .. وليثق هذا المعلم أنه قد يكون المظهر الوحيد الذي يجسد هذه الثقافة أمام طلابه .. ويستلزم هذا من معلم اللغة العربية في بلاد المهجر أن ينظر إلى دوره على أنه داعية وليس فقط معلما، ومن ثم يجب أن يكون قدوة في سلوكه حيث يجسد مفاهيم ثقافية يعز على أبناء الجاليات أن يروها في غيره أحياناً. كما ينبغي أن يكون واسع الثقافة مخلصاً لدينه، مفكراً حكيماً لموقع اللغة العربية في هذه البلاد ومؤمناً بدورها في لَمِّ شتات الجالية العربية والإسلامية وفهمها لجميع الأبعاد الثقافية الخاصة بالبلد الذي يعلِّم فيه اللغة.

أما بالنسبة لدوره في نشر مفاهيم السلام فهو أوضح من أن نذكره. إذ لابد له أولاً أن يؤمن بها ثم يعمل على نشرها سواء عن طريق سلوكه الخاص كقدوة أو عن طريق المحاضرات التي يلقيها والبرامج الثقافية التي ينظمها.

الملاحق

ملحق (1)

إعلان ريسيف

يعلن المؤتمر الثاني بعد العشرين للجمعية الدولية لتنمية التواصل بين الثقافات حول حقوق الإنسان والحقوق الثقافية المنعقد في كلية الحقوق بالجامعة الفيدرالية لبيرمامبوكو (ريسيف، البرازيل) من 7 إلى 9 اكتوبر 1987 برئاسة فرانسيسكو كوميس دي ماتوس يعلن ما يلي:

حيث إن مثل ومبادئ المساواة والتضامن، والحرية، والعدالة، والسلم، والتفاهم التي تلهم التشريعين الوطني والدولي ومواثيق حقوق الإنسان تشترك في بعد لغوي جوهري.

إذ نقر بأن اللغات واستعمالها، والحفاظ عليها، وتطويرها يساهم مساهمة جلى في التنمية الثقافية، والتعليمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للأفراد والجماعات والدول.

إذ نسجل أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمعاهدات الدولية والمواثيق المتصلة به تنص على الحقوق الثقافية.

إذ نأخذ بعين الاعتبار الحاجة إلى إيقاظ الوعي وتقويته -داخل الثقافات وعبرها- بالاعتراف بالحقوق اللغوية للأفراد والجماعات ورعايتها.

إذ نؤكد أن الحقوق اللغوية ينبغي أن يعترف بها وأن ترى وتحترم وطنياً وجهوياً ودولياً، وهذا سيؤدي إلى حفظ كرامة جميع اللغات وضمان المساواة بينها.

إذ نعي الحاجة إلى نصوص تشريعية قصد القضاء على الأحكام المسبقة اللغوية والميز، وكل أشكال السيطرة اللغوية، والظلم والقمع، في مقامات مثل المصالح العمومية وأماكن العمل،والنظام التعليمي، والمحاكم، ووسائل الإعلام.

إذ نشدد على الحاجة إلى تحسيس الأفراد والجماعات والدول بالحقوق اللغوية، وإلى تأييد المواقف الاجتماعية الإيجابية إزاء التعدد اللغوي، وإلى تغيير البيانات الاجتماعية خدمة للمساواة بين مستعملي مختلف اللغات والتنويعات اللغوية.

ومن ثم نعي الحاجة إلى توفير الأجهزة المختصة في الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة ضمانات قانونية واضحة للحقوق اللغوية للأفراد والجماعات.

نوصي بأن تتخذ الأمم المتحدة ما يلزم لإقرار وتنفيذ إعلان عالمي للحقوق اللغوي يتطلب صياغة جديدة للسياسات اللغوية الوطنية والجهوية والدولية.

(مجلة قراءات، أكادير، حي السلام، المغرب العربي، العددان 2 و 3 خريف 2005).

ملحق (2)

حماية جميع اللغات وتشجيعها والمحافظة عليها

منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)

1- ورد في طبعة عام 2002 المعنونة أطلس لغات العالم المهددة بالانقراض، التي نشرتها اليونسكو، أن نصف لغات العالم البالغ عددها 6000 لغة تقريباً مهددة بالانقراض مما سيترتب عنه فقدان بعد لا يعوض من أبعاد معارفنا وفهمنا للفكر الإنساني، وتعد العملية التي تنقرض بواسطتها اللغات عملية متواصلة، وهي ليست ظاهرة جديدة، بيد أن السنوات الـ 30 الماضية قد شهدت زيادة رهيبة في معدل انقراض اللغات.

2- وأسباب هذه الظاهرة متعددة ومعقدة. فالناس ينزعون إلى ترك لغاتهم الأصلية إما بسبب انتمائهم إلى مجموعات صغيرة غارقة في بيئات لغوية وثقافية مختلفة، أو غير مواتية من جراء اتصالهم بثقافة توسعية أو أقوى اقتصادياً، وفي مثل هذه الحالات يقوم الكبار في تجاهل تام للغاتهم الأصلية، بتشجيع الأطفال على تعلم لغة الثقافة المهيمنة ، ليس فقط لزيادة قدرتهم التنافسية في أسواق العمل، وإنما لاكتساب مركز اجتماعي.

3- وقد أكد المؤتمر العام من جديد، باعتماده إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي في عام 2001 ضرورة اتخاذ إجراء عاجل لتشجيع التنوع اللغوي والثقافي ولا سيما عن طريق صيانة التراث اللغوي، وتعزيز تعم لغات عديدة في الشعر وتشجيع التنوع اللغوي في الفضاء الحاسوبي.

4- وعلاوة على ذلك، فإن المشروع الأولي لاتفاقية ترعاها اليونسكو للحفاظ على التراث الثقافي المعنوي، يقترح إعادة تجديد التراث الثقافي المعنوي لكي يشمل "التعابير والتقاليد الشفوية" بما فيها اللغة كأداة لنقل التراث الثقافي المعنوي.

5- وقد شرعت اليونسكو في تنفيذ أنشطة وبراج عديدة ومتداولة التخصصات ترمي إلى تشجيع تعدد اللغات والتنوع اللغوي في مجالات اختصاصها، ولا سيما الثقافة والإبداع والتربية.

6- وفي آذار/ مارس 2003، جمعت اليونسكو خبراء من جميع أنحاء العالم بمن فيهم الناطقين بلغاتهم الأصلية المهددة بالانقراض، وأوصى هؤلاء الخبراء بخطة عمل لتشجيع الدول الأعضاء على استعراض وتحديد اللغات التي تبين أنها مهددة بالانقراض والجد في تشجيع الاعتراف بها وتوثيقها، وخلق الظروف الرامية إلى الاستخدام النشط لتلك اللغات والإطلاع عليها، وتعزيز افتخار المجتمعات المحلية بالتحدث بلغاتها وبثقافاتها، وكفالة مكانة لجميع لغات الدولة، وفي هذا السياق ينبغي النظر في المكاسب الاقتصادية والاجتماعية للتنوع اللغوي والثقافي بوصفها حافزاً من حوافز التنمية المستدامة.

7- وفي إطار مشروع كتاب اليونسكو الأحمر للغات المهددة بالانقراض، أجريت دراسات للغات يتهددها الانقراض بشدة في منطقة جنوب غرب المحيط الهادئ وفي سيبيريا واستراليا واندونيسيا وتايلند، وتم إنشاء غرفة مقاصة دولية معنية باللغات المهددة بالانقراض في طوكيو، وستدرج نتائج الدراسة الاستقصائية للغات الأصلية في فيجي وبابوا غينيا الجديدة وفانواتو وجزر سليمان في سياسات التعليم الوطني.

8- وفي مجتمعات المعرفة الناشئة اليوم، ترتبط التنمية في جميع جوانب الحياة ارتباطاً وثيقاً بالقدرة على الوصول إلى مصادر المعرفة وتبادل المعلومات والتفاعل في الفضاء الحاسوبي، وتعد اللغة وهي عامل الاتصال الرئيسي، أمراً لا غنى عنه في هذه العملية، بيد أن المشاركة في البيئة الرقمية حالياً لا تتوافر إلا لنسبة بسيطة من اللغات المستخدمة اليوم البالغ عددها 6000 لغة تقريباً، وتشير الدراسات الأخيرة إلى أن حوالي 84 في المائة من محتويات الإنترنت غير متوافرة إلا باثنتي عشرة لغة فقط، وبالتالي فإن فوائد مجتمعات المعرفة الناشئة تقتصر إلى حد كبير على القادرين على استخدام إحدى اللغات الرئيسية العالمية.

9- ومن شأن هيئة فضاء حاسوبي متعدد اللغات يمكن الإطلاع على محتوياته النوعية بجميع اللغات المعروفة (إما مباشرة أو عن طريق الترجمة) أن تعزز تعزيزاً كبيراً من سبل الإطلاع على المعلومات (المتعلقة بالصحة والتعليم والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من المواضيع) اللازمة للتنمية، وقد أخذت مسألة تحقيق التكافل في إمكانية الإطلاع على المعرفة والتمتع بالفرص القائمة على المعرفة تزداد في أهميتها بالنسبة لقدرة الناس على تحسين مستويات معيشتهم.

10- وتتصدى اليونسكو حالياً لهذه الشواغل والتحديات ضمن إطار مشروع التوصية المتعلقة بتشجيع واستخدام التعدد اللغوي والوصول إلى الفضاء الحاسوبي في جميع أنحاء العالم، وستعرض هذه الوثيقة على الدول الأعضاء باليونسكو بغية اعتمادها في الدورة لمؤتمرها العام في تشرين الأول/ اكتوبر 2003.

11- وتقوم مبادرة بابل الإلكترونية المعنية باللغات (Babel) التابعة لليونسكو عبر عدد من المشاريع النموذجية، بصياغة مبادئ توجيهية ودعم المبادئ الوطنية وتعميم الموارد اللغوية، وأفل الممارسات في هذا الصدد، واستحداث أدوات متعددة اللغات على شبكة الإنترنت، وتشمل المشاريع مكتبة تسجيل سمعية للغات المهددة بالانقراض، وخطة لإدارة المحتويات المتعددة لدعم شبكة الإنترنت، ونموذج للمجتمعات المحلية الناطقة بلغات مهددة بالانقراض، بما فيها آلية للدعم المنتظم من أجل المحافظة على اللغات.

12- وحيث إن التعليم في أجزاء كثيرة من العالم يجري في سياقات متعددة اللغات، فإن التحدي الذي تواجهه نظم التعليم هو التكيف مع هذه الحقائق المعقدة وتوفير تعليم جيد النوعية يراعي احتياجات الدارسين المعنيين، إلى جانب موازنة هذه الاحتياجات مع المطالب الاجتماعية والثقافية والسياسية، وفي حين أن الأخذ بحلول موحدة في المجتمعات التعددية قد يكون الخيار الأبسط من الناحية الإدارية والتنظيمية، فإن هذا الخيار يتجاهل المخاطر المتعلقة بإنجازات التعلم وكذلك خطر فقدان التنوع اللغوي والثقافي.

13- وفي أيلول/ سبتمبر 2002 اجتمع فريق خبراء دولي لمناقشة السياسات اللغوية وتعليم اللغات وتقديم توصيات في هذا الشأن وخلصوا إلى أن الإجراءات المتخذة في المستقبل ينبغي أن تسترشد بالمبادئ التالية:

أ- تدريس اللغة الأم كوسيلة لتحسين نوعية التعليم، وذلك عن طريق الاعتماد على خبرات ومعارف الدارسين والمدرسين، ولا غنى عن تدريس اللغة الأم في مجال التعليم الأولى وتعلم القراءة والكتابة، وينبغي توسيع نطاقه إلى أقصى مرحلة من مراحل التعليم قدر الإمكان. ولا يمكن أن يستمر الإلمام بالقراءة والكتابة في ظل توافر إمدادات مناسبة من مواد القراءة، للمراهقين والكبار وكذلك لأطفال المدارس، سواء للترفيه أو للدراسة، وينبغي لجميع أشكال تخطيط التعليم لكل مرحلة أن تشمل مخصصات لمواصلة تدريب أعداد كافية من المدرسين من ذوي المؤهلات والكفاءة التامة.

ب- التعليم الثنائي اللغات و/ أو المتعدد اللغات في جميع المراحل كوسيلة لتشجيع المساواة الاجتماعية والمساواة بين الجنسين وكعنصر رئيسي في المجتمعات ذات التنوع اللغوي، ويتعين تشجيع الاتصال والتعبير والقدرة على الإصغاء والحوار، أولاً باللغة الأم، ثم باللغة الرسمية أو الوطنية بالبلد المعني، وكذلك بلغة أجنبية واحدة أو أكثر، وينبغي أن يكون اكتساب لغة ثانية فيوقت مبكر بالإضافة إلى اللغة الأم والجد في تعليم لغة دولية ثالثة، هو المتوسط العادي للمهارات اللغوية العملية في القرن الحادي والعشرين.

ج) اللغة كعنصر هام من عناصر التعليم المشترك بين الثقافات بغية تشجيع التفاهم فيما بين فئات السكان المختلفة وضمان احترام الحقوق الأساسية، وينبغي اتخاذ تدابير معينة لإزالة التمييز في جميع مراحل التعليم والتشديد على الحقوق اللغوية والتعليمية للأشخاص الذين ينتمون إلى الأقليات أو الشعوب الأصلية، وينبغي أن يكون في مقدور الكل تبوء مركزهم في المجتمع -وفي معظم الحالات في المجتمع المحلي الذي ينتمون إليه أصلاً- وأن يسلح في نفس الوقت بأدوات الاتصال مع المجتمعات والقيم والمعتقدات والأديان الأخرى.

14- يواجه صنّاع السياسات قرارات عسيرة عليهم اتخاذها فيما يتعلق باللغات. فعلى الرغم من قوة الحجج التعليمية التي تدعم تدريس اللغات الأم، أو اللغات الأولى، يتعين أيضاً تحقيق توازن دقيق بين تمكين الناس من استخدام اللغات المحلية أثناء التعلم، وتوفير إمكانية الإطلاع على لغات الاتصال العالمية عن طريق التعليم.

15- ومع ذلك، ينبغي المضي في تعزيز الإجراءات في هذا المضمار، وسيلزم زيادة إذكاء الوعي، ليس فقط لدى الحكومات، وإنما أيضاً في أوساط المجتمع المدني عموماً، فيما يتعلق بتعرض اللغات خطر الاندثار في العالم المعاصر ومما ينجم عن ذلك من ضرورة التصدي هذه الظاهرة عن طريق الأخذ في المستقبل بنهج التعدد اللغوي السليمة.

16- ويمثل اليوم الدولي للغة الأم الذي يحتفل به كل سنة في 21 شباط/ فبراير أحد أهم الأشكال الحالية للدعوة إلى تعدد اللغات. وتتعدد الاهتمامات بهذا المجال حيث إن اللغات تشكل جزءاً لا يتجزأ من تراث الإنسانية المعنوي، ولذا يحق لها أن تحظى بالاهتمام والعناية على نحو خاص. وعلاوة على ذلك تسهم المحافظة على اللغات الأم في التنمية المستدامة، نظراً للتفاعل الجلي بين التنوع الثقافي والتنوع البيولوجي. وقد بدأت هذه المناسبة التي جرى الاحتفال بها في هذه السنة للمرة الرابعة في اكتساب زخم متزايد، وأسفرت في الكثير من بلدان عن مبادرات رامية إلى إبراز ثراء لغات العالم.

17- ويمكن تعزيز عملية التوعية هذه بواسطة إعلان سنة 2004 سنة الأمم المتحدة لتعدد اللغات، ومن شأن الإعلان عن هذه السنة الدولية أن يؤدي إلى تشجيع التفاهم فيما بين الثقافات وتعزيز تعدد اللغات كمصدر للهوية الثقافية والقومية، ويؤدي إتقان أكثر من لغة واحدة إلى فتح أبواب جديدة للاتصال والمعرفة أمام الصغار، وستشكل السنة الدولية إقرار هذه الحقيقة، وعلى وجه الخصوص بدور اللغات الرسمية الست بمنظومة الأمم المتحدة كوسيلة من وسائل التفاهم المتبادل والحوار فيما بين الحضارات والتعاون الإنمائي والدولي وستعزز كذلك من قدرة تعدد اللغات وعلى تشجيع السلام والوفاء بمجتمعات المعرفة.

ملحق (3)

الدعوة إلى إنشاء قناة فضائية متعددة اللغات وتدريس اللغة العربية في المؤسسات التربوية الأجنبية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المجمع الثقافي في أبو ظبي 11 ابريل 2002

التقرير

واصلت لجنة الحوار العربي الأوروبي اجتماعاتها في المجتمع الثقافي في (أبو ظبي) وأكدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم استحالة قيام حوار للحضارات على أسس سليمة وثابتة إذا لم يوجد حل عادل ودائم للقضايا العالقة وطالما تواصل الاحتكام إلى شرعية دولية تكيل بمكيالين.

وقالت في وثيقة حول رؤيتها بشأن حوار الثقافات والحضارات حصلت (الخليج) على نسخة منها، إنه لا سبيل إلى حوار حقيقي دون كبح جماح العوامة المتوحشة وكف تدخلاتها التي تعتمد القوة وسيلة والسوق هدفاً والربح السريع غاية وأحادية الثقافة منهجاً وتدعو إلى الاندراج في النمطية والذوبان والتبعية.

وأوضحت الوثيقة أنه على الرغم من أن الرأي السائد اليوم الذي يؤكد على ضرورة الحوار بين الشعوب والثقافات فإن سبل الوصول إلى ذلك الحوار ما زالت و -للأسف الشديد- صعبة المنال مع أننا نعيش في ظل فضاء اتصال معولم يتيح مبدئياً مزيداً من فرص ومجالات معرفة الأمم بعضها بعضاً، ويسهل بالتالي الحوار بينها إلا أن الواقع حسب الوثيقة يفرض علينا الاعتراف بأن شروط الحوار البّناء لم تكتمل بعد، وأنها لن تتحقق إلا بعد تكريس ثقافة الحوار ونشرها.

وأكدت المنظمة على أنه إسهاماً منها في التنظير إلى التنفيذ وضعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم استراتيجية تشرح منظورها للحوار مع ثقافات العالم

والوسائل التي تنوي توفيرها لتجسيد هـذا الحـوار بالتعـاون مـع الحكومـات العربيـة والجهات الدولية المعنية.

مرتكزات الحوار

وحددت المنظمة في وثيقتها مجموعة مرتكزات أساسية لقيام الحوار المنشود بـين الحضارات وإخراجه من بوتقـة الأفكـار الطوباويـة والآمـال الخـيرة إلى حـيز التنفيـذ التدريجي بما يضمن استمراره كعامل يقرب بين البشر ويبعد شبح العداء والحروب.

ومن المنطلقات التي من دونها لا يستقيم حوار قناعة الأطراف المتحاورة بالندية في التعامل وقبول الآخر بخصوصياته ورفـض الأحكـام المسبقة واستبعاد القـراءات الغرائبية والفلكلورية السطحية لثقافته وما ينتجـه الخيـال البشـري مـن صـور محرفـة للآخـر ويقتضـي هـذا التصـور للحـوار الحضـاري الاعـتراف بتنـوع الثقافـات وبالخصوصيات التي تميز بينها ويتطلب إلغاء النظر الأحادثة للثقافة المهيمنة.

وأكدت على أنه لا يمكن للحوار بين الحضارات أن تتدعم أركانه في ظل وجود فـوارق بـين الـدول المتقدمـة والـدول الأقـل تقدمـاً علـى المسـتويات الاقتصاديـة والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية، وإذا لم يوجد حل عـادل للقضايـا العالقـة، وإذا تواصل الاحتكام إلى شرعية دولية تكيل بمكيالين.

وأشارت إلى الدور الرئيس للمنظومـات التربويـة في نشـر مبـادئ الحـوار بـين الحضارات ودعم منطلقاته ما يستوجب تضمين معاني الحوار الديني والثقافي واللغوي وإبعاده في البرامج والمناهج التربويـة لتعريـف النـشء بأهميـة الإسـهامات الإبداعيـة لمختلف الشعوب والأمم، فضلاً عن أهمية تلقين الشباب مبادئ التعـاون والتضـامن والتكـامل ودفعـه إلى تنويـع رصيـده المعـرفي حـول ثقافـات الشـعوب ولغاتـها وخصوصياتها، وهذا يعني حسب الوثيقة ضرورة الإقدام على إصلاح تربوي جـذري تكون من مرتكزاته تربية ناشئة على تعرف محيطها البشـري الواسـع، وتقبـل الآخـر، والاستعداد للعيش معه رغم الاختلاف وفي إطـار احـترام خصوصياتـه، وهـذا يعـني كذلك مراجعة الكتب المدرسية لاستبعاد ما فيـها مـن أفكـار مسبقة حـول الثقافـات الأخرى أو من إشارات الاستعلاء الثقافي واستنقاص الآخـر، كمـا يعـني إدراك مـادة

الدراسات الدينية المقارنة وإعطاء حيز أكبر لتدريس الحضارات في صلب برامج التاريخ والجغرافيا والتربية الاجتماعية وغير ذلك مما ورد في تقرير (جاك ديلور) حول التعايش ومعرفة الآخر بشأن الأركان الأربعة التي ينبغي أن يقام عليها أي نظام تربوي.

وأكدت المنظمة في وثيقتها على أن التربية تظل عنصر وقاية ضد انحرافات التعصب بكل أشكاله ونوعاً من التنظيم الذي يكون له مفعول على المدى البعيد ضد مخاطر السقوط في التطرف والإرهاب.

وتتضمن جسور الحوار التي وضعتها المنظمة جسر الحوارات بين الأديان باعتباره يمثل مدخلاً مهماً للحوار بين الحضارات نظراً لأهمية المقدسات في حياة البشر وكذلك لأن عصرنا هو عصر يتوق إلى العودة إلى الروحانيات وهذا يقتضي فتح فضاءات تلتقي فيها الديانات وتتحاور مما يتطلب قبل ذلك أن تنظم ممارسة الأديان داخل المجتمعات بما يسهل إدماج هذه الأديان في المجتمعات ويخرجها من دائرة التشنج والتوتر والانسياق وراء التيارات الهدامة التي تسعى للمتاجرة بالدين.

التعدد اللغوي

وترى المنظمة أن المدخل اللغوي من أهم مداخل الحوار الحضاري وأن الدفاع عن تعدد اللغات هو دفاع عن تعدد الحضارات وعن نظرات مختلفة إلى العالم وطرق متنوعة للحوار مع الآخر وأنماط إبداعية يثري بعضها بعضاً وتقع وسائل الإعلام والاتصال في صميم حوار الحضارات بل تمثل محركه الأساسي باعتبارها أداة من أهم أدوات تقريب الثقافات وتسهيل الاتصال فيما بينها ومساعدتها على التعرف أكثر إلى بعضها بعضاً، فوسائل الإعلام هي المسؤول الأول عن عملية نقل صور الشعوب وثقافاتها وصياغة المواقف منها وحولها، وهي التي تكوّن الاتجاهات وتوجه القرارات لدى الدول والجماهير في الوقت نفسه، كما تشكل المؤسسات الثقافية والجامعية فضائيات مناسبة للحوار والتبادل والشراكة بين المثقفين والمبدعين والباحثين الجامعيين المنتمين إلى ثقافات مختلفة؛ من أجل تكامل الرؤى والتجارب، كما أن ترجمة أعمال

إبداعية بارزة في مختلف الثقافات والنشر المشترك يمثلان وسائل مفيدة للتنافذ بين الثقافات والأمم والتعرف على عوالم الآخرين واهتماماتهم واستبطان مشاعرهم.

أطراف وآليات الحوار

وانتقلت الوثيقة بعد ذلك إلى الحديث عن بعض المرتكزات الأساسية التي يمكن أن ينطلق منها حوار الحضارات ومنها العلوم وتطبيقاتها وتراث الإنسانية الحضاري المشترك حيث ترى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أنه في ظل الانحرافات المحتملة للبحث العلمي في ميادين مثل البيولوجيا وعلم الوراثة وما قد يتبع ذلك من تهديد لعدد من قيم المجتمعات البشرية يمكن لحوار الحضارات أن يجد مجالاً سائحاً للحركة حول موضوع تشترك فيه الإنسانية جمعاء وهو أخلاقيات العلوم، كما يمثل الإرث الحضاري المشترك للبرية مجالاً مميزاً لربط الصلة بين مختلف الثقافات، وأداة للتفاهم بين الأمم، وقبول الآخر في أخلاقه مع ما يترتب على ذلك من احترام لخصوصيات الثقافات الأخرى ويتسامح إزاء معتقداتها.

ومن بين الأطراف التي يمكنها القيام بهذا الحوار حسب الوثيقة المنظمات والمؤسسات القطرية والإقليمية والدولية والحكومية وغير الحكومية كاليونسكو والايسيسكو والاتحاد الأوروبي وغيرها ومنظمات العمل العربي المشترك مثل: مجلس التعاون العربي لدول الخليج واتحاد إذاعات الدول العربية وبنوك التنمية في البلاد العربية وغيرها وشركاء من المجتمع المدني لاسيما الجمعيات الثقافية والرياضية وجمعيات الصداقة والنهوض بالثقافة العربية وغيرها من الأطراف الاجتماعية كممثلي المنظمات المهنية والسياسية والاقتصادية.

ويتم تنفيذ هذا الحوار خلال تنظيم المؤتمرات واللقاءات والندوات بين المثقفين والمفكرين والعلماء والباحثين والجامعيين من العرب وغير العرب وتبادل الخبرات والوثائق والنشرات بين المنظمات العربية وغير العربية والتعاون بين المؤسسات الجمعية والعلمية ومراكز البحث وغيرها وتمتين الصلة بينهما، وتنظيم معارض تراثية وفنية مشتركة وأيام ومهرجانات سينمائية ومسرحية وغيرها وتبادل البرامج الإذاعية والتلفازية وإعداد برامج مشتركة ثقافية ودعم حركة الترجمة من العربية إلى اللغات

الأجنبية وبالعكس لاسيما الموسوعات العربية وكتب الفن والأدب، وتدريس الثقافة واللغة العربية في المؤسسات التربوية الأجنبية والعكس بالعكس، والعمل على إحداث معاهد مماثلة لمعهد العالم العربي بباريس في عواصم أخرى، وفتح مواقع ثقافية على (الانترنت) وتركيز محطة طرفية بالمنظمة للاتصالات عن بعد؛ لإقامة ندوات وحوارات بين رجال الفكر والإعلام والجامعات ومراكز البحث في الدول العربية والأجنبية، وإنشاء قناة ثقافية عربية متعددة، اللغات وتنمية السياحة الثقافية وسياحة الشباب.

خطوات التنفيذ

وحددت المنظمة في وثيقتها خطوات تنفيذية على المدى البعد تمثلت في تحويل آليات الحوار إلى برامج قابلة للتطبيق في نطاق مشاريع شراكة مع منظمات وحكومات عربية وأجنبية، وعلى المدى القريب وضعت مجموعة من البرامج والفعاليات التنفيذية خلال السنوات من 2002 حتى 2004 منها إحداث موقع على شبكة الإنترنت للتعريف بالثقافة العربية الإسلامية وترجمتها إلى عدة لغات إنجليزية وفرنسية وإسبانية، وترجمة أعمال إبداعية بارزة في مختلف الثقافات والنشر المشترك باعتبارها تمثل وسائل مفيدة بين الثقافات والأمم تعرف عوامل الآخرين واهتماماتهم، واستبطان مشاعرهم، وتنظيم مجموعة من منابر الحوار في شتى أصقاع العالم ومع ممثلي مختلف الثقافات يسكون الهدف الأساسي منها ربط الصلات مع هذه الثقافات، وضبط الخطط والمشاريع القابلة للتنفيذ على المدى البعيد (2005-2015) ضماناً لاستمرارية الحوار وتنوع مجالاته بحسب الظروف والإمكانيات ومواصلة مشروع الحوار الثقافي بين الحضارة العربية الإسلامية ومختلف الحضارات الأخرى الذي شرعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تنفيذه منذ عام 1999.

وأشارت الوثيقة إلى أن المنظمة تعكف حالياً على إعداد ندوات أخرى للحوار بين الثقافة العربية والإسلامية وثقافات أمريكا اللاتينية وتقام في تونس من 9 إلى 13 ديسمبر وفي اليابان ثم في تونس في مارس 2003 وفي أوروبا الشرقية عام 2003 أيضاً.

أنشطة المنظمة

ووفقاً لبرنامج المنظمة سوف يتم تنظيم أسبوع ثقافي عربي متعدد الأغراض والمظاهر في إحدى العواصم الأوروبية خلال سنة 2003 وتفعيل دور الثقافة والإعلام في الحوار بين الحضارات العربية والحضارة الأوروبية في إقامة حوارات فكرية عن طريق الوسائل السمعية والبصرية وعقد اجتماع تنسيقي ودورة تدريبية لمسئولي مراكز تعليم اللغة العربية في البلدان الغربية وعقد ندوة حول الحوار بين البلاد العربية وأوروبا الشرقية في موسكو عام 2003.

وفي نطاق اتفاقية التعاون المبرمة بين المنظمة ومعهد العالم العربي بباريس يحتضن المعهد تظاهرة ثقافية مشتركة حول الحوار العربي -الأوروبي تحت عناوين مرتكزات التعرف إلى الآخر للتعايش معاً من منطلق التسامح بين الحضارات والأديان ويعقد في شهر يوليو المقبل في باريس بمشاركة شخصيات عربية وأوروبية بارزة بالإضافة إلى ترجمة عدد من الأعمال الأدبية العربية إلى اللغات الأجنبية.

التوصيات

وأوصت المنظمة بضرورة التفكير في نشاطات مشتركة تهم الشباب على غرار إقامة منتدى للشباب العربي -الأوروبي حول ثقافة العيش معاً يركز من خلاله على مبادئ التسامح والحوار والتعريف بالآخر بحضور (جاك دولور) وتعزيز دور الجامعة العربية - الأوروبية والتنسيق معها في تنظيم دورات سنوية في البلدان العربية والأوروبية واقتراح إنشاء كراسي جامعية حول الحوار العربي - الأوروبي وتنظيم لقاء للإعلاميين والمفكرين من البلاد العربية وأوروبا، وتبادل الزيارات بين الوفود الطلابية من العرب والأوروبيين، وتبادل النشاطات حول معارض الأطفال العرب والأوروبيين مثل: الصور والأفلام والمسلسلات والرسوم.

ملحق (4)

بيان المؤتمر العام الأول للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) الدار البيضاء 7-9 يونيو 1983

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

نظراً لأن الدين الإسلامي الحنيف هو ينبوع المعرفة والعلم، ومصدر الخير والرفاه، ومبعث الأخلاق والفضيلة، وملهم الحق والجمال.

ونظراً لأن العقيدة الإسلامية تجعل من طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها).

وحيث إن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بالتعاون والتآزر والتعاضد فقال في كتابه الحكيم: {واعتصموا .. ولا تفرقوا} وأكد ذلك نبيه الكريم بقوله: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى).

ونظراً لأن الإسلام يحث على الاعتماد على النفس بالعمل المثمر الصالح كما قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ وقال جل من قائل: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ فإننا نحن المشاركين في المؤتمر العام الأول للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة المنعقد بالدار البيضاء في المملكة المغربية في الفترة من 25 إلى 27 شعبان 1403هـ (الموافق 7-9 يونيه 1983م)، إدراكاً منا لما يضطلع به التعليم من دور حاسم في تدعيم

الوحدة الفكرية والروحية للأمة الإسلامية، وفي تنميتها الاجتماعية والاقتصادية، وفي توفير البشرية اللازمة للنهضة العلمية والتكنولوجية التي تتطلع إليها.

وإدراكاً منا للحالة الراهنة للتربية والتعليم والعلوم والثقافة في البلاد الإسلامية، فإننا أصدرنا التوصيات التالية آملين أن تسعى الأمة الإسلامية - دولاً، ومؤسسات، وأفراداً- إلى العمل على تحقيقها:

فيما يتعلق بالتعليم:

1- مكافحة الأمية والعمل على محوها وفق مخطط زمني مدروس والقيام بحملات وطنية لتعليم الكبار والأطفال الذين تسربوا عن المدرسة.

2- تطبيق إلزامية التعليم الأساسي وتوفير الظروف اللازمة لتعميمه في المدن والأرياف على السواء بحيث يشمل جميع الأطفال الذين هم في سن المدرسة.

3- تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية وذلك:

أ- بالاهتمام بتعليم البنات في جميع المستويات والمراحل وفي مختلف مناطق الأمة الإسلامية ومتنوع قطاعاتها الاجتماعية.

ب- بالعمل على إيصال التعليم إلى المناطق الريفية التي يشكل سكانها معظم أبناء الأمة الإسلامية، والاهتمام بالمؤسسات التعليمية فيها، وتوفير الفرص لأبنائها لمواصلة دراستهم.

ج- بالاهتمام بتعليم المعوقين والأطفال المحرومين اجتماعياً أو اقتصادياً.

4- تطوير التعليم وتأصيله وتحديثه، وإعادة النظر في أهدافه وبنيته ومحتواه في ضوء الحركية المتواصلة التي تشهدها الأمة الإسلامية والتنمية الاجتماعية الاقتصادية التي تسعى إليها.

5- الاهتمام بتعليم العلوم والتكنولوجيا ودمجها في بنية التعليم العام والتوسع في تزويد المدارس والمعاهد بالمختبرات العلمية والتقنية.

6- العناية بالتعليم التقني والمهني وتطويره وتعميمه وليكون قادراً على الاستجابة لمتطلبات التنمية العلمية والتكنولوجية وتوفير الأطر البشرية المدربة اللازمة لها.

7- التنسيق بين السياسيات التعليمية والثقافية والعلمية والتكنولوجية والإعلامية لتحقيق نهضة اجتماعية اقتصادية متكاملة قائمة على الإيمان والعلم.

8- زيادة الإنفاق على التعليم في مختلف مستوياته لتعميمه وتحسين نوعيته وتطوير مؤسساته ورفع مستوى القائمين به.

9- رفع نسبة الإنفاق على البحوث العلمية والتربوية وتطوير مراكزها وتشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر.

10- توفير المناخ الملائم لتشجيع العلماء على البحث والإبداع وللحد من هجرة الأدمغة من البلدان الإسلامية.

فيما يتعلق بالثقافة الإسلامية:

11- جعل الفكر الإسلامي محور المناهج المدرسية في جميع المستويات.

12- العناية بتدريس الثقافة الإسلامية واللغة العربية في جميع المراحل الدراسية، وتطوير مستوى القائمين بتدريسها.

13- الاهتمام بالمخطوطات الإسلامية وتجميعها وتوثيقها وتحقيقها ونشرها.

14- العناية بالآثار الإسلامية وترميمها، وإحياء مراكز الحضارة الإسلامية.

15- ترجمة المصنفات الفكرية الإسلامية إلى اللغات المختلفة ونشرها، ورد الشبهات التي تثار عن الإسلام مع تقديمه في صورته الحقيقية.

فيما يتعلق بالتعاون الثقافي والعلمي والتربوي بين الدول الإسلامية

16- توثيق الروابط الثقافية والعلمية والتربوية بين الدول الإسلامية بتوقيع اتفاقيات ثنائية لهذا الغرض، والاعتماد على قدرات الأمة الإسلامية وتطويرها، والعمل على تنسيقها وتكاملها.

17- تبادل الأساتذة الزائرين بين الجامعات الإسلامية في مختلف المجالات العلمية والتربوية والثقافية.

18- توفير المنح والزمالات للطلبة من البلدان الإسلامية الأخرى.

19- تقديم المساعدات التعليمية والثقافية والمادية للشعوب الإسلامية المضطهدة.

20- إدانة الممارسات الصهيونية العنصرية داخل الأراضي المحتلة المتمثلة في تزوير الممتلكات الثقافية التاريخية الإسلامية والاعتداءات الصارخة على الأماكن المقدسة، وتطبيق الإجراءات العسكرية على المؤسسات التعليمية.

فيما يتعلق بالجماعات الإسلامية في الدول غير الإسلامية

21- مساعدة الجماعات الإسلامية في الدول غير الإسلامية على المحافظة على هويتها الإسلامية ودعم مؤسساتها الثقافية والتعليمية.

22- تقديم المنح الدراسية لأبناء هذه الجماعات الإسلامية لمواصلة دراستهم في البلدان الإسلامية.

23- إمداد هذه الجماعات الإسلامية بالمرشدين والمدرسين والكتب والوسائل التعليمية الأخرى.

24- دعم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة مادياً وأدبياً لتمكينها من تطبيق خطة عملها وتنفيذ مشروعاتها.

25- تمكين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة من القيام بدورها في التنسيق بين الأجهزة التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي والمتخصصة في التربية والعلوم والثقافة لتحقيق جميع ما قصدته الدول من تكليف المنظمة بهذا التنسيق.

26- وندعو السيد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي إلى عقد اجتماع لتحديد العلاقات بين المنظمات والمؤسسات المتخصصة في ميادين التربية والعلوم والثقافة في أجل أقصاه ستة أشهر، وذلك تأكيداً لطلب المؤتمر الثالث عشر لوزراء خارجة الدول الإسلامية المنعقد بنيامي 1402/ 1982.

ملحق (5)

اللغة العربية والبحث العلمي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قدمت للمؤتمر الرابع للوزراء المسئولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي - دمشق 19-31 أغسطس (آب) 1989

المقدمة

إن الحديث عن اللغة العربية والبحث العلمي يحمل في طياته هذا السؤال: هل يمكن أن تكون اللغة العربية، في هذا العصر، أداة للبحث العلمي، أي أن تكون وعاء للمعرفة العلمية والثقافية التي اتسعت آفاقها وتشعبت أنواعها إلى حد كبير مذهل؟ وهل تستطيع هذه اللغة أن تعبر عن معانٍ ومفاهيم وتدل على أعيان ومستحدثات لم تولد على الأرض العربية، بل ولدت في بلدان أخرى وحملت بالتالي تسميات بلغات تلك البلدان؟

إن هذه القضية ليست من القضايا العابرة أو الهامشية التي يمكن إغفالها والإغضاء عنها، أو تركها للزمن الآتي لعلها تجد فيه حلاً وعلاجاً، بل هي من القضايا الخطيرة التي يحسن أخذها مأخذ الجد دراسة وتحليلاً بغية إيجاد الحلول الناجعة لها، ذلك أنها من قضايانا الأساسية التي تمس وجودنا ومصيرنا وتتصل بسبب وثيق بتراثنا الثقافي وهويتنا الحضارية.

إن البحث العلمي هو السبيل إلى المشاركة في حضارة هذا العصر، والإسهام في إغناء المعرفة البشرية، وهو في الوقت ذاته مطلب ينبغي تحقيقه وبذل الجهد والطاقة فيه لدواعٍ قومية وحضارية وتنموية، فهل نباشره بلغة "الغير" فنخسر أن يكون نتاجاً علمياً عربياً، لأن اللغة هي التي تمنح البحث العلمي جنسيته وهويته، أم نهجره ونتقاعس عنه فنخسر معاصرة صحيحة، ونظر خارج حدود زماننا، أم نجمع بين

المعرفة إحدى مكوناتها وبين الحداثة التي تشكل المعرفة العلمية والثقافية أهم ركائزها؟

إن الجمع والمواءمة بين الأمرين ليسا في حدود الوجوب فحسب، بل هما في حدود القدرة والإمكان كذلك.

إن امتلاك العلم بالتعليم والبحث والابتكار، باللغة العربية، إغناءً للشخصية القومية، وإحياءً لدور تاريخي مشهود، وصوغ لمستقبل كريم على أسس الكرامة والقدرة وحرية الإرادة والفكر والفعل.

الثورة العلمية والتقانية:

لقد وصفت هذه الحقبة من الزمن بعصر "التفجر العملي" وعصر "الثورة العلمية والتقانية"، والصلة قائمة أصلاً بين العلوم والتقانية، فلئن كان العلم تغلب عليه سمة الفكر والنظر، والتقانة تتصف بالطابع العلمي والتطبيقي، ولئن كان العلم يأتي بالنظريات والقوانين فإن التقانة تحول هذه النظريات والقوانين إلى تطبيقات تبتدعها وأساليب عملية تستنبطها.

وفي العقود الأخيرة، تشعبت هذه الثورة، وشملت مجالات عديدة،وعلى الأخص مجالات الاتصالات والمعلومات وعلم الحياة، وهندسة المكونات الوراثية، وثمة ثورة جيولوجية ترمي إلى اكتشاف الموارد الطبيعية التي تختزنها الأرض والمحيطات، وثورة في مجال إيجاد مواد جديدة يمكن استخدامها في البناء، وثورة في الحاسبات الإلكترونية والإنسان الآلي وغير ذلك من المجالات.

ويتوقع الباحثون، على سبيل المثال، أن يكون للثورة الإلكترونية نتائج بعيدة المدى في جميع بلدان العالم، فيختفي بتأثيرها كثير من الأعمال القائمة على الجهد العضلي، وأعمال كثيرة غير تخصصية. كذلك يتوقع أن ينجم عنها أن تقل ساعات العمل الأسبوعية، وتخلق أعمال ووظائف جديدة، وتتبدل العلاقات بين الناس..

وقل مثل ذلك عن الثورة العلمية والتقانية في ميادين علم الحياة والجيولوجيا والفضاء مما لا يقع تحت حصر .. وكل هذا سيفتح أمام الإنسان آفاقاً رحبة ويضع بين

يديه طاقات هائلة، ويجعله أمام تغيرات لازمة مادية ومعنوية، ويطرح عليه معضلات جديدة وكثيرة تحتاج إلى دراسات وتحليلات وحلول.

موقفنا من هذه الثورة:

إزاء هذه الثورة العلمية والتقانية العاصفة والتي ميدانها البلدان المتقدمة أو المصنعة، وساحتها المعاهد والجامعات والمختبرات والمراكز والمؤسسات العلمية والتقنية التي يعمل فيها أعداد كبيرة من الباحثين والتقنيين والتخصصين والمساعدين الفنيين، بالإضافة على المخططين والإداريين والتوثيقين والإعلاميين، وينفق عليها بسخاء باعتبار البحث العلمي من أفضل أنواع الاستثمار، هذه الثورة التي لا تدور في فراغ بل تشكل جانباً مهماً من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في تلك البلدان، فإنه ليس في صالحنا، كما أنه لي في صالح غيرنا من الشعوب بلدان العالم الثالث، أن نقف مكتوفي الأيدي، لأننا بذلك إنما نحكم على أنفسنا بالتخلف الدائم والعجز المستمر، ونبقىأبداً واقفين على باب العصر، نستهلك من منتجاته ما نستطيع دون أن نشارك في إحداثه أو ننتج ما نحن بحاجة إليه. وإذا حصل ذلك تكون النتيجة أن يزداد البون بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية بدل أن يضيق ويتقلص، فيزداد الأقوياء والأغنياء قوة وغنى ويزداد الضعفاء والفقراء ضعفاً وفقراً.

وتجاه هذا كله، لا نملك نحن العرب، شأننا شأن الشعوب الأخرى السائرة في طريق النمو إلا أن ننتقل من طور المشاهدة إلى طور العمل، ومن دور السكون إلى دور الفعل، ومن وضع الاستهلاك إلى وضع الإنتاج، ومن موقف التقي والأخذ والتقليد إلى موقف الفعل والابتكار والإبداع، وفق سياسة علمية ثقافية محكمة، وفي سياق خطة شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تأخذ ي حسابها ظروف البيئة والخامات الطبيعية والطاقات البشرية المتوافرة، وتستثمر جميع الموارد والمواد والقدرات لتحقيق مشروع حضاري عربي متكامل.

البحث العلمي: أهدافه وآفاقه

إن البحث العلمي ليس شيئاً يمكن استيراده أو افتعاله، بل هو إنتاج اجتماعي يأتي ضمن شروط معينة، وفي إبانة. هو نشاط فكري وعملي تدفع إليه إدارة المجتمع في التغيير والتقدم، وتتحدد مساراته وخططه وبرامجه ومشروعاته وفقاً للأهداف التي يتوخى المجتمع تحقيقها والتي تشكل الموجه لنشاطاته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

إن البلدان العربية مدعوة إلى اقتحام ميدان البحث العلمي بدافع تحقيق القدرة خاصة والاكتفاء الذاتي على المستويين القومي والوطني. بالنسبة لكل قطر عربي، وعلى الأخص تحقيق الأمن بأنواعه المختلفة: الأمن السياسي والأمن الغذائي والأمن الاجتماعي والأمن الثقافي. إنه ليس لأمة أن تتمتع باستقلال ناجز وحرية حقيقية إذا لم تصنع بفكرها وأيدي أبنائها أساسيات حياتها، فتنتج غذاءها وتنسج كساءها وتشيد بناءها وتصنع دواءها وتبتدع ثقافتها وأدبها وفنها، وصلاً بالماضي، ودعماً للحاضر، وتوطئة لمستقبل أفضل.

أنه ليس مهماً أن نقتني منجزات التقانة من هاتف وتلفاز وطائرة وبراد، ونقرأ المؤلفات العلمية التي سطرتها أقلام الآخرين، بل المهم أن نوطن العلم والتقانة في الوطن العربي ونستنبتها معارف نظرية وعلمية تغذي العقول وتصقل المواهب ونجعلهما يعيشان في تفكيرنا وحديثنا وسلوكنا بالتوافق والتلاؤم مع القيم الموروثة التي بها نفخر والمثل التي نتطلع فيكون العربي إذاك لا ممثلاً على مسرح هذا العصر، أو متفرجاً على أحداثه، أو متسكعاً على أبوابه، بل هو في خضمه، تأثراً وتأثيراً، يأخذ منه ويعطيه، قادراً دوماً، ومحتفظاً أبداً بذات متميزة وسمة واضحة هي نسيج الزمن والبيئة والتاريخ.

ولكن هل آن الأوان لنلج نحن العرب ميدان البحث العلمي؟

لقد صار دخولنا هذا الميدان، في حدود الإمكان، بعد أن خلصت الأقطار العربية تباعاً من السيطرة الأجنبية والتبعية السياسية، وملكت مقدراتها وأرست أسس نهضة شاملة وقطعت أشواطاً بعيدة في نشر التعليم بكل مستوياته: العام والتقني

والزراعي والصناعي والتجاري، وتكونت لديها فئات قادرة على مباشرة البحث العلمي من حيث المؤهلات العلمية والتقنية.

وبالفعل، فقد بذلت في البلدان العربية مساعٍ جادة لإنشاء وتطوير مؤسسات مركزي وأكاديميات ومراكز للبحث العلمي والتقاني، تحاول أن تقوم بأعمال البحث داخل كل قطر، وتوجيه هذه الأعمال لخدمة خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ولكن ينبغي أن نلاحظ أن هذه المساعي ما تزال دون القدر المطلوب، بل إننا نجدها جهوداً هامشية في بعض البلدان، وتفتقر إلى مقومات النجاح الأساسية، كما أن العمل العربي المشترك. في هذا الميدان، ما زال قاصراً. إن المصلحة العربية مصلحة الأمة العربية، تتطلب عملاً عاجلاً ومكثفاً لدفع البحث العلمي إلى الأمام ومده بمقومات النجاح من خبرات وأدوات واعتمادات، كيفما يصبح منشطاً ناجحاً يحقق الأهداف المرتجاة منه.

إن الوطن العربي مطالب بأن يدخل العصر ويمتلك القدرة الذاتية على الإبداع والابتكار، وأن ينظر بجد فيما أنشأ حتى الآن من مراكز ومؤسسات ويدعمها ويستكمل ما ينقصه منها، كيفما يكون العمل ناجعاً ومفيداً يحقق للأمة العربية نقلة حضارية تعيد إليها دورها الرائد في صنع الحضارة الإنسانية.

اللغة العربية والبحث العلمي:

إن البحث العلمي، وإن تعددت مقوماته، فإن الباحث العلمي أو المتخصص التقني، يظل باعثه وصانعه وعماده. وهذا الباحث أو المتخصص لا يقوم تكوينه على المعرفة العلمية والتقنية فحسب بل كذلك على اللغة التي يؤدي بها البحث العلمي سواء أألخذ هذا البحث صورة مؤلف يشتمل على نظريات أو آراء أو أفكار جديدة تعتبر إضافة إلى المتداول المعروف منها أو أطروحة جامعية تتعمق في دراسة ظاهرة طبيعية أو بشرية، أو صورة دراسة تنشر في إحدى الدوريات العلمية، أو محاضرة معمقة تلقى في جامعة أو ندوة أو مؤتمر، داخل الوطن العربي أو خارجه.

إن البحث العلمي، هو، بشكل ما، امتداد وتتويج للدراسة في مراحلها المختلفة، ولا سيما المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا، بل هو الوجه الآخر لها، وجه

الكشف والعطاء. فإذا كانت الدراسة، في تلك المراحل، باللغة الأم- وهذا ما ينبغي أن يكون- فمن الطبيعي أن يدون الباحث بحوثه ويلقيها أو ينشرها باللغة العربية.

ولا يظن ظان أن تعريب التعليم العلمي يعني استقاء المعرفة والإطلاع على آراء الآخرين وتجاربهم باللغة العربية فقط، ولا سيما إذا كانت الترجمة لا توفر للباحث كل ما يريد أن يطلع عليه. إن اتقان الباحث لغة أجنبية يمكنه من الرجوع إلى مصادر المعلومات في الموسوعات والمؤلفات والدوريات الصادرة بإحدى لغات البلدان المتقدمة، وعلى الأخص في غياب حركة نقل علمية مخططة وهادفة تترجم أهم المؤلفات المنهجية والمرجعية إلى اللغة العربية.

المهم أن تحتفظ اللغة العربية بمقامها أداة للتفكير والتعبير العلمي، ولا تحل لغة أجنبية محلها في التعليم والتعلم والبحث، بل تكون اللغة الأجنبية للغة العربية رافداً ومعيناً.

لقد قال المفكر العربي الكبير الدكتور محي الدين صابر في بعض ما كتب: (التعريب يساوي التقدم، وليس من السهل اقتحام المعاصرة إلا باستبنات العلم، في اللغة العربية، وتوطين الثقافة. وإنما يبدأ ذلك كله من التعليم والبحث. ومن هنا فإن تعريب العلوم، تدريساً وبحثاً، هو الخطورة الأولى في الاتجاه الصحيح، بمعنى أن تكون لغة التعليم والبحوث، في الدراسات العليا، اللغة العربية).

قدرة اللغة العربية:

ولعل ثمة من يتساءل عن قدرة اللغة العربية على الوفاء بحاجة التعليم والبحث العلميين في هذا العصر. لقد شكك الأجانب المغرضون في هذه القدرة، وتابعهم بعض من العرب إذ بهرهم التقدم العلمي في الغرب فخيل إليهم أن إدراكه لا يتم إلا بلغة أجنبية. وهناك شواهد عديدة تدحض هذا الزعم وتكذبه:

أولاً: إن اللغة العربية استطاعت في القرن الثاني للهجرة وما تلاه من زمن أن تواجه العلوم القديمة كالهندية والفارسية ولا سيما اليونانية من طب وهندسة ورياضيات وفلك وكيمياء وغيرها بكل ما فيها من مصطلحات وتعابير فاتسعت لها واستوعبت ألفاظها ومعانيها حتى انعقدت لها الريادة والأسبقية في العلم والتعليم بضعة قرون وكانت لغة الكشف والإبداع في مجال المعرفة زمناً طويلاً.

ثانياً: إن التعليم الجامعي بتخصصاته المختلفة بدأ في عصر النهضة الحديثة، في جامعات مصر وبيروت باللغة العربية، ووضعت بهذه اللغة كتب عديدة ثم تحول بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية. وأما دمشق فقد كانت أوفر حظاً إذ بدأ التعليم فيها عام 1919م باللغة العربية ثم استمر بها دون انقطاع أو تحول واتسع من الطب والحقوق إلى سائر العلوم الأخرى عندما افتتحت كليات العلوم الأساسية وكليات العلوم التطبيقية والمعاهد العليا والمتوسطة.

ثالثاً: إن اللغة العربية من اللغات القليلة التي قدر العالم بأسره أهميتها لما تتصف به من غنى ومرونة، وما تحمله من إرث علمي إنساني كبير، وما تتميز به من قدرة على مواجهة المستقبل والوفاء بسائر الأغراض، فاعترفت منظمة الأمم المتحدة والمنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة والمنظمات والوكالات الدولية الأخرى بأن العربية لغة عالمية حية واعتمدتها لغة رسمية إلى جانب اللغات الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية.

والحق أن اللغة العربية، بشهادة العارفين من أبنائها ومن غير أبنائها تتميز بخصائص فريدة تتجلى في فصاحة كلماتها وعذوبة ألفاظها ورقة عباراتها وجزالة تراكيبها وجلال معانيها وتنوع أساليبها وقدرتها على التوالد والتوسع لتعبر عن كل ما يصدر عن عقل الإنسان وقلبه.

التعريب والتغريب:

ولعلنا نتساءل: كيف ولماذا جرى تدرس المواد العلمية في البلدان العربية بلغة أجنبية؟ إن هذه الظاهرة تمتد جذورها إلى عهد السيطرة الأجنبية على الأقطار العربية، مشرقاً ومغرباً، وإلى سعي المستعمر لفرض سياسة تغريب ترمي إلى اقتلاع الشعب العربي من منابته، وإبعاده عن تراثه وتجريده من أصالته وهويته القومية، وسلبه أهم مقومات ذاتيته ألا وهي اللغة العربية، وعاء قيمته وثقافته وشارة نبوغه وعبقريته وسر استمراره عبر الزمن.

في عام 1887م تم تحويل التعليم في مدرسة الطب بقصر الطب العيني بالقاهرة من العربية إلى الإنكليزية، بعد أن درس بالعربي إحدى وستين سنة بدءاً من عام 1826م.

لقد أراد المستعمر أن يكون الاحتلال لا احتلالاً عسكرياً واقتصادياً فحسب بل أراده احتلالاً ثقافياً ولغوياً كيفما يكون أصلب وأرسخ.

وهكذا حصل في أقطار عربية أخرى في ظروف مشابهة أو مقاربة، وفي كل الحالات كانت الإرادة الأجنبية العاتية هي التي فرضت التعليم بلغة أجنبية ولم يكن ذلك خياراً عربياً.

وبعد أن بدأ التدريس العلمي بغير العربية تواصل بحكم الاستمرار والتقليد والاعتياد وتهيب التغيير والتبديل، ولاستسهال المدرس أن يستخدم في تدريسه اللغة التي استخدمها في تخصصه خارج البلاد العربية، وتراخي المسؤولين في الأقطار العربية عن اتخاذ القرار اللازم حول التعريب، وعدم تأمينهم مستلزماته من كتب ومراجع وبحوث مؤلفة ومترجمة والتأخر من وضع المصطلحات العلمية أو إقرارها.

ومن أجل هذا كله، كان تعريب التعليم بكل أنواعه وتخصصاته العلمية وفي جميع مستوياته وتعريب البحث العلمي إبطالاً للتغريب وإحباطاً للسياسة الجائرة التي اختطها المستعمرون وإعادة للأمور من وضع شاذ آلت إليه إلى وضع طبيعي، ومدخلاً إلى توطين العلم والمعرفة والإبداع فيهما ليكون حجر الأساس في صرح المستقبل العربي واسترجاعاً لدور حضاري رائد تسلم العرب زمامه ردحاً طويلاً من الزمن.

أهداف التعريب:

ولكن ما هي الأهداف التي يراد تحقيقها من هذه النقلة اللغوية، من التحويل في أداة التعليم والبحث العلمي من الأجنبية إلى العربية؟

يمكن أن نوجز هذه الأهداف بما يلي:

1- أن التعريب يحقق التوازن الطبيعي بين الفكر واللسان وبين المعرفة واللغة، ليكون ما يكسبه الدارس والباحث تمثلاً فإبداعاً لا استعارة فترديداً.

2- أن التعريب يساعد على تحقيق الانسجام والتفاهم بين أفراد المجتمع، لأن اللغة العربية هي الجسر الواصل بين المتعلمين والمختصين من جهة وبين الجماعة الآخرين من جهة أخرى.

3- أن التعريب يحقق الاستفادة من العلوم والتقنيات والخبرات المتوافرة لدى الأمم المتقدمة جميعها، بترجمة أفضل المؤلفات والدراسات إلى العربية، في حين يعطي التدريس والبحث بإحدى اللغات الأجنبية تفرداً لتلك اللغة فيرجع إليها دون سواها من اللغات.

4- ينهي التعريب التعليم النخبوي ويعين على تحقيق ديمقراطية التعليم، فتتاح الفرصة آنئذ للمواهب أن تتفتح ولا يحجبها فقر وللكفاءات أن تظهر ولا يخفيها حرمان، ويفتح المجال رحباً أمام عدد كبير من الباحثين ويمنح أعمالهم انتشاراً أوسع بين أبناء قومهم مما يقوم حافزاً على الاستمرار في العطاء.

لقد أجريت تجربة في الجامعة الأمريكية في بيروت، في أواسط الستينات إذ جرى تشكيل مجموعتين من الطلاب إحداهما تلقت دروساً في علم من العلوم باللغة الإنكليزية والأخرى باللغة العربية ثم قدمت المجموعتان اختباراً في تلك المادة فوجد أن المجموعة الأولى استوعبت حوالي 60٪ من المادة المدروسة في حين أن المجموعة الثانية استوعبت حوالي 76٪ من المادة نفسها. وأعيدت التجربة بالقراءة فطلب من المجموعتين قراءة نصوص مكتوبة ثم اختبرت المجموعتان لمعرفة استيعاب المقروء، فكانت النتائج مقاربة للتجربة الأولى.

وفي تقرير شامل أعده خبراء منظمة اليونسكو عن قضية استخدام اللغات الوطنية في التعليم أ وصى واضعو التقري باستخدام اللغة الأم في التعليم لأعلى مرحلة ممكنة.

وأود أن أذكر، أن الدعوة إلى تعريب التعليم والبحث في الوطن العربي، ليست بدعة أو ردة أو تعصباً لوضع نشأ في ظروف قاهرة وليس لأحد من أبناء هذا الوطن يد فيه.

إذا ما حرصنا على أن يتم هذا التصحيح، فلسنا في هذا المنحى وحدنا، بل سبقتنا إليه شعوب هي أقل منا عدداً وأصغر رقعة أرض وليس لها مشاركة مثل مشاركتنا في صنع الحضارة الإنسانية. أليس من العجيب أن يكون تدريس العلوم في بلدان صغيرة مثل رومانيا وفنلندا وبلغاريا واليونان بلغاتها الوطنية، بل أن تبعث إسرائيل الدولة المصنوعة صنعاً، اللغة العبرية من سباتها الطويل لتدريس بها العلوم الجديدة الدقيقة، ونقوم نحن في الوطن العربي الكبير برقعته وعدد أبنائه والشامخ بتراثه وغنى لغته وجمالها بتدريس أبنائنا بلغات أجنبية، على أرضنا، وفي جامعاتنا ومعاهدنا؟ قد تكون ثمة صعوبات ولكن المهم أن نبدأ بالخطوة الأولى.

وسائل التعريب:

إن التعريب ليس أحد الخيارات بل هو الخيار الوحيد. ومن هذا المنطلق لا نناقش فيه من حيث المبدأ أو الأساس، بل نبحث فيه من حيث الوسيلة والتطبيق.

إن أهم وسائل التعريب ومستلزماته ثلاثة أمور هي: المصطلح العلمي، والكتاب المعرب، والمدرس بالعربية.

أما المصطلح فهو بلا ريب، ضرورة ماسة للتعبير العلمي، ولكن ينبغي أن نلاحظ أن النص العلمي ليس جملة مصطلحات بل هو شرح وتفسير بالإضافة إلى جملة من المفردات العلمية. إن عدم العثور أو التأخر في العثور على مقابلات عربية لبعض المفردات اعتماداً على الطرائق المعروفة: الترجمة والاشتقاق والنحت والمجاز، لا يسوغ التدريس بلغة أجنبية إذ ليس ما يمنع من تعريبها اقتراضاً، كما فعل الرواد الأولون في عصر الترجمة العباسي وعصر الطهطاوي، ثم نعود فنبحث عن مقابل لها إذا دعت الحاجة.

وجدير بالملاحظة أننا لسنا وحدنا، نحن العرب، نواجه مسألة المصطلحات ولا سيما العلمية منها، إذ إن أكثر اللغات في العالم تواجه هذه الأشكال، حتى اللغات الواسعة الانتشار والتي كانت إلى أمد قريب لغة العلم والثقافة في العالم، كاللغة الفرنسية.

إن من يولد له ولد يطلق عليه اسماً للتعريف به، وما على الآخرين إلا أن يتدبروا أمرهم بتبني هذا الاسم أو إيجاد مرادف له.

إن من يرصد الجهود التي بذلت في البلدان العربية خلال القرن الأخير من قبل مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب والجامعات و المنظمات العربية والاتحادات المتخصصة والمجالس العلمية والأدبية والأفراد النابهين لإيجاد مصطلحات وتوحيدها والتنسيق بين هذه الجهود ليقف على عمل جبار ويخلص إلى الثقة بأن المصطلح ليس عائقاً يذكر في طريق التعريب.

وأما الكتاب المعرب فإنه الأداة الرئيسية في التعريب، ويمكن توفيره بالتأليف أو الترجمة، سواء أكان كتاباً منهجياً أو مرجعياً.

وفي هذا الصدد نشير إلى دور الترجمة الفعّال في تأمين الكتاب المعرب وفي إنجاح التعريب إلى جانب التأليف والبحوث والدراسات النظرية والميدانية.

والدليل على ما تقول إن النهضة العلمية الأولى في القرن الثالث للهجرة وما ب عده قد انطلقت من حركة ترجمة علمية واسعة تمت في نطاق بيت الحكمة، وأن النهضة العربية العلمية الثانية في مطلع القرن الماضي وما بعده قد انطلقت من حركة ترجمة علمية واسعة كذلك تمت في رحاب دار الألسن...

إن معرفة ما وصل إليه الآخرون عن طريق الترجمة، هو نقطة البدء في رحلة الكشف عن المجهول، وفي رحلة الإبداع، التي تضع الأمة في مسار الثقافة العالمية وحضارة العصر.

أما المدرس بالعربية فهو بيننا، ومن أبنائنا وإخوتنا موجود بالقوة، وليس عليه إلا أن يوجد بالفعل، فيتحول إلى التدريس بالعربية ببذل شيء من الجهد الكريم مستعيناً بمراجعة لغوية يسيرة، وتحصيل لمصطلحات اختصاصه، ومران في كلية معربة، أو المرور بدورة تحويلية تكسبه القدرة على استعمال العربية شرحاً ومصطلحاً وبياناً.

خطط المنظمة في التعريب:

إن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، قد عملت منذ نشأتها بوصفها الهيئة المنبثقة عن جامعة الدول العربية والمتخصصة بقضايا التربية والثقافة والعلم، على تنمية الثقافة العربية ونشر اللغة العربية والحفاظ عليها وجعلها لغة العلم والتعليم في أرجاء الوطن العربي، منطلقة مما تضمنته دستورها وما نص عليه ميثاق الوحدة الثقافية العربية من أن الدول الأعضاء توافق على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والدراسات والبحث في مراحل التعليم كلها.

ويتجلى نشاط المنظمة، في هذا المضمار في أشكال عديدة ومشروعات متكاملة.

ونشير في هذا الصدد إلى خطة المنظمة لنشاطها على المدى البعيد، التي اعتمدها مؤتمرها العام، وتنص هذه الخطة على أن المنظمة تستهدف تأصيل العلم وعضويته في المجتمع العربي، واعتماد التخطيط الشامل لتطوير العلوم والتقانة وتعريبها...

وقد اشتملت الاستراتيجيات القطاعية في التربية والثقافة والعلوم على ضرورة اعتماد العربية الفصحى لغة للتعليم في جميع مراحله ومجالاته لتكون أداة في التفكير والتعبير وعلى ضرورة التوسع في تعريب المفاهيم والمصطلحات العلمية وتوحيدها ونشرها واستعمالها في المؤلفات المدرسية والجامعية والبحوث العلمية، كما دعت إلى توطين التقانة واستنبات العلم عربياً.

وجاءت مؤتمرات الوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي الثلاثة المنعقدة بين عامي 1981م و 1985م لتدعم هذا المسار، وتؤكد على ضرورة تعريب التعليم العالي ورسم الخطط لتنفيذه، وأن تتكامل سياسة التعريب بين الأقطار العربية وتتلاقى الحكومات العربية على برنامج محدد، وأساسه تبادل التجارب والخبرات بين الأقطار التي قطعت شوطاً في التعريب والأقطار التي لا تزال حديثة العهد به ...

كما دعت إلى تأمين الوسائل وإحداث المؤسسات والأجهزة التي تعين على تنفيذ هذه السياسة، فأوصت بإنشاء المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر وإنشاء هيئة عربية عليا للدراسات العليا تعمل على تمكين المدرسين الجامعيين من التدريس باللغة العربية.

هذا وقد قطع هذان المشروعان خطوات مهمة نحو التنفيذ:

أ- **المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر**: وضعت المنظمة دراسة للمركز وقدمتها إلى هيئاتها الدستورية، فأقر مؤتمرها العام في دورته السابعة لعام 1983 إنشاءه. وقرر المجلس التنفيذي للمنظمة في دورته المنعقدة في مطلع شهر يوليو/ تموز 1987 أن يكون مقر هذا المركز مدينة دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية.

ومن أهداف المركز الرئيسية: المساعدة على تعريب التعليم العالي في الوطن العربي بالعمل على تأمين حاجاته من الكتب والمراجع والدراسات والبحوث عن طريق التأليف والترجمة والنشر، وإعداد مستخلصات بالعربية عن البحوث الثقافية والعلمية المنشورة في الكتب والدوريات الصادرة باللغات الأجنبية، بالإضافة إلى دوره في إغناء الثقافة العربية بنقل أمهات الكتب إلى العربية، والتعريف بهذه الثقافة بنقل روائع الفكر العربي قديمه وحديثه إلى اللغات الأجنبية.

ب- **الهيئة العربية العليا للدراسات والبحوث العلمية**: وضعت المنظمة الدراسات اللازمة لهذه الهيئة التي ستعمل على تنسيق الجهود العربية في مجالات الدراسات العليا والبحث العلمي بالتعاون مع الجامعات ومراكز البحث العلمي وتنسيق العمل بقصد تشجيع تكوين ملاكات أعضاء هيئة التدريس الجامعي في الوطن العربي وتمكينهم من القيام بالتدريس باللغة العربية.

وتتخذ الإجراءات اللازمة لجعل هذه الهيئة تشرع بممارسة أعمالها في أقرب الآجال.

وإذا كانت المنظمة تنفيذاً لخططها واستناداً إلى توصيات مؤتمرات الوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي قد شرعت في تنفيذ المشروعين السابقين وصولاً إلى توفير المدرس بالعربية والكتاب المعرب، فإنها منذ أمد بعيد تعمل على تأمين الوسيلة الأولية للتعريب وهي المصطلح العلمي، معتمدة في ذلك على جهاز متخصص تابع لها هو مكتب تنسيق التعريب بالرباط.

لقد بلغت المعاجم التي وضعها المكتب عند نشأته حتى اليوم وأقرتها مؤتمرات التعريب أربعة وثلاثين معجماً في شتى أنواع العلوم والتقنيات، وتقوم المنظمة حالياً، بطبع هذه المعاجم، كما تسعى لمكننة العمل في المكتب ودعمه بالخبرات اللازمة ووصل مجهوداته المصطلحية بعمل المنظمات العربية والاتحادات العلمية والمهنية ليتكامل الجهد وتتسارع الخطوات.

أن للمنظمة نشاطات أخرى في هذا المضمار سواء في نطاق إداراتها: كإدارة التربية وإدارة العلوم وإدارة الثقافة، أو في نطاق أجهزتها كالمركز العربي لبحوث التعليم العالي بدمشق، والمعهد الدولي بالخرطوم للغة العربية، أو في نطاق ما نشرت من أمهات التراث العلمي، والطبي منه، بالخصوص.

الخاتمة:

ليس من التعريب، تعريب التعليم العالي والبحث العلمي عملاً لغوياً أو علمياً أو ثقافياً فحسب بل هو أبعد مدى، فهو عمل يقع في سياق حركة الإنسان العربي للتخلص من الجهل والتخلف اللذين أورثته إياهما عهود الغربة التي نأت به عن حقيقته وموقعه، بقوة التسلط والاستعمار والقهر، وفي سياق سعيه لاستعادة دوره في مسار الحضارة الإنسانية واجتهاده لاكتساب الجديد وإدراك الحداثة مع حفاظه على الأصالة المتمثلة في تراثه الحضاري الضارب في أعماق التاريخ.

المراجع

المراجع العربية

1- آدم يوسف "صورة الآخر، على غير حقائق"، **مجلة الكويت**، الكويت، العدد 267، يناير 2006.

2- إبراهيم أنيسي، **اللغة بين القومية والعالمية**، دار المعارف، القاهرة، 1970.

3- إبراهيم السامرائي، التعريب والعربية في الجزائر، **مجلة المستقبل العربي**، السنة 3 العدد 23، يناير 1981.

4- أبو بكر اسماعيل محمد قيعان، **مبادئ الإسلام ومنهجه في قضايا السلم والحرب والعلاقات الدولية والإنسانية**، مركز البحوث التربوية، كلية التربية جامعة الملك سعود، 1407هـ.

5- أحمد بدر وآخرون، **السياسة المعلوماتية واستراتيجية التنمية**، دار غريب- القاهرة، 2004.

6- أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1982.

7- أحمد عبد الله رزة "العنف يهدد الأمن الإنساني في عصر العولمة"، **مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 161، يوليو 2005.**

8- أحمد عفيفي، تعليم اللغة قبل الجامعة، **ندوة تدريس اللغة العربية في كليات الجامعات المصرية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1999.**

9- أحمد فاضل يوسف، استخدام المعلومات التقنية في الدعوة إلى الإسلام بجنوب شرق آسيا، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، الكويت، السنة 19، العدد 57، يونيو 2004.

10- الأهرام، **وثيقة الشباب من أجل السلام، القاهرة**، ص 3، 2 أغسطس 2006.

11- أمين الرباط، (ترجمة) السياسات الثقافية والموروث الحضاري، "**مجلة الفن المعاصر**" أكاديمية الفنون، القاهرة، العدد 3 شتاء 2001.

12-بدر نادر علي وآخرون، "الأدوار المستقبلية للمعلم الجامعي بالوطن العربي في ضوء تحديات الواقع ورؤى المستقبل"، **مجلة مستقبل التربية العربية**، القاهرة، المجلد 9 العدد 31 اكتوبر 2003.

13- بسام بركة، "اللغة العربية، القيمة والهوية"، **مجلة العربي**، الكويت، العدد 528 نوفمبر 2002.

14- جاك ديلور، **التعلم ذلك الكنز الكامن**، ترجمة د. جابر عبد الحميد جابر، دار النهضة، القاهرة، 1998.

15- جامعة الدول العربية، القمة العربية السادسة عشرة، **وثيقة مسيرة التطور والتحديث والإصلاح**، تونس، 23 مايو 2004.

16- جامعة الدول العربية، المنتدى المدني الموازي للقمة العربية، **نحو الاستقلال الثاني**، بيروت، 19-23 مارس 2004.

17- جورج مونان، علم اللغة والترجمة، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

18- حسام الخطيب، تعليم اللغة العربية، **المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب**، الخرطوم، 1976.

19- حسين احمد أمين، "الطريق إلى تسامح ديني حق"، من كتاب **التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات**، تحرير وليم سليمان قيلادة، مركز اتحاد المحامين العرب للبحوث والدراسات القانونية، القاهرة، ط1، 1986.

20- دوجلاس براون، مبادئ تعلم وتعليم اللغة، ترجم إبراهيم العقيد وعيد بن عبد الله الشمري، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1994.

21- دلال فيصل الزين، تكنولوجيا الاتصال والثقافة العربية في الخليج، مستقبل الثقافة العربية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

22- رفيق رضا صيداوي، هل يمكن قيام نهضة عربية، **مجلة العربي**، الكويت، العدد 459 أغسطس 2004.

23-ريتساردز أ.أ. **مبادئ النقد الأدبي**، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1963.

24- ريمون طحان، "العلاقة بين اللغة العربية والفكر العربي"، **مجلة مواقف**، الرباط، عدد 15، 1971.

25- سالم ساري، آفاق تطوير المجتمع العربي واتجاهاته المستقبلية من كتاب، **دراسات في المجتمع العربي المعاصر**، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1999.

26- سالم الغزالي، "الحاسوب ومستقبل اللغة العربية" من **كتاب مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين**، الألكسو، تونس، 1998.

27- سامي خشبة، "مجتمع المعرفة، استكشاف أولي ونظرة نقدية" كتاب العربي، مستقبل الثورة الرقمية، العرب والتحدي القادم، الكويت، ط1، 2004.

28- السعيد محمد بدوي، **مستويات اللغة العربية المعاصرة في مصر**، دار المعارف بمصر، القاهرة 1973.

29- سليمان حسبكي، "لغة البحث العلمي بين النظرية والتطبيق" **الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي، بيروت، العدد 90 السنة 18 (4) خريف 1997.

30- سليمان النقيدان، حوار الحضارات مفهوم ملفق وغارق في الالتباس **جريدة الشرق الأوسط**، العدد الصادر في 4/ 12/ 2001.

31- سيد إبراهيم، **الخط العربي**، المجلس الأعلى للفنون والآداب، القاهرة 1972.

32- سيد مصطفى هدارة "لغة العلم" ضمن بحوث كتاب **مؤتمر الدورة 47- مجمع اللغة العربية**، القاهرة 1998.

33- السيد يس "الغرب الكوني والشرق المتفرد: الحضارات بين الصراع والحوار" **مجلة الساسة الدولية**، القاهرة، العدد 161، يوليو 2005.

34- شكري فيصل، حركة المصطلح وتعريب التعليم في سوريا، **مجلة الموقف**، الرباط، العدد 3، سبتمبر 1987.

35- شوقي جلال محمد "تقرير المسح الميداني لوضع الترجمة الراهن في الوطن العربي" من كتاب **الترجمة في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط1، 2000.

36- صلاح فضل **علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته**، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1985.

37- الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، **تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003**، المكتب الإقليمي للدول العربية UNDP، عمان- الأردن 2003.

38- طلعت منصور، سيكولوجية الاتصال، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلد 11، العدد 2 يوليو، سبتمبر 1980.

39- عبد الحافظ حلمي محمد، اللغة العربية وتعريب التعليم العالي في مصر "المحاضرة السادسة" **الموسم الثقافي الخامس عشر**، مجمع اللغة العربية، الأردن- عمان، 1997.

40- عبد الحق المنطرش "بالتعريب يتم القضاء على التخبوية" **مجلة الموقف**، الرباط العدد 3، سبتمبر 1987.

41- عبد الحليم إبراهيم العزمي "نظرة الإسلام للعنف والإرهاب" من **كتاب الإسلام والغرب** "القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ليبيا، ط2، 2000.

42- عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية، المكوّن الأول للهوية "**مؤتمر اللغة العربية في التعليم، الهوية والإبداع**، جامعة السلطان قابوس، مسقط- سلطنة عمان 4-6/ اكتوبر/ 2004.

43- عبد السلام المسدي "لغتكم تناديكم أيها العرب" **مجلة الكويت**، الكويت، العدد 254 ديسمبر، 2004.

44- عبد الصبور شاهين، **العربية لغة العلوم والتقنية**، دار الإصلاح، القاهرة، 1983.

45- عبد العلي الودغيري "حول الرصيد اللغوي الأساسي" **قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، نوفمبر 1993.

46- عبد العزيز عثمان التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.

47- عبد العزيز شرف، **اللغة الإعلامية**، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.

48- عبد الله عويدات "إعداد الطالب لمواجهة القرن الحادي والعشرين" ورقة عمل، منتدى عبد الحميد شومان الثقافي، **المدرسة الأردنية وتحديات القرن الحادي والعشرين**، عمان- الأردن، 1999.

49- عبد الوهاب التازي "دور الترجمة والتعريب في حسن استعمال اللغة العربية في المؤسسات التعليمية بالمغرب" **قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، نوفمبر 1993.

50- عبلة محمد الكحلاوي "إجلاء جوهر وسماحة الإسلام تجاه غير المسلمين" من كتاب **الإسلام والغرب**، القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ليبيا، ط2، 2000.

51- عدنان بدري الإبراهيم، النظم التعليمية والعولمة الاقتصادية، **التربية وتحديات العولمة الاقتصادية**، الألكسو، نوفمبر 2003.

52- عشاري أحمد محمود "ضد التعريب، **من أبحاث الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات**، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التونسية، تونس، 18-23 فبراير 1985.

53- علي أسعد وطفة، ثقافة الطفل العربي في زمن التحديات، **مجلة عالم الفكر**، الكويت المجلد 34، العدد 3، يناير/ مارس 2006.

54-علي أومليل، **في شرعية الاختلاف**، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2005.

55- علي حرب، "الوسائط التكنولوجية الثقافية" **مستقبل الثقافة العربية**، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1997.

56- علي خريسان، **العولمة والتحدي الثقافي**، دار الفكر العربي، بيروت، 2001.

57- عمر فروخ، "لغة العلم"، **ضمن بحوث الدورة 47 مجمع اللغة العربية**، القاهرة، 1980.

58- عمرو موسى، كلمة الافتتاح في المؤتمر السنوي التاسع "**اللغة العربية في التعاون الدولي**"،جمعية لسان العرب لرعاية اللغة العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة 29/ 10/ 2002.

59- فاروق جويدة، المقال الأسبوعي، الأهرام، **القاهرة**، الجمعة 30 يوليو 2004.

60- قاسم سارة، **التعريب، جهوده وآفاقه**، دار الهجرة، بيروت ط1، 1989.

61- كامل الشريف، "حقوق الأقليات بين الإسلام والمسيحية"، من كتاب **الإسلام والغرب، الماضي، الحاضر، المستقبل**، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1998.

62- المؤتمر الإقليمي العربي التحضيري للمؤتمر العالمي ضد التفرقة العنصرية، **إعلان القاهرة لمناهضة العنصرية**، القاهرة، 19-22 يوليو 2001.

63- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، **المؤتمر السادس عشر، التسامح في الحضارة الإسلامية**، القاهرة، 28/ 4 إلى 1/ 5/ 2004.

64- المجلس القومي للشباب، منتدى الشباب العالمي من أجل السلام" **وثيقة الشباب من أجل السلام**، الإسكندرية، أغسطس 2006.

65- محمد أكرم سعد الدين، اعتداء الفكر العربي الحديث على ذاته اللغوية "من كتاب **إشكالية التحيز**، تحرير عبد الوهاب المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط ، 1995.

66- محمد باشوش، موقف الجامعيين في تونس من قضية التعريب، **من أبحاث الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات**، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، تونس 18-23 فبراير 1985.

67- محمد البغدادي، (نقلاً عن ممدوح خسارة)، **التعريب والتنمية اللغوية** الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1994.

68- محمد حسين إبراهيم، تعريب العلوم النظرية والتطبيق في جامعات المشرق العربي، **من أبحاث الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات**، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية، تونس 18-23 فبراير 1985.

69- محمد حسين فضل الله، **في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي**، دار الملاك، بيروت، ط1، 1994.

70- محمد رشاد الحمزاوي "في سبيل نظرية مصطلحية عربية ممكنة" السجل العلمي **لندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، 1993.

71- ــــــــــ، **المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1986.

72- محمد عبد الكريم الجزائري، **من توجيهات القرآن العظيم من خلال تفسير سورتي الفاتحة والفاتحة**، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2003.

73- محمد العربي الزبيري، "المسح الثقافي ومسئولية الدولة"، **مجلة الفكر السياسي**، تحاد الكتاب العرب، دمشق، ربيع 2000.

74- محمد عيد، المصطلح العلمي العربي، وسائله اللغوية وصياغته العربية، **مجلة كلية اللغة العربية**، جامعة الإمام محمد بن مسعود، الرياض، العدد 9، 1979.

75- محمد الغزالي، **خلق المسلم**، دار القلم، ط7، دمشق 1998.

76- محمد كامل حسين، "اللغة العلمية"، **مجلة مجمع اللغة العربية**، القاهرة، مؤتمر 1965.

77- محمد لطفي جمعة، **شاهد على العصر، مذكرات لطفي جمعة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000.

78- محمد محمد داود، **اللغة والسياسة في عالم ما بعد 11 سبتمبر**، دار غريب، القاهرة، 2003.

79-محمد محمود متولي عبد البر، "من أساليب التجديد في الدعوة الإسلامية"، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الكويت، الكويت، السنة 19، العدد 57، يونيو 2004.

80- محمود أمين العالم، **الوعي والوعي لزائف في الفكر العربي المعاصر**، القاهرة، دار الثقافة، الجديدة، 1986.

81- محمود حافظ، قضية تعريب التعليم العالي في مصر، **مجلة مجمع اللغة العربية**، القاهرة، المجلد 56.

82- مصطفى بكري، "الحروف اللاتينية بديلاً عن العربية"، **جريدة الأسبوع**، القاهرة، العدد 374، 10 مايو 2004.

83- مصطفى حسن، **نحو نظام عربي جديد للإعلام والاتصال، البعد اللغوي**، الألكسو، تونس، 2005.

84- مكتب تنسيق التعريب، **مجلة اللسان العربي**، الألكسو، الرباط، العدد 39، يونيو، 1995.

85- ممدوح خسارة، **التعريب والتنمية اللغوي**، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1994.

86- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **مؤتمر الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في العالم العربية**، عمّان- الأردن، 23-24/ اكتوبر/ 2002.

87- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **المؤتمر العربي الإقليمي، التعليم** للجميع، الرؤيا العربية للمستقبل، القاهرة 1-3/ يونيو/ 2004.

88- منظمة المؤتمر الإسلامي، **المؤتمر الإسلامي الرابع لوزراء الثقافة**، الجزائر ، 15-16/ ديسمبر/ 2004.

89- المهدي المنجرة، **حوار التواصل من أجل مجتمع معرفي عادل**، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط11، 2005.

90- ميشال زكريا، **قضايا ألسنية تطبيقية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1983.

91- نبيل علي "اللغة العربية وعصر المعلومات"، **مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين**، الألكسو، تونس 1998.

92- هاني الجزار، **في أسباب التعصب، نحو رؤية تكاملية**، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006.

93- هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب في نهاية القرن العشرين، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت، العدد 175، سبتمبر 1998.

94- هشام نشابة، الثقافة العربية في القرن الواحد والعشرين، من كتاب "**الواقع العربي وتحديات قرن جديد**" مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان- الأردن، ط1، 1999.

95- هويدا علي، التسامح السياسي، المقومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، 2000.

96- وزارة التربية والتعليم، **المعايير القومية للتعليم في مصر**، المجلد الأول، القاهرة، 2003.

97- يوسف نصير، "المعلوماتية والتربية والتعليم"، **الثقافة المعلوماتية في الوطن العربي**، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ط1، 2002.

98- اليونسكو، **إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي**، الترجمة العربية، باريس، 1996.

المراجع الأجنبية:

99- Abruscato, J. Teaching Children Science, Prentice- hall Inc. New Jersey, 1988.

100- Chamberlain, A "**Teaching tolerance an**d understanding in the second language curriculum" Paper presented in the 42 world Assembly of ICET, Teaching Tolerance for All, Ministry of Education of Brunei Dasussalam, 1997.

101- Patai, R. **The Arab Mind**, Charles Scribner and sons, N.Y. 1975.

102- Riley, Discourse and fearing, Longman, London 1985.

103- Widdouson, H.C. **Teaching Languages as Communication,** Oxford University Press, Oxford, 1981.

اللغة العربية والتفاهم العالمي

دار المسيرة
للنشر والتوزيع والطباعة
www.massira.jo
9 789957 064792